سلسلة التأملات القرآنية

١

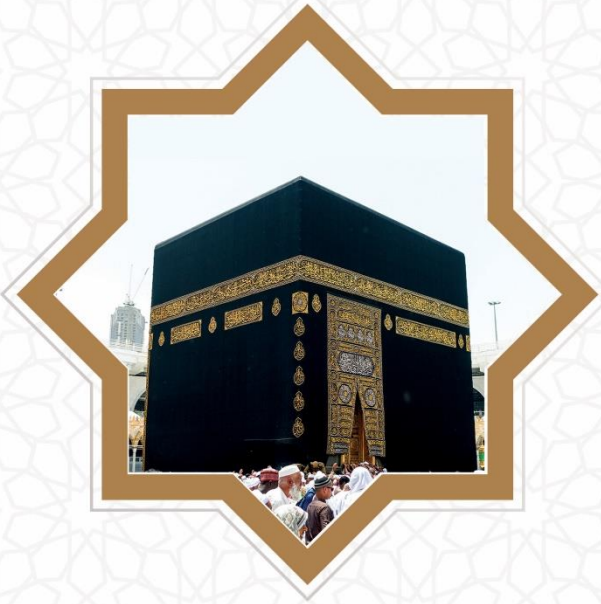

تأملات قرآنية

فؤاد بن علي قاضي

الطبعة الأولى ١٤٤٤هـ

ح فؤاد علي عبد الرحيم قاضي ، ١٤٤٤ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

قاضي ، فؤاد بن علي بن عبد الرحيم
تأملات قرآنية. / فؤاد بن علي بن عبد الرحيم قاضي - ط٠١,-
مكة المكرمة ، ١٤٤٤ هـ

٣٢٩ ص ؛ ١٧×٢٤سم

ردمك: ٣-٤٦٤٨-٠٤-٦٠٣-٩٧٨

١- القرآن - مباحث عامة أ.العنوان

ديوي ٢٢٩ ١٤٤٤/٦٣٣٥

رقم الإيداع: ١٤٤٤/٦٣٣٥
ردمك: ٣-٤٦٤٨-٠٤-٦٠٣-٩٧٨

تأملات قرآنية

فؤاد بن علي قاضي

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

نسق

للصف والإخراج

nasaq.saff@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا • يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أمّا بعد..

فإن بين يدي هذه التأملات القرآنية -التي وفق الله تعالى لكتابتها- سؤال أود طرحه: كيف أحدث القرآن الكريم صدمته الحضارية في مجتمع قريش؛ إبان تنزله على سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم؟

الجواب: إن كل من أراد خوض غِمار الحديث أو الكتابة عن مصطلح "الصدمة الحضارية" في عصرنا هذا؛ فإنه لن يبرح أن يحوم حول الحديث عن صدمة إنسان كان يعيش في بلد منعزل عن الحياة العصرية، ثم انتقل فجأة لصخب وضجيج مدينة نيويورك أو طوكيو أو برلين، وسط كتل متحركة وساكنة من المنتجات المادية المبهرة، في بيئات خالف أهلها فِطرهم.. ودفعوا النساء فيها ليزاحموا الرجال اختصاصاتهم، فتخلفت تبعا لذلك وعجزت البيوت عن القيام بدورها الأهم.. رعاية الإنسان في طوره الطفولي الهام.

ثم استكملت الصدمة حلقاتها في تحوير النازح الجديد؛ الذي عاش حقبة من عمره بمعزل عن كل هذا الصخب، ليفقد مع الفاقدين قبله –من صُنَّاع تلك الحضارة– خصائصه التي خصه الله بها، وأخرى خَص بها زوجته.. فأخذ يقوي مع سابقيه بناء ذلك المجتمع الصاخب بحضارته الكارثية، وبصدماته القاتلة لفطرة الإنسان.

غير أن الصدمة الحضارية الأقوى بامتياز في تاريخ البشرية؛ والأطهر والأصفى –والتي على الناس استنشاق عبيرها الفواح بالسعادة والأمن للبشرية جمعاء– هي تلك الصدمة التي رفضت أن تجمع للبشر بين التشريع للحضارة وبين صناعتها، فأبقت لهم الثانية –صناعة الحضارة– وسلّمت بالتشريع لمكوكب الكواكب؛ فاطر السماوات والأرض؛ خالق الإنسان؛ ومستخلفه في أرضه سبحانه، قال تعالى لقريش في عهد التنزيل –في آيات ضمن عشرات غيرها، هزت نفوسهم وصدمتها، وأعادت الكثير منهم إلى صائب التفكير، فعرفوا بنور هذه الآيات من هو مبدع الحضارات ومشرّعها–: **{قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ • سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ • قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ • سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا**

تَتَّقُونَ • قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ • سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ} [المؤمنون:٨٤-٨٩].

عرفت قريش -بآيات الوحي المطهر- من هو الآمر والناهي سبحانه.. عرفت من هو المضحك والمبكي سبحانه.. عرفت من هو المحيي المميت سبحانه.. بعد أن كانت تقول: **{أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}**[ص: ٥].

عرفته سبحانه المعرفة المثمرة.. وليس المعرفة الباردة الباهتة التي كانوا يعرفون الله تعالى بها قبل إسلامهم، والتي بسببها وصفهم القرآن الكريم بأنهم كالمسحورين الذين لا يتقون ولا يذّكرون.. كلمات ذَيّل الله تعالى بها آخر آيات التساؤل الآنفة الذكر.. وغيرها في كتاب الله تعالى كثير.

يا لها من حضارة مباركة بدأت بالعلم بالله تعالى.. بدأت بكلمة رب الكون: **{اقْرَأْ}** [العلق: ١].. فتعلم المسلمون -ببركة هذه الكلمة- علوم الدنيا والآخرة.

اللهم احفظنا بالإسلام قائمين.. واحفظنا بالإسلام قاعدين.. واحفظنا بالإسلام راقدين.. ولا تُشْمتْ بِنَا عدوا ولا حاسد..

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الكرام.

التأمل رقم (١)

نشرع -بتوفيق الله تعالى- في التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة...

قال الله تعالى: {**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**} [البقرة:٢٩].

كثيرًا ما نجد على قنوات اليوتيوب مقاطع عن الكون؛ وما فيه من مجرات لا تُعد ولا تُحصى؛ بنجومها وكواكبها، ومنها المجموعة الشمسية.. هذه المقاطع تعمد إلى تشكيل انطباع محدد في نفوسنا: أن أرضنا صغيرة جدًا جدًا في هذا الكون الفسيح..

ولذا أحببت أن أطرح بعضًا من التصورات التي يعرفها المسلم -بالنصوص الشرعية- عن أرضنا؛ الصغيرة في حجمها؛ الكبيرة في شأنها.

أولاً: خلقُ الأرض:

مع أن الله تعالى قادر على أن يخلق الأرض في لحظة؛ بقوله: "كن" إلا أنه سبحانه خلقها في يومين، وجعل فيها الجبال وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في يومين آخرين، فصار المجموع أربعة أيام، قال تعالى: {**وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ**}[فصلت:١٠].

أ- أمّا السماوات فخلقها سبحانه في يومين، قال تعالى: {**فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ**} [فصلت:١٢].

ب- ولو سأل سائل: أيهما خُلِق قبلُ؛ السماوات أم الأرض؟

الجواب: الأرض خلقها الله تعالى قبل السماوات، قال تعالى: {**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ**} [البقرة:٢٩].

ثانيًا: إنها الأرض:

التي خصها الله تعالى بوجود ألوان الحياة المختلفة على ظهرها؛ وفي باطنها؛ وداخل بحارها وأنهارها؛ والطير في أجوائها..

طينة هذه الأرض عجيبة من عجائب مخلوقات الله سبحانه تحيا -بقدرة الله تعالى- وتهتز وتربو لحظة سقيها بالماء -على اختلاف مساحتها؛ ولو كانت بحجم قارة-، قال تعالى: {**وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ**} [الحج:٥]، وقال تعالى: {**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ**} [الحج:٦٣]، وقد رأينا جميعا المساحات الخضراء الشاسعة بعد هطول الأمطار عليها..

ثالثًا: إنها الأرض:

التي خلق الله تعالى آدم عليه السلام من طينتها، قال تعالى: {**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ**} [المؤمنون:١٢]، قال أهل التفسير: "ولقد خلقنا آدم من طين مأخوذ من جميع الأرض".

ثم خص سبحانه الأرض من بين سائر النجوم والكواكب؛ لتكون موطنًا لأكرم خلقه؛ آدم عليه السلام وذريته.

رابعًا: إنها الأرض:

التي يأمن الكون -بمجراته- بأمنها.. فقد خصّها الله تعالى من بين سائر النجوم والكواكب؛ بوضع بيته الحرام فيها، فلا تقوم الساعة؛ ويفنى الكون ما دام الناس يحجون إلى بيته سبحانه، قال صلى الله عليه وسلم: (**لا تقوم الساعة حتى لا يُحج البيت**) [صححه الألباني في السلسلة الصحيحة: ٢٤٣٠].

وأخيرًا: لابد أن تدرك البشرية أن صلاح هذه الأرض يكون باتباع منهج الله تعالى؛ كما هو شأن أمة محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: {**الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**} [الحج:٤١].

وفساد هذه الأرض يكون بالإعراض عن منهج الله تعالى؛ كما هو حال غير المسلمين، فينتشر الشرك وتنتكس الأخلاق وتظهر الإباحية والشذوذ، قال تعالى: {**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا**} [الأعراف:٥٦]، قال أهل التفسير: "ولا تُفْسدوا في الأرض بأيِّ نوع من أنواع الفساد، بعد إصلاح الله إياها ببعثة الرسل عليهم السلام وعُمْرانها بطاعة الله".

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك..

التأمل رقم (٢)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة...

قال الله تعالى: {**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**} [البقرة:١٠٧].

كثيرة هي الآيات القرآنية التي بين لنا ربنا سبحانه فيها أن له مُلك السماوات والأرض وكثرتها دلالة على عظيم معناها.. فدعونا نتأمل جانبا من جوانب هذا المعنى العظيم؛ أن لله تعالى مُلك السماوات والأرض.

وقبل التأمل في قوله تعالى: {**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**}؛ علينا أن نقرر قاعدة مهمة:

إن ممّا يعين على استشعار آيات التعظيم لله تعالى؛ تذكر ما قاله ربنا تعالى عن فقر وضعف الآلهة التي تُعبد من دون الله تعالى، وكذلك فقر وضعف البشر أنفسهم، فأمّا عن فقر وضعف الآلهة التي تُعبد من دون الله؛ فقال تعالى: {**قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ**} [فاطر:٤٠]، وغيرها من آيات القرآن الكريم، وأمّا عن فقر وضعف البشر؛ فقال تعالى: {**وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ**} [محمد: ٣٨]، وغيرها من آيات القرآن الكريم، كل هذه الآيات القرآنية تبين: أن

استحضار ضعف الآلهة التي تُعبد من دون الله تعالى؛ واستحضار ضعف البشر؛ مقصد قرآني عند التأمل فيما ورد من آيات التعظيم لله العلي العظيم.

وبالمثال تتضح قاعدة المقارنة الآنفة الذكر:

لو أن أحدنا زار حديقة قصر من القصور؛ ووجد فيها مائة نخلة لا شك أنه سيندهش لكثرة أشجار النخيل في حديقة قصر واحد، فإن قيل لهذا المندهش بعد ذلك إن هناك مزرعة وقفية للشيخ صالح الراجحي -رحمه الله تعالى- في القصيم؛ تضم مائتي ألف نخلة؛ وهي أكبر مزرعة نخيل في العالم.. لا شك أن الاندهاش سيكون أعظم، حيث أبرزت هذه المقارنة ضخامة مزرعة المائتي ألف نخلة؛ مقارنة بحديقة المائة نخلة.

لله المثل الأعلى.. دعونا الآن نستخدم مساحة مزرعة الشيخ الراجحي التي تقع شرق بريدة ونقارنها **أولاً**: بملك الله تعالى للأرض. لا شك أنه لا مقارنة البتة بين مساحة مزرعة لم تغطّ سوى جزءٍ يسيرٍ من أرض القصيم؛ وبين مساحة الأرض كلها؛ ظاهرها وباطنها، قال تعالى: {**قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ • سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**} [المؤمنون:٨٤-٨٥].

فكيف لو قارنا تلك المزرعة بملك الله تعالى لمجرّة درب التبّانة؛ المجرة التي تنتمي إليها مجموعتنا الشمسية، وتشتمل على مئات البلايين من النجوم؟ فكيف لو قارناها بمُلك الله تعالى لحوالي (٢٠٠) مليار مجرّة في الكون المرئي؟! قال تعالى: {**قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ • سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ**} [المؤمنون:٨٦-٨٧].

هذه الأرقام الفلكية للمجرّات وتوابعها من نجوم وغيرها؛ هو ما يتناقله علماء الفلك، وفقا لما فتح الله تعالى عليهم من علم في هذا المجال، ولا يعلم حقيقة هذه الأرقام إلا خالق هذا الكون سبحانه.. فكيف والكون في توسّع

مستمر؛ كما قال تعالى: {**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**} [الذاريات:٤٧]؟

أخيرًا: لابد أن يُبرِز دعاة الإسلام مُلك الله تعالى للسماوات والأرض؛ عند حديثهم عن الله العلي العظيم؛ كما فعل سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم في دعوته، قال تعالى: {**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**} [الأعراف: ١٥٨].

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك..

التأمل رقم (٣)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة...

قال الله تعالى: {**صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ**} [البقرة:١٣٨]، قال أهل التفسير: "الزموا دين الله الذي فطركم عليه، فليس هناك أحسنُ مِن فطرة الله التي فطر الناس عليها، فالزموها وقولوا نحن خاضعون مطيعون لربنا في اتباعنا ملَّة إبراهيم".

في مثل عصرنا؛ الذي صورت فيه العولمة الغربية البغيضة للبشرية أن الدين شأن خاص بين العبد وربه؛ وأن الحياة المادية هي ميدان التسابق بين البشر؛ وأن الآخرة يكفيها اليسير من التفكير الخالي من تصور أحداثها العِظام؛ التي أكثر القرآن الكريم من ذِكرها، ما أدى إلى تأثر غير المسلمين بفلسفة تلك العولمة تأثرًا كبيرًا؛ فنبذوا أديانهم وراء ظهورهم؛ وعمّ الإلحاد بلدانهم؛ وزادوا ضلالاً بعيدًا عمّا كانوا عليه من الضلال والشرك والبعد عن الدين الحق.

في مثل هذا العصر؛ يتحتم على المسلمين حماية أنفسهم من العولمة وفلسفتها؛ بتعميق معاني القرآن العظيم في نفوس الناس، كقوله تعالى -في الآية التي هي موضع التأمل-: {**صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ**}.

إن اختيار العليم الحكيم لكلمة {**صِبْغَةَ**} في الآية الكريمة يختصر لنا ماهية هذا الدين، وأنه كالصبغة التي لا تترك في الثوب المصبوغ بقعة إلا غيّرتها.

وهكذا دين الإسلام القويم؛ لا يترك عملا يقوم به الإنسان إلا وصبغة الإسلام –الذي هو دين الفطرة– قد وجهته الوجهة المثلى.

إن قول الله تعالى: {**صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ**}؛ يعني توجيه حياة الإنسان كلها وفق منهج الله تعالى؛ منذ بلوغه وحتى يُلحد في قبره، وهذا ما يسعده في دنياه وآخرته.. ويحيا بالقرآن قلبه، ويكون له نورًا يمشي به في الناس، قال تعالى: {**أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا**} [الأنعام: ١٢٢].

وأخيرًا: في مقابل التصور المنحرف للعولمة –الذي أشرت إليه في مقدمة المقال– نجد أن المعيار الذي وضعه سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم للنظر إلى الدنيا والآخرة هو قوله: (**من كانت الدُّنيا همَّه، فرَّق اللهُ عليه أمرَه، وجعل فقرَه بين عينَيْه، ولم يأْتِه من الدُّنيا إلَّا ما كُتِب له، ومن كانت الآخرةُ نيَّتَه، جمع اللهُ له أمرَه، وجعل غناه في قلبِه، وأتته الدُّنيا وهي راغمة**) [صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٥٠)].

هذا وإن من أعظم معاني قوله صلى الله عليه وسلم: (ومن كانت الآخرةُ نيَّتَه)؛ أن يكون رضا الله تعالى همّه، فينقاد لمنهجه القويم في هذه الدنيا؛ الذي يدله إلى أفضل وأعظم ما يرفعه في كل مجالاتها؛ التعبدية والاقتصادية والاجتماعية.. إلى آخره، فتأتيه الدنيا وهي راغمة؛ كما قال صلى الله عليه وسلم.. وهذا ما يحصل للأمة المسلمة طوال تاريخها المديد، كلما كان همُّها الآخرة؛ أتتها الدنيا وهي راغمة.. فالدنيا والآخرة ملك لله تعالى، قال تعالى: {**من كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا**} [النساء: ١٣٤].

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك..

التأمل رقم (٤)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة...

قال الله تعالى: {**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**} [البقرة: ١٤٣].

لابد من استشعار واجبنا تجاه واقع غير المسلمين المرير في هذا العصر؛ وبُعدهُم عن خالقهم العظيم.

فأهم ما في هذا الموضوع هو سؤال الله تعالى التوفيق في توصيف هذه الغفلة عند غير المسلمين؛ بحيث يستوعب القارئ كبرها وعظيم خطرها.

ينصبّ حديثي حول نظرة الإسلام في المناهج -عقائد؛ وعبادات؛ وتعاملات- التي شرعها أكثر من خمس مليارات من غير المسلمين لأنفسهم، وعن مصيرهم لو ماتوا على ما هم فيه من تيهٍ وضياع، وبذلك يتجلى لكل أحد أن الدين عند الله تعالى هو الإسلام، ولا يقبل الله تعالى من البشرية دينًا سواه، قال تعالى: {**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**} [آل عمران: ٨٥].

كما يتجلى معنى قوله تعالى: {**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**} [الكافرون: ٦]؛ من سورة الكافرون التي نزلت للبراءة من الشرك وأهله، لا كما يفهمها البعض من

أن الآية الكريمة تقرّ حرية العقيدة، وأنها تقرّ غير المسلمين على دينهم، بل على العكس تمامًا، فقد بيّن صلى الله عليه وسلم أن سورة الكافرون براءة من الشرك. [صححه الألباني في صحيح الجامع (١١٦١)]، قال أهل التفسير: {**لَكُمْ دِينُكُمْ**} الشرك، {**وَلِيَ دِينِ**} الإسلام.

صحيح أن الأرض لن تخلو من أناسٍ يدينون بغير الإسلام.. لكن نحن نعلم أنهم على باطل، وأن الإسلام لا يقرّهم على شركهم وباطلهم.. وقد أعدّ الله تعالى لمن يختار الشرك والكفر نار جهنم، قال تعالى: {**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا**} [الكهف: ٢٩].

وأهمية الموضوع تكمن في ضرورة استحضار المسلمين للانتكاسة التي بلغت ذروتها في التعامل مع الله تعالى من قبل غير المسلمين، هذا الاستحضار سيدفع المسلمين إلى زيادة التمسك بدينهم الحق؛ حتى لا ينحدروا كما انحدر غيرهم، وحتى لا يكونوا فتنة لغير المسلمين، لأنه ممّا زاد الطين بلّة فتور وبرود وبُعد كثيرٍ من المسلمين عن تمثُّل قيم دينهم؛ وإبراز الصورة الحقيقية التي رسمتها لهم آيات الكتاب الكريم عن المنهج القويم للعيش في الحياة الدنيا؛ كما أراد الله تعالى، فلم يكونوا بذلك قدوة يتأثر بها غير المسلمين.. إلا ما رحم ربي، وقليلٌ ما هم.

أقول في وصف واقع غير المسلمين المرير؛ وبالله التوفيق:

تمضي هذه المليارات من غير المسلمين مطلع كل يوم إلى أعمالها، وتمضي باقي المخلوقات من طيور وأنعام كذلك للبحث عن أرزاقها، لكن الفارق بين

الاثنين أن الطيور والأنعام تسبّح بحمد ربها، بينما غير المسلم يسبّح بحمد المادة أو غيرها من الآلهة التي جعلها لله ندًا وشريكًا؛ كعيسى عليه السلام أو بوذا أو أهوائهم، قال تعالى: {**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ**} [الجاثية:٢٣].

الله تعالى إله واحد، قال تعالى: {**هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**} [إبراهيم:٥٢]، وهناك جنة ونار مخلوقتان، وغير المسلمين لا يحملون أدنى إحساسٍ تجاه الإله الواحد؛ ولا تجاه جنته وناره.

وكأنما الحديث عن الدين الحق هو حديث لا صلة لهم به، وكأنهم خلق آخر قد خُلِقُوا من غير شيء؛ أو كانوا هم الخالقين لأنفسهم.

إننا حينما نتكلم عن هذا الموضوع لا نتكلم عن تصورات من عند أنفسنا، بل من عند خالقنا سبحانه، وقد ينسى الإنسان أو يتناسى أشياء كثيرة؛ إلا رسالته في الحياة التي نص عليها القرآن الكريم، فيجب عليه ألا ينساها، قال تعالى: {**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**} [النحل: ٣٦]، وهي رسالة أرسل الله بها عشرات الألوف من الرسل والأنبياء عليهم السلام؛ ليعيش الناس وفق هذه الرسالة في الحياة الدنيا، وهي التي ارتضاها الله تعالى وضمّنها كتابه الكريم، بل إن نسيان الرسالة الربانية مؤذنة بأن ينسيه الله نفسه، قال تعالى: {**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**} [الحشر:١٩].

إن الذي ينسيه الله نفسه –فلا يبصر حقيقة ما يريده الله تعالى منه في هذه الدنيا– لهو أشد عمى من كفيف فاقد للبصر، وأشد تيهًا ممّن ضَل في صحراء شاسعة، وسيكون أشد عمى وضلالاً يوم القيامة، قال تعالى: {**وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا**} [الإسراء:٧٣].

أخيرًا: كيف يمكن لإنسان -أيًا كان- أن يعيش على هذه الأرض متنكّبًا منهج الله القويم إلا أن يكون ميتا؟! وهذه هي الحقيقة التي أقرها القرآن الكريم: أن كل من تنكّب الصراط المستقيم فهو ميت، قال تعالى: {**أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**} [الأنعام:١٣٢]، بنور القرآن أحيا الله أمواتًا -كما سمّاهم القرآن- كانوا ذاهلين عن حقيقة منهج الحياة الدنيا الذي يرضي الإله سبحانه.

وعليه؛ فإننا نجزم أن في الأرض اليوم أكثر من خمس مليارات من البشر من غير المسلمين في عداد الموتى، فهلا استنفرنا أنفسنا لزيادة التمسك بديننا؛ ومن ثمّ القيام بواجب الدعوة تجاه هؤلاء الموتى؛ لإحيائهم بالدعوة إلى كتاب الله؛ علّهم يرجعون للحياة الطيبة في الدنيا ثم الجنة في الآخرة.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (٥)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**} [البقرة:١٦٤].

لطالما طرأ على البال سؤال: ما الذي يدفع البعض منّا للاستمتاع برؤية المعارض والمتاحف التي يقيمها البشر -على مختلف أنواعها- وما تحويه من صناعات أو لوحات وغيرها. ثم تجد هذا البعض تفوته المتعة الإيمانية بما يعرضه الله تعالى في كتابه الكريم؛ عن عظيم ما خلق سبحانه في هذا الكون الفسيح؛ وعلى هذه الأرض التي نعيش فيها؟!

الجواب: الذي يدفع الناس للاستمتاع بالمعارض والمتاحف التي يقيمها البشر؛ هو أنهم يقصدون الذهاب إليها، والنظر والتأمل فيها، بل ودفع الرسوم لدخولها، أو حتى السفر للوصول لها.

لله المثل الأعلى.. نحن نعيش داخل معرض رباني كبير وعظيم.. معرض سقفه السماء كلها.. وأرضه الأرض كلها.. معرض يعجّ بألوان الحياة.. نمضي نهارنا فيه، وكذلك ليلنا.. يأمرنا الله تعالى بالنظر إلى مكوناته، من ذلك: النظر

إلى ثمرات النبات، قال تعالى: {**انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**} [الأنعام:٩٩]، ويأجرنا سبحانه على نظرنا وتأملنا، ويزداد بذلك إيماننا بالله الخلاق العليم.

والذي يحتاجه المسلم تجاه هذا المعرض الرباني الكبير؛ هو أن يقف متأملاً متدبرًا لآي الكتاب الكريم. فقد أمرنا الله تعالى بتدبر آياته، قال تعالى: {**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ**} [ص:٢٩]، وأن يخشى إن هو لم يتدبر كلام ربه؛ أن يتشبه بصفة من صفات قوم قال الله تعالى فيهم: {**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**} [محمد:٢٤].

هذه الآية الكريمة: {**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**}؛ إنما هي مثال واحد من مئات الآيات التي يعرض الله تعالى فيها عظيم ما خلق؛ داخل هذا المعرض الرباني العظيم.

دعني أيها القارئ الكريم أتدبر معك هذه الآية الكريمة التي اخترتها في هذا المقال، والتي تنقلنا من مشهد لآخر داخل هذا المعرض الرباني الكبير.

تبدأ الآية الكريمة بذكر السماء من فوقنا والأرض من تحتنا.. ما أعظمها وما أجملها وما أوسعها من سماء، وما أغناها وما أمهدها وما أقرها من أرض.

ثم اختلاف الليل والنهار.. بغياب الشمس أمام أعيننا كل مساء؛ ليدخل الليل بسكونه، وبزوغها كل صباح؛ ليدخل النهار بمعاشه.

كما أعادت الآية الكريمة للذاكرة كيف تجوب السفن -بقدرة الله تعالى- البحار الزاخرة. وها هي السفن اليوم على اختلاف أنواعها؛ في البحر كالأعلام.

أمّا هطول الأمطار لتحيا بها الأرض من بعد موتها؛ فما أعظمه وما أجله من مشهد. ملايين الأطنان من المياه نازلة، لتصبح الأرض بعدها مخضرّة.. ولا يحصي عدد النباتات ولا عدد الدواب في هذه الأرض إلا الله العليم القدير.

ثم تصريف الرياح والسحاب المسخّر بين السماء والأرض.

وتختم الآية الكريمة بذكر العقلاء؛ الذين يَرَوْن فيما ذكره الله تعالى من عظيم مخلوقاته؛ آيات: {**لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**}! قد ساقهم تدبرهم للآية الكريمة إلى مزيد من التبصر والتفكر في آيات ودلائل وحدانية الله تعالى؛ الواحد الأحد الفرد الصمد.

آية واحدة من كتاب الله الكريم أعادت التأمل في كل هذه الأمور العظيمة؛ التي خلقها الله تعالى لنا في هذا المعرض الرباني الكبير. فكيف عساه يكون أثر باقي آيات الكتاب العزيز لو تأملناها؟!

هناك آيات تفردت بالحديث عن البحار.

وآيات تفردت بالحديث عن النبات.

وآيات تفردت بالحديث عن الشمس والقمر والنجوم.

وآيات تفردت بالحديث عن بهيمة الأنعام.

وغيرها من المخلوقات التي تحدث القرآن الكريم عنها.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك..

التأمل رقم (٦)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**} [البقرة: ١٧٩].

وقعت خلال شهر مارس عام ٢٠٢١م مذبحة مروّعة في متجر في مدينة بولدر في ولاية كولورادو بالولايات المتحدة الأمريكية؛ راح ضحيتها عشرة أشخاص، وكان منفذ المذبحة شخصًا واحدًا.

وسبق ذلك بأسبوع وقوع مذبحة في مدينة أتلانتا بولاية جورجيا؛ راح ضحيتها ثمانية أشخاص، وكان منفذ المذبحة كذلك شخصًا واحدًا.

تقع هذه المذابح بشكل متكرر في كل عام، ليعود بعدها -إلى الساحة الإعلامية هناك- الجدل القديم الجديد بين:

الحزب الجمهوري؛ الذي يرفض وضع أي قيود على شراء الأفراد للأسلحة والذخائر أو الرقابة عليها.

والحزب الديمقراطي؛ الذي يطالب بضرورة وضع قيود من قبل الحكومة على بيع وشراء الأسلحة، وخاصة بيع الأسلحة للمدنيين مثل: (RA١٥)، وهي شبيهة بالتي يستعملها الجيش في الحروب؛ كونها أشدّ فتكًا من المسدسات.

وكلا الحزبين يرى أن لديه الحل الأمثل لهذه المذابح.

وإنني لأجدها فرصة سانحة -خاصة وأنا ممن درس في أمريكا، في مدينة نيويورك في السبعينات الميلادية، وسمعت بهذه المذابح والجدل حولها عن قُرب- أجدها فرصة لأطرح سؤالاً تعقيبًا على هذه المذابح والجدل الذي يدور حولها في أمريكا:

من هم هؤلاء البشر؛ حتى يظنوا أنهم قادرون على وضع حلٍّ لمشكلة هذه المذابح؟!

وفي المقابل -واقتداء بأسلوب من أساليب القرآن الكريم في التعريف بالله تعالى عن طريق السؤال، قال تعالى: {**قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**} [المؤمنون:٨٦] - نسأل: من هو الله تعالى -جل جلاله- الذي يستحق العبادة والتشريع؛ من ذلك التشريع لمواجهة جريمة القتل بغير حق؟!

الجواب:

أمّا البشر.. فهم خلق من خلق الله تعالى.. يريدون -بالرغم من ضعفهم وقصورهم واتباعهم لأهوائهم؛ كميل السياسيين لأجندة أحزابهم في موضوع السلاح في أمريكا- يريدون أن يقدموا لبشر مثلهم حلولاً لمشكلة من أكبر وأخطر المشاكل في هذه الدنيا؛ قتل النفس البشرية بغير حق.

أولئك هم البشر.. أمّا الله تعالى المستحق للعبادة والتشريع:

فهو سبحانه من له الأسماء الحسنى والصفات العليا، قال تعالى: {**اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ**} [طه: ٨].، وقال صلى الله عليه وسلم: (**إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مئة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة**) [متفق عليه].

هو الله تعالى خالق الإنسان ورازقه ومميته ومحييه بعد الموت، قال تعالى: {**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ**} [الروم: ٤٠].

هو الله تعالى الذي لم يترك الخلق سُدى وهملا بعد خلْقِهم؛ بل أنزل لهم -بعلمه وحكمته- شريعة يهتدون بها، قال تعالى: {**ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**} [الجاثية: ١٨]! وحصر سبحانه وتعالى التشريع فيه، فقال تعالى: {**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ**} [الشورى: ٢١].

هو الله تعالى الذي حرّم على الإنسان أن يغتاب الإنسان، فكيف بقتله، قال تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا**} [الحجرات: ١٢]؟!

هو الله تعالى الذي جمع في شرعه الحكيم لمواجهة جرائم القتل بغير حق بين أمرين:

الردع الدنيوي: تشريع رباني؛ كان قد شُرِع لبني إسرائيل، وهو شرع لنا -كما نص على ذلك أهل العلم- قال تعالى: {**وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ**} [المائدة: ٤٥].

والردع الأخروي: وعيد رباني، قال تعالى: {**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**} [النساء:٩٣]! وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم: (**لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِن دِينِهِ، ما لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا**) [رواه البخاري (٦٨٦٢)].

وأخيرًا: إنني لا أشك لحظة أن مفكّري الحضارة المادية يسمعون عن أحكام القصاص في الإسلام، لذا أقول:

متى ينتبه هؤلاء الغافلون –الذين يريدون وضع حلول من عند أنفسهم لأعظم جريمة من جرائم البشر؛ قتل النفس بغير حق– متى ينتبهوا إلى معنى قوله تعالى: {**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**}؟!

بل متى ينتبه هؤلاء الغافلون إلى أن الإله الذي يعبده أهل السماء ويطيعونه؛ هو نفسه سبحانه الإله الذي يجب أن يعبده أهل الأرض ويطيعونه، قال تعالى: {**وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ**} [الزخرف: ٨٤]؟!

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (٧)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**} [البقرة: ١٨٥].

مع حلول أعياد غير المسلمين في كل مرة؛ نتساءل.. هل عرفنا السبب وراء كثرة أعياد؟!

أمّا كونها كثيرة، فنعم هي كثيرة. فقد عددت في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها؛ العشرات، بعضها أعياد قومية -لا تزيد عن عدد أصابع اليدين- تحتفل بها جميع الولايات، والباقي تتوزعها الولايات، فلكل ولاية أكثر من عيد خاص بها.

ولكثرتها عندهم -واقتصارها على عيدي الفطر والأضحى عند أهل الإسلام؛ أينما كانوا- سبب جوهري؛ يعكس عظمة الدين الإسلامي القويم.

نحن أهل الإسلام لدينا منهج إلهي عظيم؛ قد ملأ علينا حياتنا، بل وساعاتنا، بل ولحظاتنا؛ بعبادات وتعاملات عظيمة قويمة؛ هدانا الله تعالى إليها. فنحن في حراك اجتماعي متنوع على الدوام. يتقابل فيه المسلمون خمس مرات في الْيوم والليلة؛ متحابين في الله؛ لأداء صلواتهم. بر للوالدين.. صلة للأرحام.. صلة للجيران.. صلاة الجمعة؛ التي هدانا الله إليها وضلّ غيرنا

عنها.. عطف على الفقراء والمساكين.. حقوق المسلم على أخيه المسلم.. مشاركات في الأفراح والأتراح، وغير ذلك كثير؛ من هدي خير العباد صلى الله عليه وسلم.

أمّا من خلت حياتهم من منهج الإسلام؛ فقد وصلوا في ضعف روابطهم ببعض إلى أن يُودِعوا آباءهم وأمهاتهم في دار العجزة؛ عندما يبلغ أحدهما الكِبَر أو كلاهما. احتاجوا مع هذا الخواء إلى افتعال أعياد كثيرة؛ تملأ عليهم فراغهم الروحي والاجتماعي القاتل، ولو بأعياد شركية، كعيدٍ يزعمون أنه يوم ولادة الرب -تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا- أو هزلية كعيد الهالوين. وفيه تُنصب الأشباح القماشية في مقدمة البيوت، وتُقرأ القصص المخيفة، وتُنحت ثمرة القرع، في جو هزلي مخيف. أمّا أعياد شرب الخمور؛ وما ينتج عنها من خبال ووبال وجرائم؛ تُستنفر فيها الأجهزة الأمنية؛ فهي عديدة، وأقربها عيد رأس السنة الصاخب المعيب.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

۞۞۞

التأمل رقم (٨)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ**} [البقرة: ١٨٧].

الآية الكريمة تدل على علم الله تعالى الواسع الذي أحاط بكل شيء. من ذلك: علمه سبحانه بما يدور داخل كل بيت من بيوت البشرية كلها؛ من تعاملات ظاهرة وباطنة.

نزلت الآية الكريمة لتخبرنا عن علم الله تعالى بما كان يدور في بيوت بعض الصحابة رضوان الله عليهم: {**عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ**}؛ فتاب عليهم وعفا عنهم سبحانه: {**فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ**}.

ولنا مع الآية الكريمة وقفتان:

الوقفة الأولى: فرحة كبيرة غامرة تغشى نفس المسلم حين يعود من المسجد إلى بيته؛ موقنًا أن ربه الرحمن الرحيم -الذي سجد له وركع في المسجد- لا يزال معه في بيته؛ بعلمه سبحانه.

إن من يحظى بإله عظيم جواد كريم -يكون مع الإنسان -بعلمه سبحانه- في كل مكان وعلى أي حال؛ في المسجد والبيت والسوق وفي مكان عمله- فإنه يحظى بأكبر النعم.

ولتقريب هذه النِعمة العظيمة -وهي أن الله تعالى معنا بعلمه أينما نكون- أقول:

لو أن موظفًا حظي برعاية من مديره -بالسؤال عنه مرة في الشهر؛ خارج الدوام؛ ليطمئن على أحواله في بيته، وهل هو سعيد؛ أو أن هناك ما يكدر عليه صفو الحياة؟!- لا شك أن هذا الموظف سيرى في مديره الإحسان والطِيب والرحمة؛ لسؤاله عنه والاطمئنان عليه، حتى ولو كان ذلك السؤال مرة في الشهر فقط.

ولله المثل الأعلى.. فكيف بالله تعالى خالقنا -من له الأسماء الحسنى والصفات العلا- الذي يعلم جميع أحوالنا، وهو سبحانه معنا بعلمه أينما نكون؛ ليلا ونهارا؟! بل وينزل سبحانه كل ليلة -نزولا يليق بجلاله- قال صلى الله عليه وسلم: (**ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له، حتى ينفجر الفجر**) [متفق عليه]. كما أنه هو سبحانه من يحفظنا بالليل والنهار، قال تعالى: {**قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ**} [الأنبياء: ٤٢].

لذلك كم هو جميل ومهمّ أن نذكِّر أنفسنا وأهلينا بهذه النعمة العظيمة.. عِلم الله تعالى بما نقول ونفعل داخل بيوتنا. وأن يكون مدخلنا في هذا التذكير؛ تدارس أسماء الله الحسنى. لعلّ الله تعالى أن يرزقنا خشيته وذكره آناء الليل وأطراف النهار؟!

الوقفة الثانية: وهي وقفة أبدأها بسؤال: ما الناتج الطبيعي للأُسر المسلمة؛ التي أيقنت من قوله تعالى: {**عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ**}؛ أن الله تعالى يعلم ما يقع داخل بيوتها من تعاملات؛ ظاهرة وباطنة؛ فانقادت إلى منهج الله تعالى الذي ارتضاه لها؟!

الجواب: الناتج بلا ريب؛ هو مجتمعات صالحة؛ لاحتوائها هذه الأُسر المطمئنة.

وأخيرًا: فهذه خاتمة لابد منها:

إن مجتمعات المسلمين الصالحة -بأُسَرِها المطمئنة- تشكّل أعظم دعوةٍ لغير المسلمين إلى دين الإسلام العظيم؛ وشريعته الغراء؛ التي نظمت شؤون الحياة كلها، ومنها حياة الأسرة. خاصة في هذا العصر الذي شقي فيه غير المسلمين، وتفككت أُسرهم؛ لعدم إيمانهم بالإله الحق؛ الله رب العالمين، فحكّموا أهواءهم داخل بيوتهم؛ بدلا من شريعة ربهم العليم الحكيم.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

۞۞۞

التأمل رقم (٩)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: **{كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً}** [البقرة: ٢١٣].

كيف تنازل غير المسلمين عن القيم الربانية الصحيحة، وانحدروا إلى هذا المستنقع الأخلاقي البشع؟!

جوابان، قصير وطويل: أمّا القصير فهو بسبب تمردهم على منهج خالقهم سبحانه؛ الذي خلقهم ويعلم ما يصلح أحوالهم.

وأمّا الطويل: فهو خطأ غريب وغبي في فكرته، كبير كبير في سلبيته وخيبته.

كان بالإمكان تلافي هذا الدمار الأخلاقي الذي حلّ بمجتمعات غير المسلمين؛ لو أنهم نظروا للإنسان كما ينظرون إلى الشمس؛ في كونها ثابتة في أداء دورها الذي لا يتغير؛ سراجا وهاجا، بدلا من وصم الإنسان بالتغير. فهو عندهم بدائي -بزعمهم- حين عاش فيما أسموه بالعصر الحجري، وعصريا كما يرونه اليوم في القرن العشرين.

وليتهم تذكروا أن هذا الإنسان يولد اليوم؛ كما كان يولد في حقبة آدم عليه السلام؛ جنينا بريئا؛ على الفطرة السوية، لتأتي الأيدي الآثمة تصرف بعض هؤلاء عن سواء السبيل.

نقول لهؤلاء الذين يقولون إن الإنسان كان في أول تاريخه على الأرض بدائيا: لقد عاش هذا الإنسان مع إخوانه -أول عشرة قرون على هذه الأرض؛ بعد خروج آدم عليه السلام من الجنة- مقيما على التوحيد معتصما بالله تعالى، قال تعالى في الآية التي هي موضع التأمل: {**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً**}، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين. [تفسير الطبري (٤/ ٢٧٥)].

ومما زاد هؤلاء العمي عمى؛ أنهم نظروا إلى تغير بيئة الإنسان من زراعية إلى صناعية؛ أو العكس، وفقيرة أو غنية، فصدّق عليهم إبليس ظنه، وأوحى إلى أوليائه أن الإنسان لابد أن يتغير في هذه البيئات المتغيرة.

وبالرغم مما يرونه من نتائج وخيمة وجرائم أليمة جراء نظرتهم للإنسان المتغير في قيمه -بزعمهم- إلا أنهم لا يزالون يتفلتون منها أكثر وأكثر؛ مع مرور الزمن.

لا زلت أذكر حينما كنت أدرس في الولايات المتحدة الأمريكية قبل أكثر من أربعين سنة؛ صورة مرسومة على ساحل البحر؛ في كتاب التاريخ الأمريكي -عن النازحين الأوربيين الأوائل إلى أمريكا، فيما يسمى بعهد البيورتن- تظهر المرأة فيها محتشمة، بثياب ساترة ومنديل على الرأس، وزوجها هو الذي يسبح في البحر فقط. ثم انظر إلى الإباحية التي انتشرت في مجتمعاتهم.

وحتى يتعرف القارئ الكريم إلى تفسخ غير المسلمين من القيم تدريجيا مع مرور الزمن؛ فإنني أسوق له ما رأيته يوما في ندوة تلفزيونية عرضتها قناة إخبارية مشهورة في أمريكا، يتبجح بعض المثليين الشاذين فيها؛ كيف أنهم قد انتهى بهم المطاف لنيل حقوقهم وحماية القانون لهم -ويضيفوا- بعد أن كان الإعلام

في أمريكا قبل خمسين سنة يطلق دعايات على شاشة التلفاز؛ تحذر من الشذوذ الجنسي؛ وانحراف أصحابه.

فالمسألة مسألة وقت، ثم يتخلّوا عن كل القيم التي ترتبط بالحياة السوية للإنسان، وصدق الله تعالى القائل: {**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**} [الأعراف: ١٧٩].

أخيرًا: أين ذهبت تلك القيم؟! وما سبب زوالها؟! لا شك أنها قيم لم تكن لتستند على أساس راسخ من الإيمان بالله واليوم الآخر. فتلاشت مع عواصف الباطل العاتية، قال تعالى: {**وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ**} [إبراهيم: ٢٦] قال أهل التفسير: "ومثل كلمة خبيثة –وهي كلمة الكفر– كشجرة خبيثة المأكل والمطعم، وهي شجرة الحنظل، اقتلعت من أعلى الأرض؛ لأن عروقها قريبة من سطح الأرض ما لها أصل ثابت، ولا فرع صاعد، وكذلك الكافر لا ثبات له ولا خير فيه، ولا يُرْفَع له عمل صالح إلى الله.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (١٠)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**} [البقرة: ٢٥٨]، قال أهل التفسير: "الظالمين لا يهديهم الله إلى الحق والصواب".

قد يفهم البعض من قوله تعالى: {**وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**}؛ أي لا يهديهم -إذا لم يتوبوا- إلى التوحيد ونبذ الشرك، وهذا صحيح، غير أنه لا يقتصر على ذلك فقط.

فقد بين الله تعالى في كتابه أنه لا يهدي الظالمين -إذا لم يتوبوا- في أمور كثيرة في هذه الدنيا، ناهيك عن عدم هدايتهم إلى التوحيد، من ذلك:

أن الله تعالى لا يهدي الظالمين -إذا لم يتوبوا- لا يهديهم إلى فَهْم الحجج والأدلة الدالة على عظمته سبحانه وشريعته وأحكامها؛ كما قال ذلك أهل التفسير في معنى قوله تعالى: {**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ**} [الأعراف: ١٤٦]، فتأمل أخي المسلم كيف صرف الله تعالى في هذا العصر؛ من ظنوا أنهم قد بلغوا الدرجة العالية في معرفة قوانين الطبيعة؛

كيف صرفهم سبحانه عن فَهْم الحجج والأدلة الدالة على عظمته سبحانه وشريعته وأحكامها؟!

كذلك لا يهدي الله تعالى الظالمين -إذا لم يتوبوا- لا يهديهم إلى نعمة التفكر؛ فيجمُدُون على الموروث، قال تعالى: {**بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ**} [الزخرف: ٢٢]، فانظر أخي المسلم كيف جمُدت في هذا العصر عقول عباقرة من أصحاب الشهادات العالية -كما في الهند مثلاً- حتى إنهم عبدوا ما كان يعبد آباؤهم.. البقر والعياذ بالله.

كذلك لا يهدي الله تعالى الظالمين -إذا لم يتوبوا- لا يهديهم إلى نعمة قبول الحق، وأُشرِبوا بدلاً عن ذلك حب الجدل والخصومة، قال تعالى: {**وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**} [الزخرف:٥٨]، حتى إن الظالمين في عصرنا طوّروا جدال وخصومة قريش؛ إلى مراكز دراسات لحرب الإسلام وشيطنته.

كذلك لا يهدي الله تعالى الظالمين -إذا لم يتوبوا- لا يهديهم إلى نور شريعته سبحانه؛ فيأخذوا بدلا عن ذلك بالتشريع لأنفسهم ما فيه خسرانهم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: {**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**} [الشورى:٢١]، وهذا من أظهر الضلال الذي ضل فيه غير المسلمين في هذا العصر، حتى إنهم شرّعوا قوانين ضد فطرة الإنسان؛ كالقوانين التي تحمي الإباحية والشذوذ الجنسي.

كذلك لا يهدي الله تعالى الظالمين -إذا لم يتوبوا- لا يهديهم إلى معرفة سنة الابتلاء؛ وهي من أعظم الهدى الذي ضل عنه الظالمون، قال تعالى -عن سنة الابتلاء-: {**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ**

عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ} [الملك: ٢]، فجهلوها، وراحوا يتباهون بما فتح الله تعالى عليهم من نعيم الدنيا؛ وأن ذلك -بزعمهم- رِضى من الله تعالى عنهم، قال تعالى: **{أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ • نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ}** [المؤمنون: ٥٥-٥٦]، وما دروا أن ذلك كله إنما هو استدراج من الله تعالى لهم، قال صلى الله عليه وسلم: **(إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب، فإنما هو استدراج)**[صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤١٣)].

وفي هذا العصر عظُم استدراج الله تعالى لغير المسلمين؛ بالفتوحات المادية الضخمة؛ التي فتحها عليهم في كافة المجالات، حتى عميت بصائرهم عمّا سيتبع هذا الاستدراج؛ من كيد متين من الله تعالى، قال تعالى: **{وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ • وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ}** [الأعراف:١٨٢-١٨٣].

وأخيرًا: أظن أن القارئ الكريم لاحظ تكراري لجملة -إذا لم يتوبوا- ذلك أن باب التوبة مفتوح لكل ظالم؛ مهما بلغ جرمه وظلمه، فحتى من خدّوا الأخاديد لتحريق وقتل المؤمنين؛ بيّن سبحانه أنهم إنما استحقوا العذاب لعدم توبتهم: **{إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ}** [البروج:١٠]، ولو تابوا لتاب الله تعالى عليهم.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (١١)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ**} [آل عمران: ٣٨].

سينفر المسلم من أيّ زيادة في دينه أو نقصان؛ إذا علم أن ذلك سيحرمه من أجمل وأروع وأعظم وأفضل وألذّ أمرٍ أراده الله تعالى له في هذه الحياة الدنيا.. مناجاة الله تعالى.

فإن أظلم وأبشع ما قد يصل إليه الإنسان في علاقته بربه؛ هو: حين يبلغ به الظن أن الغني سبحانه؛ المحيط بكل شيء علما؛ القادر على كل شيء؛ المحيي المميت؛ من له الأسماء الحسنى والصفات العُلى؛ لا يمكن التقرب إليه إلا ببركة إنسان مثله. عندها يقلب هذا الإنسان حريته على هذه الأرض إلى عبودية لغير الله تعالى؛ في شكل من أشكال العبودية المختلفة المتعددة.

ولذا ليس غريبًا أن يستنكر -بأبي هو وأمي- صلى الله عليه وسلم -وبشدة- من أن يضيف المسلم -ولو حرفا- في كلامه؛ يعطي به بشرا -كائنا من كان- شيئا من خصائص من له الملك كله؛ العليّ الكبير سبحانه.. فقد أنكر صلى الله عليه وسلم على من قال له: ما شاء الله وشئت، وقال مغضبًا

(أجعلتني لله ندًا، بل ما شاء الله وحده) [صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦٦/١)].

إنه غضب المصطفى صلى الله عليه وسلم من أن يفقد الإنسان أجمل وأروع وأعظم وأفضل وألذّ أمرٍ أراده الله له في هذه الدنيا.. الصِّلة المباشرة بربه عز وجل، قال تعالى: {**هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ**}، وذلك حين يظن أنه غير مؤهل لهذه الصِّلة إلا عن طريق من هو أقرب منه -في ظنه- إلى الله تعالى.

زيادة حرف واحد أغضبه صلى الله عليه وسلم، فكيف بمن يجعل الحرف حروفا وكلمات، نثرا وشعرا، ثم طقوسا، لتتلبد بها الغيوم، مكدرة صفو الصِّلة بالله تعالى؛ التي أراد الله تعالى أن يحظى بها ويفيئ إليها حتى العامي من عباده؛ بسيط الثقافة والكلام؟!

لقد كان صلى الله عليه وسلم يستمتع بهذه الصِّلة في كل أحواله، ويريد لغيره أن يستمتع بها كذلك، لأنه يمارس بذلك تعظيم الله تعالى حقيقة؛ حين يقر ويعترف أن الله سميع بصير؛ يسمع كل مخلوقاته في نفس اللحظة؛ بدون وسيط، ومن دون أن يختلط عليه صوت عن صوت، ويرى كل مخلوقاته في نفس اللحظة؛ بدون وسيط، ومن دون أن يختلط عليه مشهد عن مشهد، قال تعالى: {**مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**} [لقمان: ٢٨].

ما ذكرته أعلاه ظلمة في التصور، ثم أُثني بظلمة أخرى متعلقة بالعمل، تحصل حين يختار الإنسان طريقةً غير التي اختارها له ربه في مناجاته.. فقد اختار الله لنا أن نصلي في جماعة؛ وأن نحج بالملايين؛ ويصوم المسلمون كلهم.. كل هذه وغيرها صور لعبادات تؤدى في جماعة.. لكنها كلها لا تكون المناجاة لله تعالى فيها إلا فردية... كل مصل يناجي ربه منفردًا، وكل حاج أو معتمر

يناجي ربه منفردًا، وكل صائم يقرأ القرآن لوحده ويدعو الله لوحده.. هكذا هي عباداتنا صورتها جماعية، ولكن المناجاة فيها فردية.. حتى يبقى أجمل وأروع وأعظم وأفضل وألذّ ما أعطانا الله في هذه الدنيا كما أراده الله؛ صلة به مباشرة.. يتنافس فيها الناس؛ بدون أن يشتت أحد على أحد تركيزه؛ حين يناجي ربه عز وجل.. والذكر من أجلّ العبادات التي سنّها الإسلام للمسلم، يناجي من خلالها ربه سبحانه، ولا تكون المناجاة فيها ولا تصلح إلا بأن تكون فردية، ولذلك أنكر ابن مسعود رضي الله عنه على من أخذوا يناجون الله تعالى بذكر جماعي، فقال كلامًا مغضبًا: "ما أسرع هلكتكم يا أمة محمد" [صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٠٠٥)]، إنه نفس الخوف الذي خافه رسوله صلى الله عليه وسلم من قبل؛ أن يفقدوا أجمل وأروع وأعظم وأفضل وألذّ ما أعطاهم الله في هذه الدنيا.. الصِّلة به سبحانه؛ ومناجاته فرديا.

أمّا عندما يحرص ويركز على خروج صوته متناغما مع الذاكرين معه؛ فسيفقد بهذه المناجاة الجماعية التركيز على فهم المعاني التي يقولها في ذكره لله تعالى.

والمناجاة الفردية لا تقتصر على المؤمنين فقط، بل شملت كل مخلوقات الكون، قال تعالى: {**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ**} [النور: ٤١]، قال أهل التفسير: "ألم تعلم -أيها النبي- أن الله يُسَبّح له مَن في السموات والأرض من المخلوقات، والطير صافات أجنحتها في السماء تسبح ربها؟ كل مخلوق قد أرشده الله كيف يصلي له ويسبحه. وهو سبحانه عليم، مُطَّلِع على ما يفعله كل عابد ومسبِّح، لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيهم بذلك".

إن المناجاة الفردية بين العبد وربه تعدّ سدًا منيعًا موصدًا أمام شتى أنواع البدع، وهي النتيجة الطبيعية لزيادة الصِّلة مع الله تعالى الملك القدوس.

هذه حقيقة ديننا الكبرى؛ التي أضاعتها كل الأديان، حتى دخلوا في ظلمات ليس فيها حتى بصيص صلة بالله تعالى؛ بعد أن تبوّأ البشر من أحبارهم ورهبانهم مكان الإله؛ لا لشيء إلا ليأكلوا أموال الأتباع بالباطل، قال تعالى -عن أهل الكتاب-: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**} [التوبة: ٣٤].

أخيرًا: هكذا أرادها الله تعالى؛ أبوابا مفتوحة بينه وبين عباده؛ لا واسطة فيها؛ ولا حواجز.

فالله الله أهل الإسلام. لا تزيدوا في دينكم شيئا ولا تنقصوا منه، قال صلى الله عليه وسلم: **(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)** [متفق عليه]، حتى يبقى أجمل وأروع وأعظم وأفضل وألذّ أمرٍ أراده الله لعباده.. صِلة مباشرة به سبحانه بدون وسائط، ومناجاة فردية معه؛ في هذه الحياة الدنيا.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك..

التأمل رقم (١٢)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ**} [آل عمران: ٥٦].

يا أمة الاسلام.. من الذي ينزل عليه العذاب الشديد في الدنيا والآخرة؛ على مدار تاريخ البشرية؛ وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؟!

يظن بعض المسلمين -بسبب ضعف الأمة المسلمة المادي المعاصر- أن عذاب الله تعالى نازل عليهم. فيقول لك انظر: دول مسلمة تشتكي الفقر، وأخرى أنهكها الاختلاف ومزقتها الفرقة، وثالثة ضيعها التبذير والإسراف في اقتراف ما يغضب الله تعالى. ثم يقول لك في المقابل: انظر إلى الرفاهية التي يعيشها غير المسلمين؛ وقوة العتاد والتقدم المادي الرهيب.

وبالرغم من معرفة الكثير منّا لواقع الأمة المسلمة المعاصر المرير؛ لكنه ليس مبررًا للجهل بسنة الله التي لا تتغير ولا تتبدل في إنزاله سبحانه العذاب الشديد على الكافرين في الدنيا وفي الآخرة. قال تعالى: {**فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ**} [آل عمران: ٥٦]، وما العذاب الشديد من أعاصير وزلازل مدمرة -مما يسميه بعض ضِعاف الإيمان كوارث طبيعية- إلا مصداقًا لقوله تعالى: {**وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا**

تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ} [الرعد: ٣١].

والمشكلة تتفاقم حينما ينصرف معنى العذاب النازل على الكافرين –عند البعض– إلى أن يكون عذابًا استئصاليًا؛ لا يبقى للكافرين بعده أثر، في حين أننا نرى ألوانًا من العذاب يصبّها رب العالمين على الكافرين صبّا.

وأكبر عذابٍ نزل عليهم في عصرنا هو: عبادتهم للمال –الاقتصاد– حتى ذاقوا بسبب هذا الصنم الويلات؛ حينما أخذ يوجّه نمط حياتهم الوجهة التعيسة. قال صلى الله عليه وسلم: **(تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة)** [رواه البخاري].. وجّههم صنم الاقتصاد إلى الغرق في الشهوات؛ والاحتراق وحرق غيرهم في الحروب الظالمة المفتعلة. ناهيك عن الانهيارات الاقتصادية التي سببها جرم الربا العظيم.

ولون آخر من ألوان العذاب النازل على الكافرين هو تسليط الله تعالى عليهم الطواعين والأمراض، قال صلى الله عليه وسلم: **(ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى أعلنوها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا)** [صححه الألباني في صحيح الترغيب (٢١٨٧)]، أمراض لا يمكن إيقاف نزولها بسبب التقدم المهيل في علوم الطب. بل هي في ازدياد، وليس لظاهرة ازديادها علاج إلا بالاستسلام لرب العالمين؛ وترك الفاحشة التي أوغلوا فيها.

ثم نتج من تهجين ألوان العذاب المختلفة عذاب وليد جديد خطير ينذر بانهيار حضارتهم المادية، ألا وهو تفكك الأسر وتقطع علائقها حتى لم يجد الوالدن مكانا –بالرغم من وجود الأولاد البالغين– سوى دار العجزة البئيس الموحش. وقد قوض الله بنيان من مكر من قبلهم من الأمم على رؤوسهم، قال تعالى: **{قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ**

عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ} [النحل:٢٦].

ثم تفاقمت المشكلة مرة ثانية –وتلاشى من أذهان الكثير مفهوم أن العذاب الشديد نازل على الكافرين في هذه الدنيا؛ شدة لا تقارن أبدًا بالابتلاءات التي يبتلي الله بها المؤمنين بشيء من خوف وجوع ونقص في الأموال والثمرات؛ حتى يعودوا لدينهم– تفاقمت المشكلة مرة ثانية حينما خَفَتَ وبهت وضعف الحديث عن الشرط الذي اشترطه الله تعالى لتمكين الأمة المسلمة التمكين الكبير؛ وهو: عبادته بدون شرك، قال تعالى: **{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}** [النور: ٥٥]، خفت الحديث عن شرط الله في التمكين، وارتفعت نبرة غلو في اتخاذ الأسباب –التي هي أصلا مطلب معروف في ديننا؛ حسب الاستطاعة– للحاق بالتقدم المادي التقني الذي وصل إليه غير المسلمين، وكأنه هو الشرط الذي اشترطه الله علينا، مما أضعف في حس الكثيرين أن العذاب الشديد نازل على الكافرين. بل وصل الحال عند بعض الكتّاب أن يجعل اتخاذ الأسباب سنة كونية وكأنه يقول: لن يزول الكفار إلا بقوة مادية تكافئهم، وكأنه ليس للكون إله يبغض الكفار ويسميهم شرّ البرية؛ وينزل عليهم عذابه الشديد في هذه الدنيا وفي الآخرة.

وأخيرًا: فقد احتجت للكتابة في هذا الموضوع؛ لأنه ضمن منظومة من المفاهيم التي من شأنها أن تعيد للمؤمن اعتزازه بدينه؛ وتجذبه إليه، بدلاً من الهروب الذي نجده من شباب اليوم من التمسك بدينهم العظيم. كذلك يعالج

الموضوع خطر الانبهار بالحضارة المادية التي شرِق بها البعض؛ فكدّرت عليهم صفاء عقيدتهم.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك..

التأمل رقم (١٣)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**} [آل عمران: ٦٤].

الأمة المسلمة أمة رحيمة؛ ناصحة لغيرها من الأمم غير المسلمة، تريد لهم الأمن والرخاء والحياة الطيبة.

والأمة المسلمة لا تنصح الأمم نحو الحياة الأرقى والأفضل رجاء مصلحة مادية ترجوها، لأنها تخطو خُطى رسولها صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: {**قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ**} [ص: ٨٦].

وكذلك الأمة المسلمة لا يقتصر نصحها للأمم على خير الدنيا فقط، بل يجمع نصحها بين خيري الدنيا والآخرة.

الآية الكريمة من سورة آل عمران -التي هي موضوع التأمل في هذا المقال- تعمل على تمكين الأمة المسلمة من تشخيص وضع أي أمة من الأمم؛ إن كانت على الطريق الصحيح السديد في هذه الدنيا؛ فتبارك لها حُسن

اختيارها! أم أنها سلكت الطريق الخاطئ المؤدي إلى الضرر والخسران في الدنيا والآخرة؛ عندها تسرع الأمة المسلمة إلى نصحها بما جاء في الآية الكريمة..

وقد خاطبت الآية أمتين معروفتين؛ أمة اليهود وأمة النصارى، قال تعالى: **{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ}**، ولأن العبرة في أسباب النزول بعموم اللفظ؛ لا بخصوص السبب؛ فكذلك الآية تُشخِّص لنا وضع كل أمم الأرض من غير المسلمين، بدون استثناء لأيّ أمة منهم.

تبدأ الأمة المسلمة تشخيصها للأمم غير المسلمة بالأمر الأعظم الذي بدأت به الآية الكريمة: **{أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ}**.. هل تفرد -هذه الأمم- الله تعالى بالعبادة وحده؟!

وهنا نجد أن الأمم غير المسلمة -جميعها- لا تعبد الله تعالى؛ لكونها لا تعرف الله تعالى كما وصف نفسه سبحانه في كتابه الكريم؛ وكما وصفه نبيه صلى الله عليه وسلم.

يأتي بعد ذلك تشخيص الأمر الثاني الذي رتبته الآية الكريمة: **{وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا}**.. وهو معرفة إن كانت الأمم غير المسلمة تشرك مع الله تعالى آلهة أخرى؟!

وهنا نجد أن الأمم غير المسلمة زادوا -على عدم عبادتهم لله تعالى- بأن أشركوا مع آلهتهم المزعومة آلهة أخرى؛ سواء من البشر -كعبادة عيسى عليه السلام- أو عبادة الأصنام، أو الأبقار، أو حتى الفئران.

أمّا المحور الثالث في الآية الكريمة؛ وهو: قوله تعالى: **{وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ}**.. هل تتبنى هذه الأمم غير المسلمة شريعة الله تعالى ليطبقوها في هذه الحياة؟!

وهنا يتبين لنا من التشخيص أنهم زادوا –على عدم عبادتهم لله تعالى؛ وعلى شركهم مع آلهتهم المزعومة آلهة أخرى– زادوا بوضع منهج حياة لهم، كتبوه بأنفسهم، وانقادوا له مستسلمين طائعين مُذعِنين، متّخذين كاتبيه أربابًا من دون الله تعالى، قال تعالى: {**وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ**}، نابذين شريعة الله تعالى وراء ظهورهم.

وفي السنة عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: (أتيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليبٌ من ذَهبٍ. فقالَ: يا عديُّ اطرح عنْكَ هذا الوثَنَ. وسمعتُهُ يقرأُ في سورةِ براءةٌ {**اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْبابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ**} قالَ: **أما إنَّهم لم يَكونوا يعبدونَهم ولَكنَّهم كانوا إذا أحلُّوا لَهم شيئًا استحلُّوهُ وإذا حرَّموا عليْهم شيئًا حرَّموه**) [حسّنه الألباني في صحيح الترمذي (٣٠٩٥)].

أخيرًا: ما أعظم قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (**بلغوا عني ولو آية**) [رواه البخاري (٣٤٦١)]! فها هي آية واحدة من سورة آل عمران: {**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**}؛ يتمنى المسلم أن ييسر الله تعالى ويوفّق الأمة المسلمة لتبليغ معناها العظيم لجميع الأمم غير المسلمة؛ أفرادًا ومجتمعات، لعل الله تعالى أن ينفع بها.

فإن قبلوها وعملوا بمقتضاها فالحمد لله.. وإن لم يقبلوها؛ فليشهدوا علينا بأننا مسلمون؛ نؤمن ونعمل بهذه المحاور الكبرى الثلاثة جميعها، قال تعالى في آخر الآية: {**فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**}، نعبد الله تعالى وحده؛ ولا نشرك به شيئا، مستسلمين ومنقادين لأمره ونهيه؛ الذي شمِل جوانب الحياة كلها. اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (١٤)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ**} [النساء: ٤٣].

لماذا يفرح بعض المسلمين بصلاتهم فرحًا عظيمًا لا يجاريه فرح.. فرحًا يجعله يتلهّف إلى الصلاة بعد فراغه منها؛ ليقف من جديد بين يدي ملك الملوك سبحانه؟!

فالجواب أشارت إليه الآية الكريمة التي هي موضع التأمل.. قال تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ**}.. إن العلم بما نقوله في الصلاة هو السبيل إلى تعظيم قدر الصلاة.. صحيح أن الآية الكريمة نزلت قبل تحريم الخمر.. لكن استحباب الحياة الدنيا وتفضيلها على الآخرة خمر من نوع آخر؛ له سكرة لدى البعض؛ تخرج به من الخشوع في صلاته إلى عالم الدنيا؛ لتنسيه حتى ما يقرأ أو يسمع من قرآن في الصلاة.. وقد تزيد سكرة بعضهم بالدنيا وزخرفها فيتكاسل عن الصلاة، بل قد يتركها، ولذا جاء الحديث في القرآن الكريم عن خطورة تفضيل الدنيا على الآخرة قبل تحريم الخمر وبعده.

لنقف وقفتين مع معاني بعض ما نقوله في صلاتنا، لنرى كيف تزداد فرحتنا بالوقوف بين يدي الله تعالى:

ممّا نقوله ونكرره في صلاتنا: التكبير (الله أكبر).. فهل وقفنا واستشعرنا هذا الاسم لله تعالى (الكبير).. الذي كبُر وعلا في ذاته، فهو أكبر من كل شيء، وأعظم؛ وأجلّ؛ وأعلى من كلِّ شيء سبحانه؟!

لقد بين سبحانه وبين رسوله صلى الله عليه وسلم أن السماوات والأرض صغيرة وضئيلة بجانب كرسيه سبحانه، قال تعالى: {**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**} [البقرة: ٢٥٥]! فكيف بعرش الرحمن؛ الذي بين لنا صلى الله عليه وسلم أن الكرسي بجانب العرش كأنه حلقة ملقاة في فلاة؟! مع إيماننا أن الله تعالى مستو على عرشه استواء يليق بجلاله، بدون تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل.

ففرحتنا في الصلاة لا تضاهيها فرحة حينما نستشعر اسم الله (الكبير).. وأننا نقف بين يديه سبحانه، عالمين موقنين أنه أكبر شيء في الوجود.

ومن المفارقات أن بعض من لا يخشع في صلاته وتخرجه وسوسة شيطانه عنها بالتفكير في أمور دنياه؛ لو دُعي إلى حفل يرعاه شخصية ذات شأن ومنصب مرموق.. تجده يقدّر ويجّل راعي الحفل.

وممَّا نقوله كذلك في صلاتنا: (**سمع الله لمن حمده**) عند الرفع من الركوع.

لا تقل في صلاتك سمع الله لمن حمده وحسب.. بل قلها وتأكد من أن قلبك يعيش معناها.. لأننا نؤمن أن الله تعالى سميع بصير.

ولا تكن حالتك هذه في مناجاة الله تعالى بهذا اليقين أن الله تعالى يسمعك عند الرفع من الركوع فقط.. بل اجعلها في كل حال تناجي فيه الله تعالى في جميع أوضاع صلاتك.. سواء كان تسبيحًا أو دعاءً أو قراءة قرآن..

واعلم أن الله تعالى يسمع كل مصلٍّ.. لا تختلط عليه أصوات المصلين ومناجاتهم؛ ولو كانوا بالمليارات.. المهم أن تستشعر في صلاتك أنه سبحانه يسمعك.

وأمّا ثمرة الوقوف بإجلال وخشوع بين يدي رب العالمين الكبير والسميع؛ فهي أن نخرج من الصلاة وقد ازددنا إيمانا وعملا بالآيات التي قرأناها في صلاتنا الفردية؛ أو طرقت مسامعنا من تلاوة الإمام.. لأن الله تعالى يقول: {**وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا**} [الفرقان: ٧٣].

هذه هي الثمرة الكبرى المرجوة من الصلاة، قال تعالى: {**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**} [الأنفال: ٢] بيوت يرتادها رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن أن يكون ذكر الله أكبر شيء في قلوبهم.. لأنهم يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار.

وأخيرًا: نعلم جميعًا أن المسلمين يؤمنون بأن الله تعالى كبير وسميع، ولكن المشكلة أن البعض ينسى استشعار معاني هذه الأسماء الحسنى أثناء قيامه بين يدي ربه العظيم، مع أنه يكرر في صلاته (الله أكبر) و (سمع الله لمن حمده).

لقد بلغت آخر إحصائية للجوامع والمساجد في العالم ثلاثة ملايين ونصف.. تُرى كيف سيكون أثر هذه الجوامع والمساجد في ترسيخ معاني الإسلام العظيمة لدى المسلمين في أرجاء الأرض؛ لو جاء كل مصل مستشعرا وقوفه بين يدي الكبير والسميع.. طامعا في زيادة إيمانه؛ واستيعاب كلام ربه.. ليعود بعد الصلاة إلى بيته أو مقر عمله يتدارس معهم معاني ما مر عليه من قرآن في صلاته؟!

لنتعاون على إيصال هذا المقال -عن الصلاة- لكل مسلم نعرفه.. ذلك أن إقامة الصلاة بين يدي الله بما يستحق سبحانه من خشوع وتذلل؛ حل جذري لجميع مشاكل هذه الأمة.. قال تعالى: {**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ**} [العنكبوت: ٤٥].

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك..

التأمل رقم (١٥)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا**} [النساء: ٨٧]، قال أهل التفسير: "ولا أحد أصدق من الله حديثًا فيما أخبر به".

ينظر البشر بإعجاب وتقدير للصادق منهم، إذ يأمنوه؛ فلا غدر عنده ولا كذب، ويقبلون نصحه ومشورته، ويصدِّقون وعوده. مع أن الصادق من البشر لا يملك لنفسه؛ ولا لغيره ضرا ولا نفعا، إذ هو مخلوق مثلهم؛ غير أنه يتصف بالصدق.

هذا التقدير الكبير الذي نحمله تجاه كل صادق من البشر؛ لابد أن يتضاعف أضعافا لا حد لها تجاه حديث ربنا تعالى؛ الذي قال عن نفسه: {**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا**}. فلله المثل الأعلى في صدق الحديث. إذ هو حديث من له الأسماء الحسنى والصفات العلا، القادر على كل شيء، مالك الملك، الكريم الوهاب.

كل حديث ربنا حق وصدق، لكني سأتكلم في هذا المقال عن صدق ربنا تعالى في تحقيق وعوده؛ التي ملأت كتابه سبحانه. ففي كتاب الله تعالى مئات الوعود التي وعدنا -سبحانه- إياها.

وفيما يلي أذكر فرحة المسلم بحديث ربنا تعالى عن وعدين من وعوده، سيحققها الله تعالى لمن وفقه للعمل بها، لأنه قال عن نفسه: {**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا**}، وقال تعالى: {**وَعْدَ اللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**} [الروم: ٦]:

الوعد الأول: نفرح بحديث الله تعالى عن وعده بإجابة دعاء عباده، لأننا على يقين بصدق وعد الله، قال تعالى: {**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**} [البقرة: ١٨٦]. تُرى كم هي فرحة المؤمن حين يدعو ربه –وفق آداب الدعاء– موقنا أنه سيجيب دعاءه؟! إنها فرحة لا توازيها فرحة. وستدفعه هذه الفرحة إلى كثرة الدعاء؛ والإلحاح فيه.

الوعد الثاني: نفرح بحديث الله تعالى عن وعده بتبديل سيئات التائبين إلى حسنات، لأننا على يقين بصدق وعد الله، قال تعالى: {**إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**} [الفرقان: ٧٠]. تُرى كم هي فرحة من أسرف على نفسه في الذنوب؛ بوعد الله تعالى الصادق بتبديل سيئاته حسنات؛ إن هو تاب توبة نصوحا؟! إنها فرحة لا توازيها فرحة. وسيندفع على إثر هذه الفرحة إلى التعجيل بالتوبة؛ طمعا في موعود ربه بالفوز بحسنات لم يعملها، إذ هي سيئاته؛ قد أبدلها الله تعالى بعد توبته إلى حسنات.

وأخيرًا: فإن هناك مئات الوعود التي حواها حديث ربنا عز وجل، منها المفرح للمؤمنين. وأخرى للكافرين والمنافقين؛ تخزيهم وتبكتهم. وغير ذلك من الوعود ذات الموضوعات المختلفة. كل هذه الوعود؛ وعد بها من قال عن حديثه سبحانه: {**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا**}. فتنسكب –بهذه الوعود

الصادقة من الله تعالى- السكينة والرضا والفرحة في قلوب عباده المؤمنين. وتنخلع منها وترتجف قلوب الكافرين والمنافقين؛ إلا أن يتوبوا، فإن الله تواب رحيم.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (١٦)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا**} [النساء: ١٣٢]، قال أهل التفسير: "ولله ملك ما في هذا الكون من الكائنات، وكفى به سبحانه قائمًا بشؤون خلقه حافظًا لها". وقال تعالى: {**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**} [الزمر: ٦٢]، قال أهل التفسير: "الله تعالى هو خالق الأشياء كلها، وربها ومليكها والمتصرف فيها، وهو على كل شيء حفيظ يدَبِّر جميع شؤون خلقه".

اسم الله تعالى الوكيل -الذي ورد في الآيتين الكريمتين؛ وفي غيرهما من آيات الكتاب العزيز- يتردد كثيرًا على لسان كل مسلم؛ مثل قولنا: توكلت على الله.. فدعونا نتأمل في معنى جليل لهذا الاسم العظيم؛ وهو أنه سبحانه المتصرف في كل ما خلق في السماوات وفي الأرض؛ متى شاء وكيف يشاء؛ بمقتضى حكمته وعلمه.

ولتقريب هذا المعنى العظيم لاسم الله تعالى الوكيل؛ الذي ذكرته آنفا -وهو أنه سبحانه المتصرف في كل ما خلق في السماوات وفي الأرض؛ متى شاء وكيف يشاء؛ بمقتضى حكمته وعلمه- فإنني أضرب مثالاً من تعاملات البشر:

نحن البشر إذا منح الواحد منا شخصًا "وكالة عامة"؛ نعي أن لهذا الشخص حق التصرف في كل ما يملك موكله؛ كيفما شاء؛ وفي أي وقت شاء.

ولله المثل الأعلى.. الله تعالى الوكيل؛ أي المتصرف سبحانه في كل ما خلق؛ في السماوات وفي الأرض؛ متى شاء وكيف يشاء؛ بمقتضى حكمته وعلمه.

وفيما يلي أسوق بعض الأمثلة لبيان أن الله تعالى الوكيل؛ يتصرف فيما خلق في السماوات والأرض؛ متى شاء وكيف يشاء؛ بمقتضى حكمته وعلمه:

الله تعالى وكيل علينا نحن البشر: فإن شاء يذهب بنا ويأت بآخرين؛ بمقتضى حكمته وعلمه، قال تعالى: {**وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا • إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا**} [النساء: ١٣٢-١٣٣] لأنه هو الوكيل سبحانه على البشر، فهو من خلقهم ويتصرف فيهم كيف يشاء؛ متى شاء؛ بمقتضى حكمته وعلمه.

ومن ذلك البحر: أمره الله تعالى أن ينشق لإنقاذ موسى عليه السلام والمؤمنين معه، ففعل واستجاب لأمر الله تعالى. لأنه هو الوكيل سبحانه على البحر، فهو من خلقه ويتصرف فيه كيف يشاء، متى شاء، بمقتضى حكمته وعلمه.

ومن ذلك الحوت: أمره الله تعالى ألا يأتي إلى قرية من قرى اليهود الساحلية سوى يوم السبت فقط، فأذعن واستجاب لأمر الله تعالى. لأنه هو الوكيل سبحانه على الحوت، فهو من خلقه ويتصرف فيه كيف يشاء؛ متى شاء؛ بمقتضى حكمته وعلمه.

ومن ذلك النار: التي من خاصيتها الإحراق.. جعلها الله تعالى بردًا وسلامًا على إبراهيم عليه السلام. لأنه سبحانه هو الوكيل عليها، فهي من خلقه، يتصرف فيها كيف يشاء؛ متى يشاء؛ بمقتضى حكمته وعلمه.

وغير ذلك من المخلوقات المادية المحسوسة في السماوات والأرض؛ فإن الله تعالى هو الوكيل عليها، يتصرف فيها متى شاء؛ وكيف يشاء؛ بمقتضى حكمته وعلمه.

وكذلك الله تعالى هو الوكيل على القلوب من جهة الهداية أو الضلال، يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: {**إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ**} [الزمر: ٤١]، قال أهل التفسير في تفسير قوله تعالى: {**وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ**}، "وما أنت -أيها الرسول- عليهم بوكيل تحفظ أعمالهم، وتحاسبهم عليها، وتجبرهم على ما تشاء، ما عليك إلا البلاغ". فلا يملك هداية التوفيق إلا الله تعالى.

وأخيرًا: الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ هم أعلم الناس بالله تعالى وبأسمائه الحسنى وصفاته العليا، فها هو إبراهيم عليه السلام يُبين أن الله تعالى وكيل عليه في كل شيء؛ في خلقه وهدايته، وفي مأكله ومشربه، وفي شفائه من مرضه، وفي موته وبعثه، قال الله تعالى -حاكيا عن إبراهيم قوله-: {**الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ • وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ • وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ • وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ**} [الشعراء: ٧٨-٨١].

وقال صلى الله عليه وسلم: (**لو أنكم توكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا، وتروح بطانًا**) [صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣١٠)]، ولذا فإن التوكل الحق على الله تعالى؛ هو إيمان الموحد

بأن الله تعالى هو المتصرف في كل ما خلق في السماوات وفي الأرض؛ متى شاء وكيف يشاء؛ بمقتضى حكمته وعلمه.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (١٧)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا**} [النساء: ١٧٠]، نزلت هذه الآية الكريمة في زمن كان المسلمون فيه أقلية بجانب إمبراطوريتي فارس والروم؛ فملأت قلوب المؤمنين تعظيما لخالقهم العلي الكبير.

فدعونا نتأملها ونتدبرها حتى تمتلئ قلوبنا تعظيما لله الذي له ما في السماوات والأرض.

الوقفة الأولى: صححت الآية الكريمة للناس -{**يَا أَيُّهَا النَّاسُ**}- مساحة الإيمان والكفر في السماوات والأرض -{**وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**}- حيث بينت أن الكفار من البشر قلة؛ يوجدون في مساحة صغيرة على هذه الأرض الشاسعة الكبيرة.

أمّا المؤمنون بالله تعالى المستسلمون له سبحانه؛ من جميع ما خلق الله تعالى في هذا الكون الكبير الفسيح؛ فقد شغلوا -مع المؤمنين الموجودين على هذه الأرض من البشر- مساحة عرضها السماوات والأرض، قال تعالى: {**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ**

وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} [الحج: ١٨].

هذه المعرفة الربانية –بضخامة المساحة التي يشغلها المؤمنون بالله تعالى في هذا الكون الفسيح– ترد وتدحض الصورة الكالحة التي يحاول أن يرسمها شياطين الإنس والجن عن المؤمنين بأنهم أقلية، رائدهم في ذلك فرعون؛ فيما حكى القرآن الكريم قوله عن المؤمنين: {**إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ**} [الشعراء:٥٤]، ثم ما لبث أن أغرقه الله تعالى في البحر.

والبحر من بين المسبحين لله تعالى، قال تعالى: {**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**} [الإسراء: ٤٤]، المنقادين لأمره سبحانه، انفلق فأنجى الله تعالى المؤمنين، ثم أطبق على فرعون وجنده.

إنه البحر الذي حفظ بأمر الله تعالى موسى الرضيع عليه السلام، وألقاه بالساحل؛ ليلتقطه آل فرعون.

الوقفة الثانية: نحن في عصر تتباهى فيه بعض الدول غير المسلمة وتستعلي بجيوشها الجرارة التي بلغ تعداد بعضها المليون مجند، وبترسانتها من الأسلحة المتنوعة؛ البرية والبحرية والجوية.

وقد يصاب بعض المسلمين –ممن غاب عن معرفته أن من بين المؤمنين بالله تعالى المستسلمين له سبحانه الذين شغلوا بإيمانهم مساحة عرضها السماوات والأرض؛ الملائكة عليهم السلام– قد يصاب بالهزيمة النفسية والإحباط إزاء تعداد تلك الجيوش.

لكن ما إن يقف المسلم عند قوله تعالى: {**وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**}؛ ويتذكر أن من أعظم من يشغل المساحة الإيمانية التي عرضها السماوات والأرض؛ هم الملائكة الكرام عليهم السلام؛ إلا ويتلاشى

ويزول ذلك الإحباط والهزيمة النفسية. وكيف لا يزول الإحباط وقد بين الله تعالى وقوف الملائكة عليهم السلام مع المؤمنين في القتال، قال تعالى: {**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ**} [الأنفال: ٩]، وقال تعالى: {**بَلَىٰ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ**} [آل عمران:١٢٥]؟!

لقد حظي الركن الثاني من أركان الإيمان –الإيمان بالملائكة عليهم السلام– بكثير من التفصيل في القرآن الكريم والسنة المطهرة؛ لدورهم العظيم الذي أسنده الله تعالى إليهم في التعامل مع البشر.

والملائكة عليهم السلام خلق كثير لا يحصيهم إلا الله تعالى، قال صلى الله عليه وسلم: (**إِنِّي أَرى ما لا تَرَوْنَ، أَطَّتِ السَّماءُ، وحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابعَ إِلَّا وَمَلَكٌ واضِعٌ جَبْهَتَهُ ساجِدًا لله تَعَالى**) [حسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٤٩)]. كما أن البيت المعمور قد قال فيه صلى الله عليه وسلم: (**يَدْخُلُهُ كُلَّ يَومٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لا يَعُودُونَ إِلَيْهِ**) [صحيح مسلم (١٦١)]. ولو أردنا أن نحسب عدد من يطوف منهم بالبيت المعمور خلال عام واحد فقط؛ لفاقوا الخمس وعشرين مليوناً.

وأخيرًا: فقد بلغ من عظمة الملائكة عليهم السلام؛ أن منهم حملة أعظم ما خلق الله تعالى! عرش الرحمن سبحانه. في الحديث قال صلى الله عليه وسلم: (**أُذِنَ لي أن أحدِّثَ عن ملَكٍ مِن ملائِكَةِ اللَّهِ تَعالى مِن حَمَلةِ العَرشِ إنَّ ما بينَ شَحمةِ أذُنِهِ إلى عاتِقِهِ مَسيرةُ سَبعِمائةِ عامٍ**) [صححه الألباني في صحيح الجامع (٨٥٤)]. فسبحان رب الملائكة؛ الخلاق العظيم!

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك ...

التأمل رقم (١٨)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ • يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**} [المائدة: ١٥-١٦].

مخاطبة أصحاب الحضارة الغربية في هذا العصر؛ بما ينفعهم في رحلة الحياة الدنيا -وجُلُّهم من اليهود والنصارى- أمر رباني؛ دعتا إليه الآيتان الكريمتان اللتان هما موضع التأمل في هذا المقال؛ عندما خاطبتا أهل الكتاب منذ ألف وأربعمائة عام.

ولتقريب موضوع خطاب الآيتين لأهل الكتاب أقول:

يفقه أهل الكتاب -وهم أهل الفتوحات المادية الضخمة في هذا العصر- يفقهون ضرورة التقيد في معاملهم ومصانعهم وكل مؤسساتهم بخارطة العمل المرسومة -التي خطها أصحاب العلم والخبرة- وما تحويه من تعليمات وإجراءات، حتى تثمر الجهود في إخراج منتج ناجح ومأمون ومميز.

ولله المثل الأعلى.. تأتي الآية الكريمة لتبشر اليهود والنصارى بكتاب يحوي منهجا عقديا وعمليا شاملا؛ من لدن حكيم عليم: {**قَدْ جَاءَكُم مِّنَ**

اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ • يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ}، يبين لهم فيه سبحانه الطريق الأمثل، ويقودهم به إلى الحياة الطيبة الآمنة، ليس لإنجاح مصانعهم ومؤسساتهم فحسب؛ بل فيما هو أكبر وأعظم من ذلك بكثير: مجال الحياة الدنيا الواسع الكبير.

كما يبعدهم ويحذرهم -هذا النور والكتاب المبين- من كل المخاوف والمخاطر، ويدلهم على النهج القويم والصراط المستقيم بكل ما يحويه من مكاسب ونجاحات؛ طوال رحلتهم في هده الدنيا: {**وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**}.

وكما يتوعد أهل الحضارة المعاصرة المقصرين في أداء العمل -في مصانعهم ومؤسساتهم؛ وفق مسار الخارطة المرسوم- بالمحاسبة والعقوبة؛ مخافة الفشل والكساد.

ولله المثل الأعلى.. فقد توعد الله تعالى من ينحرف من أهل الكتاب عن أخذ منهجه القويم باللعن والطرد من رحمته، قال تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا**} [النساء: ٤٧]، وهذا الوعيد الشديد يناسب حجم الشقاء العظيم الذي يجلبه لنفسه ولمجتمعه من يستنكف ويستكبر عن الاستسلام لله رب العالمين.

أخيرًا: إنه لمن المؤسف أن يتشكى أصحاب الحضارة الغربية من مظاهر تفكك الأُسر وتفشي الجريمة لديهم -بل ومظاهر انهيار حضارتهم- ثم لا يبحثون عن الحل الجذري والأمثل في الإسلام؛ الذي زاد عن هدايته لأهل الكتاب في هذه الدنيا؛ إلى ضمان مستقبل أكثر أمنا وسعادة في حياة أخروية

خالدة، قال تعالى: {**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ**} [المائدة: ٦٥].

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك..

التأمل رقم (١٩)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا**} [المائدة: ٣٢].

مقتل (سبعة عشر) طالبا في مدرسة ثانوية في ولاية فلوريدا بأمريكا..

وفقني الله تعالى أن كتبت مقالا يوم الأربعاء ١٤-٥-١٤٣٩هـ عن هذا الموضوع؛ في معرض كلامي عن مختلف أنواع الضلال البعيد الذي بات واقعًا، جرّ إليه عدو الله إبليس غير المسلمين إليه، قلت فيه:

جريمة القتل عندهم -التي غالباً ما تقع من الكبار البالغين- أضحت في ثوبها الجديد وضلالها البعيد؛ في ديار غير المسلمين: قتل الأطفال لبعضهم البعض في المدارس؛ وهم لا يتجاوزون الثانية عشرة من العمر، وهي لا شك من عمل الشيطان ووسوسته؛ حيث زين لأطفالهم اللهو بالسلاح، وحبب إليهم أفلام وألعاب العنف؛ فآتت علقمها وأحزانها بعد حين. وفي كتاب صدر عام ألفين ميلادي في الولايات المتحدة الأمريكية عن موضوع قتل الأطفال لبعضهم البعض؛ أصاب الناس هناك بالذعر والهلع، حيث أبان فيه الكاتب أن معدل قتل الأطفال في المدارس في كل أمريكا: مقتل طفل كل ساعتين.. الكتاب للدكتور جيمس شو، وعنوانه: "لماذا ارتكب جاك وجل

جريمة القتل"؟! وذكر في كتابه أنه قام بزيارات ميدانية وقابل بعض القتلة من الأطفال في السجون.

وفي مقالي هذا -وبعد حادثة فلوريدا بيوم- أهدي غير المسلمين نصيحة قرآنية تحسم لهم موضوع الأمن -إن كانوا يحبون الناصحين- وهي أن الله تعالى خَص من استسلم له وآمن به بنعمة الأمن، قال تعالى: {**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**} [الأنعام: ٨٢]. قال أهل التفسير: الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه ولم يخلطوا إيمانهم بشرك؛ أولئك لهم الطمأنينة والسلامة.

والأمن في الإسلام يحصل بحفظ الضرورات الخمس -بما شرع الله تعالى من شرائع لحفظها- وهي: الدين، والنفس، والعقل، والمال، والعرض.

فلله الحمد على نعمة الإسلام؛ الذي وهبنا به هذا الأمن، غير أننا نعلم أنه أمن يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

أخيرًا: أَمَّا غير المسلمين فقد انتفى -بسبب شركهم وتمردهم على خالقهم، وليس بسبب مناهجهم الدراسية- أصل الأمن لديهم. فالدين أضاعوه بعبادتهم غير الله تعالى، والأنفس أزهقوها؛ كقتل الأطفال لبعضهم البعض في المدارس، كما أزهقوا ملايين الأنفس بحروبهم الظالمة، والعقل أفسدوه بتعاطي المحرمات وقراءة الإلحاد والضلال، والمال محقوه بالربا وغيره من التعاملات المالية المحرمة، وأمّا ضياع العرض والفضيلة فهذه تجارتهم التي لا يُشَق لهم فيها غبار.. إلا أن يسلموا لله رب العالمين؛ فيدخلوا بوابة الأمن التي دخلها قبلهم المؤمنون. اللهم ارزقنا التفكر في آياتك..

التأمل رقم (٢٠)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**} [المائدة: ٣٨].

نعلم جميعا -من خلال إحصائيات منشورة- أن الجريمة لدى الغرب -في ظل الحرية المزعومة الفارة من عبودية الله تعالى- تسجل أرقاما قياسية على الدوام. لكن أن يضاف على الحريق ما يزيده اشتعالا -كما يقال- فهذا أمر مستهجن وجد غريب.

لم يكتف بعض المشرّعين من غير المسلمين في ولاية كاليفورنيا الأمريكية؛ بالتمرد على خالقهم العليم الحكيم؛ وتنكّب منهجه القويم؛ الذي جاء فيه حدّ السرقة -كما بينت الآية الكريمة التي هي موضع التأمل في هذا المقال- بل زادوا ليشرّعوا لأنفسهم ما يزيد من وتيرة جرائم السرقة في مجتمعاتهم التائهة.

وهو أن صوّت سكان كاليفورنيا في عام ٢٠١٤ على الاقتراح رقم (٤٧) (and theft crimes ٤٧proposition)، والذي صار قانونا؛ ينصّ على عدم تجريم سرقة ما قيمته دون تسعمائة وخمسين دولارا.

فما الذي ترتّب على سنّ هذا القانون الغريب العجيب في كاليفورنيا؟

الجواب: جرّأ القانون رقم (٤٧) المجرمين على السرقة، وتصاعدت وتيرة نشل ونهب المحلات التجارية في مدينة لوس انجلوس؛ وغيرها من مدن كاليفورنيا؛ فيما أسموه إعلاميا: Grab and go crime، جريمة: "خذ وامشي"، وكذلك ما أسموه (shoplifting) سرقة المتاجر.

والعجيب أن يكون توقيت هذا النهب والسلب قرب مواسم أعياد النصارى -كعيد الشكر وعيد الكريسمس- الذي يُفترض أن يكون توقيتًا مذكّرًا بالمحبة - التي يدّعونها في دينهم المحرّف- وليس النهب والسرقة والتخريب. لكن يظهر أن المحلات التجارية التي تكتظّ بالجديد من أنواع البضائع المختلفة في مواسم الأعياد؛ كانت جاذبة وفاتحة شهيّة المجرمين للنهب والسلب.

وكالعادة في الساحة الإعلامية الأمريكية؛ سرعان ما يحصل الجدل بعد أي حدثٍ كبير -كحوادث النهب والسلب التي وقعت، ذلك أنها من نتاج قوانينهم الوضعية البشرية؛ التي سرعان ما يظهر نقصها وعوارها- فقد حصل جدل حول القانون (٤٧)، بين مؤيد له ورافض، حتى إن بعضهم أيده بدعوى أن الذين يسرقون بحاجة إلى الأكل والشرب -كالمشرّدين في الشوارع (homeless)- وأمّا المحلات التجارية فتغطي خسائرها شركات التأمين.. واعجبًا.

مع أن المقاطع التي ظهر فيها السُرّاق تدل على أنهم شباب قادرون على العمل والتكسّب، خاصة وأن ولاية كالفورنيا لا تشكو البطالة، ولديها فائض من الوظائف؛ كما يقولون.

وأولى بالمشرّدين أن تُعمل لهم برامج تساعدهم على تحسين حالتهم المعيشية؛ وتنمية مهاراتهم للعمل، بدلاً من سنّ قانون أتى لهم بالويلات.

وأعجبني قول أحدهم -ممن يرفض القانون (٤٧)- عندما قال: ليس الحلّ للفقر أن تمكِّن الفقراء من الجريمة.

وأخيرًا: إن ما يحصل في كاليفورنيا من نهب وسرقة هذه الأيام؛ إنما هو لون من ألوان الضلال الذي يعيشه كل من تمرّد على الخالق العظيم ومنهجه القويم؛ الذي أراد للبشرية أن تسعد بتحقيق العبودية له سبحانه، ويأبى بعض البشر إلا أن يعبدوا الشيطان، قال تعالى: {**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ • وَأَنِ اعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ**} [يس: ٦٠-٦١].

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك..

التأمل رقم (٢١)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ**} [المائدة: ٦٦]، قال أهل التفسير: "ولو أنَّهم عملوا بما في التوراة والإنجيل، وبما أُنْزِل عليك أيها الرسول -وهو القرآن الكريم- لرُزِقوا من كلِّ سبيلٍ، فأنزلنا عليهم المطر، وأنبتنا لهم الثمر، وهذا جزاء الدنيا".

كلما تأملت في هذه الآية الكريمة ومثيلاتها من الآيات؛ كقوله تعالى: {**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**} [الأعراف: ٩٦]؛ كلما تعجبت من سهولة الطريق لأيّ أمة -إذا يسّر الله تعالى لها ذلك- أن تخطو نحو النمو الاقتصادي؛ الذي وعد الله تعالى به من يستسلمون له وينقادون لشرعه القويم.

من رحمة الله تعالى بخلقه -ومنهم أهل الكتاب.. اليهود والنصارى- أن خاطبهم بهذه الآية الكريمة؛ التي تضمن لهم الحلّ الجذري لمشكلة الكساد الاقتصادي الذي يُنذِرون ويُحذِّرون أنفسهم وغيرهم منه هذه الأيام؛ وهو الاستسلام لله تعالى والانقياد لشرعه، قال تعالى: {**وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ**}! فإن هم فعلوا ذلك؛ أنجز لهم وعده برفاهٍ

اقتصادي، قال تعالى في نفس الآية: {**لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ**}.

إن عدم الاستسلام للخالق سبحانه؛ وعدم التمسّك بمنهجه القويم – وهو العليم بالمنهج الذي يصلح لخلقه؛ وهو الإسلام– جعل أهل الكتاب يتخبّطون في معرفة الخبيث من الأقوال والأعمال التي تضرهم؛ والطيب منها التي تنفعهم. ذلك أن المرجع الحق في معرفة الخبيث والطيب من الأقوال والأعمال هو خالق البشر سبحانه، قال تعالى: {**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ**} [الأعراف:١٥٧]، والاستسلام له سبحانه يكون بقولٍ طيّب؛ شهادة التوحيد، وبعملٍ طيّب؛ اتّباع شرعه سبحانه القويم.

هذا الجهل والتخبّط في معرفة الخبيث والطيب من الأقوال والأعمال يستنزف كل الموارد المتاحة لديهم بما يعود عليهم بالضرر، ويؤدي إلى الكساد الاقتصادي، وما يتبع هذا الكساد من مضاعفات سلبية في مناحي الحياة المختلفة.

وأكبر وأهم الموارد المستنزَفة لدى اليهود والنصارى هو الإنسان نفسه. ذلك أنهم جعلوا المادة والإنتاج المادي محورًا رئيسا؛ يدور حوله كل شيء لديهم؛ وليس الإنسان.

أمّا في الإسلام؛ فإن الله تعالى سخّر للإنسان –وهو المكرم عند الله تعالى على سائر الخلائق– سخّر له كل ما في هذا الكون المادي، قال تعالى: {**وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ**

لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الجاثية: ١٣]، ليبقى الإنسان وقيمه التي ارتضاها الله تعالى له المحور الثابت والرئيس الذي يدور حوله كل شيء.

ويكفي تدليلاً على ضياع الإنسان لدى أهل الكتاب -حينما طغت قيمة المادة على قيمة الإنسان لديهم- تفاقم مشكلة التفكّك الأسري. حتى كثُر بينهم الزواج المبني على الصداقة، لا عقد فيه؛ ولا مسؤولية، يعترف به المجتمع ولا يستنكره. وهذا -لعمر الله- لهو قمة التخبّط في معرفة الخبيث والطيب؛ أن يُنبذ الزواج الذي هو من الطيبات؛ ويُستحل الزنا الذي هو من الخبائث.

ناهيك عن خبيثة زواج المثليين لديهم؛ التي عاقب الجبار سبحانه مرتكبيها في ماضي التاريخ -قوم لوط- ليس بكساد اقتصادي؛ بل بما هو أدهى، أهوى بقريتهم، وجعل عاليها سافلها، قال تعالى: **{وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ}** [النجم:٥٣].

وأخيرًا: فإن المحاور التي تقود إلى الكساد الاقتصادي لدى أهل الكتاب كثيرة جدًا، ولا تنحصر في استنزاف الإنسان فقط؛ الذي بينته آنفا. وليس هنا مجال بسط باقي المحاور.. ويمكن للمسلم تتبعها بسهولة من كتاب ربه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

ولكن الذي يعنيني هنا هو طرح التفسير الرباني لجذور مشكلة الكساد الاقتصادي لأمم ارتقت وبلغت في الصناعة ما بلغت، ألا وهو التخبّط والجهل بالخبيث والطيب من الأقوال والأعمال؛ كنتيجة حتمية لعدم الاستسلام لله تعالى واتّباع شرعه، قال تعالى: **{وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ}**.

ويبقى الأمر الأخطر على أهل الكتَاب؛ وغيرهم من الأمم غير المسلمة؛ أن يمعنوا ويزدادوا في كفرهم وصدهم عن سبيل الله تعالى؛ فيقدموا على الاستهزاء بالله تعالى أو برسوله صلى الله عليه وسلم، وعندها سيكون كسادهم وفسادهم وعذابهم أكبر وأعظم، قال تعالى: {**الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ**} [النحل: ٨٨]، وقال تعالى: {**وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ**} [الرعد: ٣٢].

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (٢٢)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ**} [المائدة: ٧٢].

هذه الآية الكريمة تكشف لنا جانبًا من جوانب موضوعات الدعوة التي انتهجها الأنبياء عليهم السلام -بوحي من الله تعالى- في دعوة غير المسلمين، وهو أن نبين لهم حِرمانهم من دخول الجنة؛ إذا ماتوا على شركهم وتكذيبهم.

ولذلك كان من أعظم وأجلّ أعمال نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم -الذي هو أعلم البشرية بنعيم الجنة- دعوة غير المسلمين، لإخراجهم من الظلمات إلى النور، ومن الحِرمان من دخول الجنة إلى أن يكونوا من أهلها؛ إذا هم أسلموا لله رب العالمين، قال صلى الله عليه وسلم: (**فو اللَّهِ لأنْ يهْدِيَ اللَّه بِكَ رجُلًا واحِدًا خَيْرٌ لكَ من حُمْرِ النَّعم**) [متفق عليه]، وقال صلى الله عليه وسلم: (**ألا رجل يحملني إلى قومه؟ فإن قريشا منعوني أن أبلغ كلام ربي**) [صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٤٧)]، وقال صلى الله عليه وسلم: (**اللهم اهد دوسًا وأتِ بهم**) [متفق عليه].

ومن قبله صلى الله عليه وسلم نهج الرسل عليهم السلام ذات النهج، فهذا عيسى عليه السلام -في الآية التي هي موضع التأمل- يخوّف بني إسرائيل من الشرك؛ الذي بسببه يُحرم المشرك من دخول الجنة، قال تعالى: {**وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ**}، وبنو إسرائيل منهم من كذّب عيسى عليه السلام؛ وهم اليهود المغضوب عليهم، ومنهم من جعل عيسى إلها؛ وهم النصارى الضالون.

ونحن على خُطى سيد المرسلين -عليه الصلاة والسلام- ندرك أن النصوص القرآنية التي حرّم الله تعالى فيها الجنة على غير المسلمين؛ تهدف إلى إيصال مرارة هذا الحِرمان إلى نفوسهم؛ متى ما سمعوا أو قرأوا هذه الآيات، وهي مرارة حقيقية يحسّون بها في الدنيا؛ غير أنهم يخفونها عنا، قال تعالى: {**بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ**} [الأنعام: ٢٨]، قال أهل التفسير: "ليس الأمر كذلك، بل ظهر لهم يوم القيامة ما كانوا يعلمونه من أنفسهم من صدق ما جاءت به الرسل في الدنيا، وإن كانوا يظهرون لأتباعه خلافه".

ولتقريب المعنى: نحن في هذه الدنيا نحزن ونأسف وتضيق صدورنا؛ إذا مُنِعنا من دخول ما نطمع في رؤيته من الأماكن والمنشآت العظيمة الجميلة.. فكيف بأسى وحزن وحسرة من حرّم الله تعالى عليهم -في الآخرة- دخول جنات النعيم؛ وكتب عليهم الخلود في نار الجحيم؟!

فدعونا نقف وقفتين مع بعض الآيات الكريمات التي تُبين لنا حِرمان المكذبين بآيات الله تعالى؛ المستكبرين عنها من دخول الجنة، لعلّ هذه الوقفات تدفعنا إلى دعوة غير المسلمين؛ وهم بعدُ في هذه الدنيا:

الوقفة الأولى: استحالة دخول غير المسلمين الجنة -إذا ماتوا على كفرهم وتكذيبهم- قال تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ**} [الأعراف: ٤٠].

الوقفة الثانية: لو جاء غير المسلم -يوم القيامة- بستة بليون تريليون طن من الذهب -وهو وزن الأرض كما يقول أهل الاختصاص- لم تعتقه من دخول النار والخلود فيها، قال تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ**} [آل عمران: ٩١].

ومع إدراكنا بأن الخطاب القرآني الكريم موجّه للعالمين -وليس للمؤمنين فقط- فإن السؤال الذي يطرح نفسه: هل سمع غير المسلمين بهذه الآيات؛ وشبيهاتها؟!

الجواب: في الغالب أنهم لم يسمعوها.

فهلاّ أوصلنا لغير المسلمين؛ ترجمة معاني القرآن العظيم؛ ليمرّوا عند قراءته على هذه الآيات العظيمة -التي تأملناها في هذا المقال- علّهم ينتبهوا من غفلتهم؛ ويعودوا لدين الفطرة؛ ويسلموا لله رب العالمين؛ وينضمّوا إلى قافلة الموحدين لله تعالى الموعودين بجنات النعيم.

ومن أعظم الآثار الإيجابية لدعوة غير المسلمين: أن مجتمعاتهم ستتغير ديموغرافيًا لصالح الإسلام والمسلمين؛ كلما دخل فيها مسلمون جدد.. وهو فتحٌ فيه شيء من الشّبه بالفتح الذي حصل في صلح الحديبية؛ حيث دخل الكثير في الإسلام في تلك الهدنة، وسماه الله فتحًا مبينا، قال تعالى: {**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا**} [الفتح: ١].

كذلك من الآثار الإيجابية لدعوة غير المسلمين: إظهار عظمة قيم هذا الدين؛ الذي يُرغِّب أتباعه في إخراج المكذّبين بهذا الدين -حتى لو كانوا اليهود الغاصبين- من الظلمات إلى النور، ومن الحرمان من دخول جنات النعيم؛ إلى الفوز بها مع الفائزين.

وأخيرًا: لو سأل سائل كيف أدعو غير المسلمين في هذا العصر؟!

فإنني أنصح -لمن صعُب عليه دعوتهم مباشرة- أنصحه بدعم الجهات الدعوية التي تُعنى بدعوتهم عن طريق الشبكة العنكبوتية؛ كجمعية ركن الحوار الأهلية، وكذلك كثير من الجمعيات الدعوية التي لها عناية بدعوة غير المسلمين، وخاصة مع سهولة دعم الجمعيات الدعوية عن طريق تطبيق الراجحي.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (٢٣)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: ﴿**قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [الأنعام: ١٤]، قال أهل التفسير: "وخص الإطعام بالذكر دون غيره من ضروب الإنعام: لأن الحاجة إليه أمس لجميع الأنام".

نقف مع هذه الآية الكريمة متأملين ومتدبرين:

تنوّعت المأكولات والمشروبات التي يتفنّن البشر في تصنيعها وتقديمها للناس في هذا العصر. وهي جميعها مصنّعة مما أخرج ربنا سبحانه للناس من الأرض من نبات؛ وما أنزل من السماء من ماء؛ وما خلق من بهيمة الأنعام؛ والطير؛ واللحم الطريّ الذي امتلأت به البحار والأنهار، وغير ذلك كثير مما أطعم الله تعالى الناس، قال تعالى: {**وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ**}. حتى أنه يصعب على المتسوّق حصر أعداد المطاعم ومراكز تسويق المواد الغذائية في المدينة الواحدة لكثرتها، ناهيك عن البيوت؛ وتفنّن النساء في الطهي وتقديم الطعام.

فهل يا ترى كان لهذا التنوّع في المأكول والمشروب -الذي أطعم الله تعالى البشر، {**وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ**}- هل كان لهذا التنوّع من أثر في ارتفاع نِسب الداخلين في دين الله تعالى، خاصة أن الآية الكريمة خاطبت غير المسلمين؟!

يجهل غير المسلمين أن الله تعالى جعل من الطعام والشراب بوابة عظيمة لتعظيمه سبحانه؛ بأنه فاطر السماوات والأرض؛ الذي يجب الاستسلام له؛ ونبذ وترك الشرك. فجاءت هذه الآية الكريمة لتُزيل هذا الجهل لديهم، قال تعالى: {**قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**}.

إن هذه الآية الكريمة التي حوت قول الله تعالى: {**وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ**}، جاء في أولها تعظيم لفاطر السماوات والأرض، قال تعالى: {**قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**}. وجاء في آخرها التحذير من الشرك؛ وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلن بأنه أول من أسلم، وألا يكون من المشركين، قال تعالى: {**قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**}، هذا هو المراد من حديث القرآن الكريم عن إطعام الله تعالى للناس! تعظيمه سبحانه وتوحيده؛ ونبذ الشرك؛ الذي هو أعظم الظلم، قال تعالى: {**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**} [لقمان: ١٣].

وعلى العكس من مراد الله تعالى الذي دعت إليه الآية الكريمة -الذي ذكرته آنفا- صار الأكل والشرب فتنةً لغير المسلمين. إذ لم يتعدّ اهتمامهم به عن التنافس في تحسين مذاقه وتجميل عرضه فقط. وفاتهم التأمل في مصدر طعامهم وشرابهم؛ ليهتدوا به إلى فاطر السماوات والأرض! الله رازقهم سبحانه العليم القدير. ولذلك بقوا على الشرك الذي هم عليه. وصدق الله تعالى في وصفهم بأنهم يأكلون كما تأكل الأنعام، قال تعالى: {**إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ**

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ} [محمد: ١٢].

وكيف لا يكون إطعام الله تعالى للناس -{**وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ** }- أمرًا يوجب تعظيمه سبحانه؛ وتنزيهه عن الشريك؛ والحاجة للإطعام أمس لجميع الأنام، كما قال أهل التفسير؟!

أخيرًا: صار واجبًا على المسلمين عموما -والدعاة منهم على وجه الخصوص- أن يعتنوا بالمعاني الجليلة لقوله تعالى: {**وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ**}؛ عناية فائقة، وأن يعقدوا لذلك وِرش العمل؛ لاستخراج هذه المعاني من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومن ثم نشرها؛ لينتفع بها الناس عموما؛ وغير المسلمين على وجه الخصوص.

من هذه المعاني الجليلة:

إطعام الله تعالى لخلقه؛ مدعاة لتعظيمه سبحانه، فهو فاطر السماوات والأرض، وهو خالق هذه المأكولات والمشروبات.

إطعام الله تعالى لخلقه؛ مدعاة لنبذ الشرك، فلا خالق لهذه المأكولات والمشروبات إلا الله تعالى وحده.

إطعام الله تعالى لخلقه؛ مدعاة للتأمل في تصريف الله تعالى للأمطار بين الناس، قال تعالى: {**وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا**} [الفرقان: ٥٠]. وأن الله تعالى جعل من الماء كل شيء حي.

إطعام الله تعالى لخلقه؛ مدعاة للتأمل في خلق الله تعالى للنبات، وخاصة التأمل في عملية التمثيل الضوئي في النباتات، وأن النبات يصنع غذاءه لنفسه، وكذلك يصنع غذاء البشر والأنعام، قال تعالى: {**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا**

يُبْصِرُونَ} [السجدة: ٢٧]. وقد خلق الله تعالى من النباتات نحو نصف مليون نبتة؛ كما يقول أهل الاختصاص.

إطعام الله تعالى لخلقه؛ مدعاة للتأمل فيما خلق الله تعالى من بهيمة الأنعام؛ لحومها وألبانها.

إطعام الله تعالى لخلقه؛ مدعاة للتأمل في الثروة الغذائية في البحار والأنهار.

إطعام الله تعالى لخلقه؛ مدعاة لإبراز البحوث العلمية التي توصل لها العلماء المتخصصون في هذا العصر، والتي تعكس عظمة الخالق سبحانه فيما خلق للناس من مطعم ومشرب.

وغير ذلك من المعاني الكثيرة العظيمة؛ المبثوثة في الوحيين.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

۞۞۞

التأمل رقم (٢٤)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**} [الأنعام: ٦٧]، قال أهل التفسير: "لكل خبر قرار يستقر عنده، ونهاية ينتهي إليها، فيتبيَّن الحق من الباطل، وسوف تعلمون -أيها الكفار- عاقبة أمركم عند حلول عذاب الله بكم".

يقول الناس لبعضهم البعض في حديثهم الدارج -سواء كان الحديث فيه بشارة أو نِذارة- يقولون لمن ينصحون: غدًا ترى نهاية الطريق الذي سلكته.

وأيًا كان موضوع الطريق الذي يسلكه الناس -إن كان عملا وظيفيا أو تجارة أو رياضة أو غيرها- فإن النهاية التي يحذر منها البعض أو يبشر بها؛ تظل في دائرة تخمين البشر، وليس على وجه الجزم واليقين.

أمّا حين يقول تعالى: {**لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرّ**}؛ فإنه سبحانه يبين للعالمين؛ يقينا جازما أن الطريق والنهج الذي يرشد الله تعالى إليه ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ أو يحذران منه؛ له نهاية وقرار يستقر إليه؛ إن خيرا فخير، وإن شرًا فشر.

وهذا الجزم واليقين من الله تعالى يجري على كل طريق يسلكه الإنسان؛ وكيف تكون نهايته، وليس على مسلك واحد فقط.

وأهم طريقين يجب على المسلم أن يعلم نهايتهما؛ هما: الطريقان؛ الموصل أحدهما إلى جنات النعيم.. والآخر الذي ينتهي بصاحبه إلى جهنم وبئس المصير.

قال تعالى عن الطريق الذي سيكون مستقره ونهايته إلى جنات النعيم: {**تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**} [النساء: ١٣].

وقال تعالى عن الطريق الذي سيكون مستقره ونهايته إلى الجحيم: {**وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ**} [النساء: ١٤]، قال أهل التفسير: "ومَن يَعْصِ الله ورسوله، بإنكاره لأحكام الله، وتجاوزه ما شرعه الله لعباده بتغييرها، أو تعطيل العمل بها، يدخله نارًا ماكثًا فيها، وله عذاب يخزيه ويهينه".

وأخيرًا: على المسلم حين يتدبر كتاب ربه تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم؛ أن يصطحب معه المعنى العظيم الذي مر معنا لقوله تعالى: {**لِكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ**}؛ ليتعرف -بالنصوص الشرعية- إلى سبل الخير وما تنتهي إليه، وكذلك سبل الشر وما تنتهي إليه.

ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

من كان سبيله الصدق مع ربه ومع نفسه ومع الناس؛ فحتما سينتهي به الحال إلى البِر في هذه الدنيا، قال صلى الله عليه وسلم: (**إنَّ الصِّدقَ يَهدي إلى البِرِّ**) [متفق عليه].

ومن كان سبيله الكذب؛ فحتما سينتهي به الحال إلى الفجور في هذه الدنيا، قال صلى الله عليه وسلم: (**وإنَّ الكذبَ يَهدي إلى الفجورِ**) [متفق عليه].

وكذلك من كان سبيله الرفق؛ فإنه حتما سيُزين له هذا الرفق أموره كلها، قال صلى الله عليه وسلم: (**إنَّ الرِّفْقَ لا يَكونُ في شيءٍ إلَّا زانَهُ**) [رواه مسلم (٢٥٩٤)].

ومن كان سبيله الشدة والغلظة –وليس الرفق– فإن شدته وغلظته حتما ستعيب عليه أموره كلها، قال صلى الله عليه وسلم عن الرفق: (**ولا يُنْزَعُ مِن شيءٍ إلَّا شانَهُ**) [رواه مسلم (٢٥٩٤)].

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

۞۞۞

التأمل رقم (٢٥)

نواصل –بتوفيق الله تعالى– التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَكَذَٰلِكَ نُرِي إبراهيم مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ**} [الأنعام: ٧٥]، قال أهل التفسير: "وكما هدينا إبراهيم عليه السلام إلى الحق في أمر العبادة نُريه ما تحتوي عليه السماوات والأرض من ملك عظيم، وقدرة باهرة، ليكون من الراسخين في الإيمان".

نقف مع هذه الآية الكريمة متأملين ومتدبرين:

فطر الله تعالى البشر على الإعجاب والانبهار بالأمور العظيمة. ولذا نرى أن الدول إذا أرادت أن تبهر الناس بإنجازاتها؛ فإنها تعمد إلى إبراز أعظم ما لديها من منشآت وصناعات؛ حتى يحصل الانبهار من الناظرين. وكذلك يفعل الأفراد إذا أراد أحدهم أن يبهر الناس بما لديه من إنجازات.

ولله المثل الأعلى.. لأن خلق السماوات والأرض من أعظم ما خلق الله تعالى في هذا الكون المنظور، قال تعالى: {**لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**} [غافر: ٥٧]؛ جاءت عشرات الآيات التي تحث على النظر إليها.

وأول من خوطب بالنظر في ملكوت السماوات والأرض والتفكر فيه هم الرسل عليهم السلام.

فهذا نوح عليه السلام يوجه قومه إلى النظر في ملكوت السماوات والأرض والتفكر فيه، قال تعالى: {**أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا**} [نوح: ١٥].

وإبراهيم إمام الموحدين عليه السلام؛ يُوجَّه إلى النظر في ملكوت السماوات والأرض والتفكر فيه، قال تعالى: {**وَكَذَٰلِكَ نُرِي إبراهيم مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ**} [الأنعام: ٧٥].

وموسى عليه السلام يوجِّه فرعون وملأه إلى النظر في ملكوت السماوات والأرض والتفكر فيه، قال تعالى: {**قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ**} [الشعراء: ٢٤].

وسيّد المرسلين صلى الله عليه وسلم يُوجَّه إلى النظر في ملكوت السماوات والأرض والتفكر فيه، قال تعالى: {**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ**} [البقرة: ١٠٧].

أخيرًا: إذا كان الرسل عليهم السلام؛ الذين يوحى إليهم أدركوا –بتربية الله تعالى لهم– أن من أعظم ما يرسخ إيمانهم؛ هو النظر في ملكوت السماوات والأرض والتفكر فيه؛ فإنه يكون من باب أولى أن يعتني أتباعهم بالنظر في ملكوت السماوات والأرض والتفكر فيه، قال تعالى في حق المؤمنين: {**خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ**} [العنكبوت: ٤٤]. وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة (ويل) لمن قرأ قوله تعالى: {**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ**}؛ ولم يتفكر فيها! [حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٤٦٨)].

وبين تعالى أن الذاكرين له سبحانه يتفكرون في خلق السماوات والأرض، قال تعالى: {**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي**

خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [آل عمران: ١٩١].

وإذا كان العقلاء من البشر يوقنون أن ما من منشأة تُشيّد إلا كان وراء تشييدها هدف وحق واضح، ولا يرضون لنزلاء تلك المنشأة أن ينحرفوا بها عن الهدف الذي أنشأت من أجله؛ مما يؤدي إلى الفساد والهلاك.

ولله المثل الأعلى.. فكذلك السماوات والأرض ما خلقهما الله تعالى إلا لحق وهدف واضح، قال تعالى: **{وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}** [الجاثية: ٢٢]. إنه الجزاء في الآخرة على ما كسب الناس على هذه الأرض وتحت هذه السماء. ونهى وحرم سبحانه عن الانحراف عن الحق -الذي من أجله خلق سبحانه السماوات والأرض- وذلك بعصيانه وعصيان رسله عليهم السلام؛ حتى لا يقع الفساد والهلاك، قال تعالى: **{وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا}** [الأعراف: ٥٦].

فهلاّ استجبنا لتوجيه ربنا العلي العظيم؛ فننظر في ملكوت السماوات والأرض؛ ونتفكر فيهما على الدوام؛ لنزداد تعظيما لله تعالى؛ ونزداد بهذا التعظيم إقبالا على الله تعالى؛ وانقيادا لمنهجه القويم.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك ...

التأمل رقم (٢٦)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**} [الأنعام: ١٢٢].

خمسة مليار من غير المسلمين في حكم الموتى.

لنسأل سؤالاً: لو افترضنا أن وباءً معديا أصاب البشرية اليوم؛ ومات على إثره (١٠٠) مئة مليون شخص في دول كثيرة.. لكان وضع الناس في الأرض في هلع لا يوصف؛ وخوف؛ وطوارئ لا مثيل لها؛ واستنفار كالاستنفار للحروب.

وفي المقابل؛ كم يا ترى لدينا من موتى في هذه الأرض هذه اللحظة بسبب الكفر بالقرآن من اليهود والنصارى والبوذيين وغيرهم من ملل الكفر؟! مليارات من موتى القلوب.. وليس مئة مليون.

والدليل على أن هذه المليارات موتى دعونا نتأمل في آيتين كريمتين:

قال الله تعالى: {**أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ**}، تبين الآية الكريمة أن الرجل من المشركين في مكة يعتبر ميتا قبل إسلامه.. ثم أحياه الله تعالى بالقرآن.

وقال تعالى: {وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا} [الشورى: ٥٢]، قال أهل التفسير: "أي القرآن تحيا به القلوب".

من الآيتين الكريمتين نعرف أن كل كافر ميت القلب.. وبما أن عدد الكفار اليوم –من نصارى ويهود وبوذيين وغيرهم من ملل الكفر– خمس مليارات.. إذن لدينا خمس مليار ميت.. وأنه لا يحييهم من هذا الموت إلا الإيمان بالله وبقرآنه.. وهم بشر مثلنا لا يتحملون نار جهنم.

فكيف يذهل المسلمون ويصيبهم الخوف والهلع من وباء قد يقتل مئة مليون.. في الوقت الذي لا يحسّ الكثير منهم أصلاً أن هناك خمسة مليار كافر قد ماتت قلوبهم لكفرهم بالقرآن.. وأنهم لن يحييوا من موتهم إلا بالإيمان به.. وأنهم لو ماتوا على حالهم لدخلوا النار؟! أين الرحمة المطلوبة في قلب المسلم لإنقاذهم من النار.. قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ١٠٧]؟!

ليس ذلك فقط.. بل إن فقد القرآن أخطر من فقد الماء والهواء والغذاء.

الماء ضروري جدا لحياة الإنسان.. وقد يموت الإنسان عطشا لو فقد الماء في الصحراء مثلا.. لكنه إن كان مسلما فإنه لو مات عطشانا فإنه يموت على خير حال.

الغذاء ضروري جدا لحياة الإنسان، وقد يموت الإنسان جوعا لو جاع لفترة طويلة.. لكنه إن كان مسلما فإنه لو مات جوعا فإنه يموت على خير حال.

الهواء ضروري جدا لحياة الإنسان، وقد يموت الإنسان اختناقا لو فقد الهواء؛ لكنه إن كان مسلما فإنه لو مات مختنقا فإنه يموت على خير حال.

أمّا الأمر الرابع القرآن؛ ففقده الأخطر على الإطلاق على كل إنسان.. لأن من فقد القرآن ومات على تلك الحالة فإنه لا يموت على خير حال؛ كما يموت المسلم العطشان أو الجوعان أو المختنق.. بل والعياذ بالله يموت ومصيره إلى النار.

والسؤال الذي يطرح نفسه: من يخرج هذه المليارات الميتة قلوبها –من هؤلاء الكفار– من الظلمات إلى النور؟! إنها لا شك الدعوة إلى الله تعالى.

نلاحظ –طبعا– أننا لا نقصد المسلمين؛ فيما سبق بيانه بموت القلوب.. الكلام كان عن الكفار فقط.. لأن المسلمين يؤمنون بالقرآن؛ ولذا فهم أحياء لإيمانهم.. لكن لابد أن يعلموا أنه لو قصر بعضهم في العمل بالقرآن؛ أو اتخذوه مهجورا؛ فقد تبدأ قلوبهم بالمرض، وإذا استفحل المرض فقد تموت.. فلو تَرَكُوا الصلاة مثلا؛ أو لو تجرأوا واتهموا الإسلام بالتخلف –كما يقول الكفار والمنافقون في كل عصر– فهؤلاء تموت قلوبهم؛ إن لم يتوبوا إلى الله تعالى.

ولا شك أننا نحتاج أن نكثف الدعوة بين المسلمين أولا.. لأنهم رأس المال الذي يجب المحافظة عليه.. وسوف يؤثر المسلمون في غيرهم إذا عرفوا واجب الدعوة عليهم.

أخيرًا: إن القناعة بضرورة الدعوة لا تأتي بالتدرج مع الزمن.. الدعوة تولد قناعتها في النفس بمجرد كونها أسلمت لله رب العالمين؛ كما حصل للنفر من الجن، قال تعالى: {**وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ**} [الأحقاف:٢٩]، لكن الذي يأتي بالتدرج في موضوع الدعوة هو الارتقاء بها والإبداع في وسائلها.

ولذلك كان الصحابة رضوان الله عليهم منذ اللحظة التي يسلم فيها أحدهم تجده ينطلق داعيا إلى الله ليوصل إلى غيره نور الإسلام.. لأن الاسلام إيمان بمبادئ عظيمة تحتاجها البشرية.. ومن عظمتها: أن المسلم لا يتأخر لحظة إيمانه بها أن يجتهد في إيصالها بالقول والعمل للعالمين.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك..

۞۞۞

التأمل رقم (٢٧)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**} [الأنعام: ١٦٢].

انتكاسة غير المسلمين بفصلهم الحياة عن الدين.

فلأن ديننا الإسلامي العظيم لا يفرق بين حركة الإنسان وتعاملاته داخل المصنع، أو تجمعه مع إخوانه في أداء شعيرة الحج، لا يفرق بينهما في ضرورة أن تكون أخلاقيات وتعامل الناس في أي مكان كانوا لابد أن تنضبط بشرع الله تعالى ومنهجه؛ فإنني سأعرض مثالا من حياة غير المسلمين في كيفية استثمارهم للإنسان في المصنع، ودفعهم له ليبذل قصارى جهده لرفع الإنتاج المادي.

تجارب الغرب في إدارة الإنسان في شركاتهم ومصانعهم نجحت أيما نجاح في الاستفادة من طاقات البشر الاستفادة القصوى؛ حين عرف الموظّف حقوقه وواجباته، فارتفعت معدلات الإنتاج، وانصبت المليارات في جيوب أصحاب المال، وأخذت الكتب تخرج متحدثة عن نجاح هذه الشركات، كالشركة العملاقة "قوقل"؛ وشركات الحاسب؛ وشركات صناعة السفن أو الطائرات أو السيارات وغيرها.

هذه التجربة الإدارية الناجحة في تشغيل الإنسان خلال ساعات دوامه الوظيفي، وجعله منتجاً؛ كان الأولى أن تنعكس على أصحابها بالقناعة التامة بضرورة تبنيهم نظاما لحياة الإنسان كلها، حتى ينجح في الميدان الأكبر ميدان الحياة، بعد أن لمسوا نجاحه في حيّز زماني ومكاني صغير، فيُحسِن التعامل مع خالقه ومع نفسه ومع غيره ومع المجتمع كله خلال حياته كلها.

لكن بدلا من ذلك، وبعكس قناعاتهم من ضرورة ضبط الإنسان بنظام؛ انتكسوا على أعقابهم، تماما كما فعل قوم إبراهيم عليه السلام في ردهم الحق الذي بينه لهم، قال تعالى: {**قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إبراهيم • قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ • فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ • ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ • قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ • أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ • قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ**} [الأنبياء: ٦٢-٦٨].

نُكِس غير المسلمين على رؤوسهم رغم معرفتهم للحق، فتركوا الإنسان خارج المصنع بعد انتهاء دوامه؛ ليفعل ما يحلو له، معلنين أن الإنسان المكرّم من الله تعالى والمفضّل على كثير ممن خلق هو مجرد مورد بشري، مثله مثل باقي الموارد الأخرى؛ كالموارد المالية والمنشآت والحواسيب التي تحتاجها الشركات لخدمة إنتاج المصانع وزيادة أرباحها، تركوه حرا خارج المصنع زعموا! واستنكفوا واستكبروا عن الاستسلام لمنهج الله للإنسان الذي يخلصه من عبودية كل شيء؛ إلا عبودية الله تعالى الواحد الديان، بل الأدهى من ذلك عندما وضعوا له نظاما بديلا ناقصا قاصرا يسّير به حياته، سمحوا له فيه حتى

بمخالفة الفطرة؛ بالإباحية والشذوذ الجنسي، ناهيك عن إفساد أحواله الاقتصادية وغيرها من جوانب حياته؛ ممّا يضر الإنسان ويرده أسفل سافلين.

أمّا الإسلام فقد بين في آية واحدة أن جميع تعاملات الإنسان -سواء كانت في المصنع أو في الحج وهو يؤدي النسك- أنها كلها يجب أن تكون خالصة لله تعالى، وهذا ما غاب عن تصور منظري الغرب، ففصلوا الدين عن الحياة، ولم يعوا أنهم بفعلهم هذا كأنما سحبوا من جسد الإنسان دمه الذي جعله الله سببا لبقائه، فقد أماتوا قلبه بفصل دينه عن حياته، الدين الذي أكمله الله وأتمه رحمة وهداية للإنسان.

لقد جاء ذكر النسك ضمن الآية العظيمة من سورة الأَنْعَام؛ التي تكلمت عن حياة الإنسان وما يتخللها من أعمال دينية ودنيوية، وأنها كلها يجب أن تكون لله رب العالمين، قال تعالى: {**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**}[الأنعام: ١٦٢].

وزاد الإسلام على ذلك بأن جعل العبادات -ومنها حج بيت الله الحرام- طريقا ليرسّخ في نفوس المسلمين أن أساس نظام الحياة الذي يحتاجونه في حجهم وبعد عودتهم لبلدانهم هو الاستسلام لخالقهم العليم الحكيم؛ والانقياد لأمره ونهيه، ممتثلين لمنهجه في باقي رحلة حياتهم.

أخيرًا: هكذا يتبين الفرق بين الإسلام المنهج الرباني الشامل لكل جوانب الحياة- والتي منها الإبداع المادي- وبين منهج البشر الذي نجح في دفع الإنسان لبذل قصارى جهده وطاقته في مصنعه؛ ثم تركه هملا كالأنعام في سائر حياته، بل هو أضل منها؛ كما قال تعالى -عن المتمردين على منهجه الرافضين للاستسلام لخالقهم-: {**أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**} [الأعراف: ١٧٩]. اللهم ارزقنا التفكر في آياتك..

التأمل رقم (٢٨)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ**} [الأعراف:١٠].

ليكن لون من ألوان مدارستنا للقرآن الكريم أن نتذكر بعض أسباب التمكين التي منحنا الله تعالى لتمكيننا من العيش على هذه الأرض. حتى يكون لهذا التذكير أثر كبير في تعظيم ربنا وخالقنا سبحانه وتعالى.

بدايةً؛ ليست وزارات الإسكان في دول العالم هي من أوجد هذه الأرض.. إنما الله تعالى خلقها، قال تعالى: {**تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ**} [طه:٤].

وليست وزارات النقل والمواصلات من بدأ بشق الطرق على هذه الأرض، بل الله تعالى: {**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا**} [طه: ٥٣].. كما أن هذه الوزارات لم تخلق لنا الخيل والحمير لركوبها والتنقل عليها، لكنه الله تعالى: {**وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**} [النحل: ٨].

والله تعالى هو من أنزل الماء وأنبت الزرع، وليست وزارات الزراعة والمياه. قال تعالى: {**وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ**} [إبراهيم:٣٢]

كما أن هذه الوزارات لم توجِد للبشر أنواع اللحوم المختلفة -كبهيمة الأنعام؛ والأسماك- بل الله تعالى.

والطاقة كذلك؛ ليست وزارات البترول من أوجدها، لكنه الله تعالى: **{الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ}** [يس:٨٠] كما أن وزارات الكهرباء لم تجعل لنا الشمس ضياء والقمر نورا، بل الله تعالى.

أخيرًا: إن من أكبر أسباب التمكين التي وهبها تعالى للإنسان: نعمة العقل؛ الذي سخره له سبحانه لتطوير سبل عيشه على هذه الأرض. فأبدع وطور وصنع -في حدود إمكاناته وقدراته، إذ هو لا يستطيع أن يخلق شيئا- لتسهيل سبل عيشه.

ولو تتبعنا هذا الموضوع أكثر لتعرفنا إلى عظيم فضل الله تعالى على عباده، وقد أجمل الله تعالى ذكر نعمه فقال: **{وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ}** [النحل:٥٣].

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك..

التأمل رقم (٢٩)

نواصل –بتوفيق الله تعالى– التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا**} [الأعراف:٢٧].

فإن من أوائل الذنوب التي حذّر الله تعالى منها البشرية –بعد الشرك به تعالى– هو إغواء الشيطان لهم بالتبرج والسفور، فقد نادى الله تعالى الناس في آيتين: بـ"يا بني آدم"، مصرحتان بضرورة الستر باللباس الشرعي –للرجال والنساء سواء– وخطورة التبرج والسفور، قال تعالى: {**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ • يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ**} [الأعراف: ٢٦-٢٧].

ولا عجب في هذا التحذير من خطر التبرج والسفور؛ من لدن العليم الحكيم، فقد عانت منه البشرية خلال تاريخها الطويل، ثم بلغت ذروة معاناتها منه في هذا العصر، حيث انتشرت الفاحشة، وانتشر الشذوذ بما لم يتصوره أحد من قبل.. وتفشت في البشرية الأمراض التي لم تكن معروفة.. بل لقد بلغ إبليس الذروة في إغواء البشرية في هذا الباب من الشر في عصرنا؛ حتى

زين للكافرين أن يحموا الشذوذ الجنسي -زواج الشاذين والشاذات؛ التي هي الانتكاسة الصارخة عن الفطرة- بقوة القانون.. فأجازوه بتشريع يحميه النظام، وتجاهلوا عقاب الله تعالى لأمثالهم الشاذين من قوم لوط عليه السلام؛ بأشد العذاب، قال تعالى: {**أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ • وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ • قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ • قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ • رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ • فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ • إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ • ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ • وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ**} [الشعراء: ١٦٥-١٧٣].

وقبل تشريع زواج المثليين بأمد بعيد؛ كانوا قد شرّعوا لأنفسهم استحلال فاحشة الزنا؛ شريطة رضا الطرفين؛ والعياذ بالله.. ثم ابتدعوا معه قوانين منع التحرش -الذي لا يوقف الفاحشة في جو مشبع بسعار الجنس ولهيب الشهوة؛ إلا كما توقف تعليمات السلامة اشتعال الحريق في مكان مشبع بغاز سريع الاشتعال- وكان نتيجة ذلك فشل هيئات الصحة العالمية وما يتصل بها من مراكز للدراسات الطبية؛ في محاولاتها القضاء على خطر الأمراض الجنسية الفتاكة والمتزايدة، بالرغم من التقدم الهائل في مجالات العلوم الطبية المختلفة، وذلك للخلل الاستراتيجي الكامن في عدم النظر للأسباب الحقيقية التي كانت خلف انتشار هذه الأمراض، مع كونهم أعلم الناس بالتخطيط الاستراتيجي الفعّال، ولذا فقد ضمّن الله تعالى قرآنه الكريم، ما يحتاجه العالم اليوم كهدف استراتيجي لنجاح هيئاته الصحية، وهو ألا يقترب الإنسان من كل ما يدعو إلى الفاحشة، من تبرج وسفور وصور وأفلام خادشة للحياء: {**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا**} [الإسراء: ٣٢]، كما بين صلى الله عليه وسلم العقاب الرباني الذي ينزل على المتبجحين بإعلان الفاحشة -والذي

أصبح تجارة إعلامية تروج لها الكثير من القنوات الفضائية غير المحافظة والمجلات الفاضحة، بل ونشروها في الفضاء؛ لتكبر بذلك جريمة إعلان الفاحشة؛ بتنزيل مرضى القلوب لها في جهاز اسمه الجوال- فبين صلى الله عليه وسلم العقاب: **(وما ظهرت الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها، إلا ابتلوا بالأمراض والطواعين التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا)** [صححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٧٨)].

ولن تقل وتنحسر هذه الأمراض، ولن ينفكوا من هذا الفساد؛ وما ترتب عليه من عقاب رباني؛ إلا بعبادة ربهم عز وجل؛ واتباع ما أتاهم من بينة.

من أفواههم نعرف حجم العقاب الذي أنزله الله تعالى عليهم لننصحهم:

في محاولة من طبيب أمريكي غير مسلم ينصح ويحذر شبابا وشابات من بني جلدته؛ من ممارسة الجنس غير الآمن -وهو هنا لا يتكلم عن حرمة الفاحشة، ولكنه يتكلم عن نصائح طبية تحميهم من الأمراض عند ممارستهم للفاحشة- يقول: لقد كان لدينا في الستينيات الميلادية مرضان اثنان من الأمراض الجنسية فقط، والآن لدينا في عام ٢٠١٥م خمسة وعشرون (٢٥) مرضا جنسيا، تسعة عشر منها ليس له علاج. فسبحان من شرّع للإنسان ما يوافق ضعفه أمام هذه الشهوات! قال تعالى: {**وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا • يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا**} [النساء: ٢٧-٢٨].

وأخيرًا: أرجو أن يلاحظ معي القارئ الكريم أن تقدم الغرب في علومهم الطبية؛ لم يكن سببه الأكبر حبهم للعلم، لكنه بسبب ذلك العقاب الرباني بالأمراض الخطيرة؛ التي تزداد ولا تقل.. فاختاروا مقاومتها بالعلاج الآني المؤقت؛ بدلا من اجتثاثه من جذوره بالاستسلام لرب العالمين.. كما يذكرنا هذا النهج في التقدم العلمي لديهم بغيره من العلوم.. فعلوم مكافحة الجريمة

-وما يتصل به من دراسات في موضوع الأدلة الجنائية- ما تقدموا فيه إلا لكثرة عدد الجرائم؛ نتيجة تنكبهم لمنهج العليم الحكيم؛ الذي جعل لنا في القصاص حياة، قال تعالى: {**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**} [البقرة: ١٧٩].

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك..

التأمل رقم (٣٠)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**} [الأعراف: ٣١].

تصدّر -على منصة تويتر في إحدى الأشهر- هاشتاق لموت شخصية أمريكية مشهورة في رياضة كمال الأجسام؛ هو جورج بيترسون (GeorgePeterson)، عن عمر يناهز السابعة والثلاثين.

ومع يقيني بأن الموت والحياة بيد الله تعالى؛ غير أن الخبر استوقفني -وخاصة وفاته وهو شاب- وما إن بحثت عنه في وسائل التواصل الاجتماعي إلا وهالني كثرة المقاطع والمقالات التي تتكلم عن موت مجموعة من محترفي هذه الرياضة في تلك الفترة، بلغ عددهم (٢٨)، في أمريكا وخارجها، ذكرهم الكاتب Matthew Magnante في مقاله: Remembering (٢٨) Bodybuilders Who Passed Away (٢٠١٧-٢٠٢٠م)، المقال بعنوان: ذكرى موت ٢٨ من رياضيي كمال الأجسام بين عامي ٢٠١٧ و٢٠٢٠م.

ثم قرأت مقالا حول أسباب وفاة مشاهير رياضة كمال الأجسام بعنوان " CAN BODYBUILDING KILL YOU? A DIFFICULT

DISCUSSION) ، المقال بعنوان: هل يمكن لرياضة كمال الأجسام قتلك؟ "نقاش صعب" للكاتب Matt smith.

وبعد هذا السرد الإخباري؛ أستعين بالله تعالى وأقول:

مع أن الإسلام رغّب في أن يكون المسلم قويا، قال صلى الله عليه وسلم: **(المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ من المؤمنِ الضعيفِ وفي كلٍ خيرٌ)** [رواه مسلم (٢٦٦٤)]، والقوة الجسدية لون من ألوان القوى التي حث عليها الإسلام، وأي رياضة يَقْوى بها الجسد فهي مشروعة؛ إلا ما نهى عنه الإسلام من الممارسات الخاطئة لأنواع الرياضة المختلفة.

غير أن الآية الكريمة –التي هي موضع التأمل في هذا المقال، والتي جاء فيها النهي عن الإسراف: **{إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}**– كشفت لي ألوانا من الإسراف يمارسه محبو رياضة كمال الأجسام من غير المسلمين، أسوقها هنا حتى يتجنبها محبو هذه الرياضة من المسلمين، من ذلك:

أولاً: إسراف وهوس في تكبير وتضخيم العضلات: فبالرغم من الشعار الذي يرفعه ممارسو هذه الرياضة من غير المسلمين وهو: "حياة صحية أفضل، وجمال في المظهر"، فإن الهوس في الإسراف في تضخيم العضلات عاما بعد عام –تحت إلحاح الجماهير لرؤية استعراض أفضل في المسابقات القادمة– دفع ببعض ممارسي هذه الرياضة إلى تعاطي أنواع من العقاقير كالمنشطات، والأنسولين –لمشاهير لم يكونوا من مرضى السكر– وأدوية تنشيط هرمون النمو البشري؛ كانت سببا في مضاعفات صحية خطيرة، وفي بعض الأحيان قاتلة، وكأنهم عملوا عكس الشعار الذي رفعوه، وإن موت ٢٨ من محبي هذه الرياضة؛ معظمهم في ريعان شبابهم –في سنوات متقاربة– لهو أكبر دليل على هذا الإسراف.

ثانيًا: إسراف وهوس في حب البروز والظهور: وهنا يأتي توجيه النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين: (**إنَّ الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**) [رواه مسلم (٢٥٦٤)]؛ كدليل على افتقار غير المسلمين لمثل هذا التوجيه النبوي الشريف، فصار الإسراف في حب البروز والظهور ثقافة لديهم؛ في الرياضة والمسرح والسينما، ناهيك عن مشاهير وسائل التواصل الاجتماعي، حتى باتت النجومية هدفا للناس هناك.

فالحمد لله على نعمة الإسلام؛ الذي جعل أكرم الناس –عنده سبحانه– أتقاهم.. وأمّا البروز والظهور؛ فقد برز الصالحون من المسلمين؛ بأعمالهم الصالحة المؤثرة في مجتمعاتهم، رغم إخلاصهم وعدم رغبتهم في البروز والظهور.

ثالثًا: إسراف وهوس في كشف العورة: وما ذاك إلا لافتقار غير المسلمين إلى الاستسلام لله تعالى، ومن ثم افتقارهم إلى توجيه الإسلام في بيان حدود عورة الرجل؛ وأنها من السرة إلى الركبة، فتجدهم يستعرضون بعضلاتهم وهم شبه عراة، وفي هذا امتهان للإنسان، وانحطاط به إلى مستوى الحيوان؛ الذي لا يغطي عورته إلا ذيله، وقد خاطب الله تعالى جنس بني آدم فقال: {**يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا**} [الأعراف: ٢٧].

أخيرًا: كم يفتقر غير المسلمين إلى الاستسلام لله تعالى؛ ولمنهجه القويم؛ حتى تستقيم حياتهم على ما فطرهم الله تعالى عليه؟!

وإن من توجيهات منهج الإسلام العظيم للمحافظة على النفس البشرية: ما قاله سلمان لأبي الدرداء رضي الله عنهما: "إنَّ لنفسِكَ عليكَ حقًّا"، وصدّق الرسول صلى الله عليه وسلم على كلامه فقال: (**صدَقَ سَلْمانُ**) [رواه البخاري (١٩٦٨)].

فجسد الإنسان أمانة عنده، يجب المحافظة عليه؛ بالبعد عن الإسراف في المأكل والمشرب، قال تعالى: {**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا**}، وكذلك عدم الإسراف في تعاطي العقاقير بدون وصفة طبية، وعدم إلقاء النفس إلى التهلكة، قال تعالى: {**وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**} [البقرة: ١٩٥]، والبعد عن شرب الخمر؛ فهي أم الخبائث، قال صلى الله عليه وسلم: (**اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث**) [صححه الألباني في صحيح النسائي (٥٦٦٧)]، وغير ذلك من التشريعات للمحافظة على النفس البشرية.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (٣١)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ**} [الأعراف:١٠٠]، قال أهل التفسير: "أوَلم يتبين للذين سكنوا الأرض من بعد إهلاك أهلها السابقين بسبب معاصيهم، فساروا سيرتهم، أن لو نشاء أصبناهم بسبب ذنوبهم كما فعلنا بأسلافهم، ونختم على قلوبهم، فلا يدخلها الحق، ولا يسمعون موعظة ولا تذكيرًا؟".

الآية الكريمة تضع شرطا مهما للغاية؛ تحتاج إلى معرفته كل مؤسسة تستهدف التخطيط العمراني في بلدها.

بدايةً أُذكِّر أن أهل التخصص في مؤسسات التخطيط العمراني قد وضعوا -مشكورين- دراسات في المعايير والشروط المطلوبة لبناء المدن -يُرجع إليها في مراجعها المتخصصة المبثوثة على الشبكة العنكبوتية- من هذه الدراسات: تخطيط الموقع، وتصميم مشروعات البنية التحتية، ومشروعات الإسكان، وشبكات الطرق، وغيرها.

غير أن القرآن الكريم لفت إلى أمر غاية في الأهمية، ينبغي للقائمين على التخطيط العمراني في بلدان المسلمين أن يحسبوا له ألف حساب، وهو أن يُضمِّنوا شروط سُكنى المدن لديهم شرطا ينص على:

أن يعزم كل ساكن -هو ومن ولّاه الله تعالى أمرهم- على العيش في مسكنهم؛ متقين لله تعالى؛ طائعين له فيما أمر؛ متجنبين الذنوب والمعاصي؛ مهتدين بقوله تعالى -في الآية التي هي موضع التأمل في هذا المقال-: {**أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ**}، فقد أورثهم الله تعالى هذا السكن الجديد على أرضه التي خلقها لهم؛ وأمرهم بعدم إفسادها بمعصيته، قال تعالى: {**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا**} [الأعراف:٥٦].

هذا؛ وإن بني إسرائيل قد ضربوا من أنفسهم مثالا صارخا -في تاريخ الأمم- على عاقبة كل من لا يمتثل لأوامر الله تعالى في سُكنى الأرض، وذلك حين أسكنهم سبحانه القرية، واشترط عليهم الاستقامة فيها، قال تعالى: {**وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ**} [البقرة: ٥٨]، فعصوا وبغوا؛ فحق عليهم العذاب حين بدلوا، قال تعالى: {**فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**} [البقرة: ٥٩]، بل وقطّع أمتهم الواحدة إلى أمم في الأرض، وابتلاهم بالرخاء والشدة؛ رجاء أن يرجعوا إلى طاعة ربهم؛ ويتوبوا من معاصيه، قال تعالى: {**وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**} [الأعراف: ١٦٨].

إنه لابد للمسلمين أن يرسخ في نفوسهم أن البركة ورغد العيش في المدن والقرى إنما تأتي بتقوى الله تعالى وطاعته أولا، قال تعالى: {**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**} [الأعراف:٩٦]، ثم بالقيام بالتخطيط العمراني المتميز؛ الذي يوفر لهم كافة الخدمات بيسر وسهولة.

هذا وقد جعل الله تعالى البلد الحرام مثالا حيا للعالمين كافة؛ لينظروا كيف جعله سبحانه بلدة آمنة مطمئنة؛ بسبب التوجيه الشرعي لساكنيها وزائريها بشدة تعظيمهم لله تعالى فيها؛ وإخباتهم له، قال تعالى: {**وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ**} [التين:٣].

وأخيرًا: إن أولي الألباب -أصحاب العقول الواعية- هم الذين مدحهم الله تعالى؛ لتفكرهم فيما حصل للأمم السابقة؛ والعذاب الذي طال مساكنهم -حينما لم يفوا بالشرط الرباني لسُكنى الديار؛ بالابتعاد عن الذنوب، قال تعالى: {**أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ**} [طه: ١٢٨]، تأمل قوله تعالى {**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ**}.

ونحن نسير على خُطى أولي النُّهى الذين مدحهم الله تعالى، ونتفكر فيما يحصل في عصرنا الحاضر لأمم تشرك مع الله تعالى آلهة أخرى؛ وتعلن الإباحية، من ذلك: تفكرنا فيما أصاب الجنوب والغرب الأوسط الأمريكي في إحدى السنوات، حيث ضربها عدد كبير من الأعاصير في وقت واحد؛ من نوع (Tornado) أو (Twister)، وكان أشدها الإعصار الذي ضرب ولاية كنتاكي؛ مصداقًا لقوله تعالى: {**وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ**} [الرعد: ٣١]، وهو الإعصار الأقوى على مر

تاريخ الولاية كله، فقد استمر لمدة تسعين دقيقة، وبلغت سرعة الرياح فيه (٤٥٠ كيلو متر في الساعة)، نتفكر في ذلك ونقول: اللهم ارحم غير المسلمين بهدايتهم إلى طريقك المستقيم.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (٣٢)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ**} [الأعراف: ١٤٨]، قال أهل التفسير: "واتخذ قوم موسى من بعد ما فارقهم ماضيًا لمناجاة ربه معبودًا مِن ذهبهم عِجلا جسدًا بلا روح، له صوت، ألم يعلموا أنه لا يكلمهم، ولا يرشدهم إلى خير؟ أَقْدَمُوا على ما أقدموا عليه من هذا الأمر الشنيع، وكانوا ظالمين لأنفسهم واضعين الشيء في غير موضعه".

مهم جدًا -ونحن نرى غير المسلمين قد عبدوا الحجر والشجر والصليب، حتى الفئران- أن نتأمل في قول ربنا تعالى -في خطابه لمن عبدوا العجل-: {**أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا**}، وقوله تعالى: {**أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا**} [طه: ٨٩]، حيث بين سبحانه في الآيتين الكريمتين أنه يتكلم ويهدي. يتكلم كلاما يليق بجلاله، من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف.

فالله تعالى له كلام يهدي به الناس. وأمّا الآلهة التي اتخذها البشر فهي لا تتكلم ولا تهدي، قال تعالى: {**أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا**}.

وحتى يزداد تقديرنا لصفة الكلام لله تعالى؛ أقول: يعلم البشر أهمية صفة الكلام والبيان التي أكرمهم الله تعالى بها، قال تعالى: {**خَلَقَ الْإِنسَانَ • عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**} [الرحمن: ٣-٤]. كما ينظرون نظرة إكبار وإعجاب إلى كل من أوتي فصاحة في الكلام؛ وكان بليغا وخطيبا مفوها ومؤثرا في الناس بكلامه.

ولله المثل الأعلى.. فكيف إذا كان المتكلم هو رب العالمين؛ الذي عظّم من شأن كلماته سبحانه فقال: {**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**} [لقمان:٢٧]، وقال تعالى: {**قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**} [الكهف: ١٠٩]؟! وكذلك مدح سبحانه كلامه -القرآن الكريم- فقال عنه إنه: مبين وحكيم وهدى وذكرى وحق وفرقان ورحمة ومجيد وقول فصل. سبحانك ربي ما أعظمك.. وما أعظم كلامك!

ألا فليفرح المسلمون الصادقون بتعظيمهم لصفة الكلام لربهم؛ بإثباتها له؛ وأنه سبحانه يتكلم؛ كلاما يليق بجلاله، من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف. وليفرحوا كذلك باتباع شرعه سبحانه؛ المأخوذ من كلامه وهداه، والذي يضمن لهم سعادة الدنيا والآخرة، قال تعالى: {**قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ • يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**} [المائدة: ١٥-١٦].

أمّا غير المسلمين؛ فبالرغم من اعترافهم بأن الله تعالى هو الخالق، قال تعالى: {**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ**} [العنكبوت: ٦١]. إلا أنهم أجرموا جرما كبيرا؛ حين أعرضوا عن الإيمان بآخر كتبه -القرآن الكريم- الذي هو كلام ربنا العلي

العظيم. وسوف يجازيهم على إعراضهم، قال تعالى: {**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**} [طه: ١٢٤].

وأخيرًا: رحم الله تعالى إمام أهل السنة -الإمام أحمد بن حَنْبَل- الذي وقف -بتوفيق من الله تعالى- صخرة صماء؛ تكسرت عليها بِدع المحرفين لأسماء الله تعالى وصفاته، خاصة ما مس صفة الكلام لله تعالى، ودحضه بدعة خلق القرآن. فجزاه الله تعالى عن أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- خير الجزاء.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (٣٣)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**} [الأعراف: ١٥٨].

البشر يفرقون بين رسول جاء من قِبَل أحد عامة الناس؛ وبين رسول جاء من قِبَل رجل من عِلية القوم.

ولله المثل الأعلى.. فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم المرسل ممّن له ملك السماوات والأرض، قال تعالى: {**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ**}؟!

لذلك فإن من أعظم طرق تعظيم الرسل عليهم السلام -وعلى رأسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم- ازدياد معرفة المؤمن بمُرسِل الرسل -الله العلي العظيم- لتعلو بذلك مكانة الرسل في نفوس المؤمنين.

فدعونا نقف وقفتين مع كتاب الله تعالى لنرى تعظيم الله تعالى لذاته العلية؛ التي أعقبت الحديث عن إرسال الرسل عليهم السلام:

الوقفة الأولى:

أعظم أمر عظّم الله تعالى به نفسه هو وحدانيته سبحانه؛ وألّا إله غيره.. وقد ورد في القرآن الكريم ذكر وحدانية الله تعالى عند ذكر الرسل عليهم السلام، قال تعالى: {**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ**} [الأنبياء: ٢٥]، فيالله ما أرفع مكانة من اختاره الإله الواحد الأحد ليكون رسولا للناس.

كما بين لنا القرآن الكريم -في آيات متتاليات من سورة الدخان- أن الرسل عليهم السلام مرسلون من الرحمن؛ السميع العليم؛ رب السماوات والأرض؛ الذي يحيي ويميت؛ رب البشر أجمعين، قال تعالى: {**أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ • رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ • رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ • لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ**} [الدخان: ٥-٨].

الوقفة الثانية:

بين لنا القرآن الكريم أنه حتى مكذبي الرسل يقولون: بأن مكانة الرسل عليهم السلام ستعلو في نفوسهم، وسيصدقونهم إذا ما جاء رسولهم بآية إعجازية من المرسِل سبحانه -وصدقوا في ذلك، وإن كانوا كاذبين لنكوصهم عن قولهم عند مجيء الآيات-، حكى لنا القرآن الكريم قول المكذبين: {**مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**} [الشعراء: ١٥٤].

ولذلك نجد القرآن الكريم يحدثنا عن الآيات التي أعطاها الله تعالى لرسله عليهم السلام -حتى يعلم الناس عظمة الخالق سبحانه؛ ولتزداد بذلك مكانة الرسل عليهم السلام في نفوس العباد- قال تعالى عن موسى عليه السلام:

{**ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ**} [المؤمنون: ٤٥]، وكذلك تحدث القرآن الكريم عن معجزات عيسى وصالح وغيرهم من الرسل عليهم السلام.

وكذلك خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام -سيد الأولين والآخرين- أعطاه الله تعالى من دلائل النبوة؛ من المعجزات الشيء الكثير.. غير أن أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم هو القرآن الكريم، قال صلى الله عليه وسلم: (**مَا مِنَ الأنبياء مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْياً أَوْحَى الله إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) [متفق عليه]، لتعلو بذلك مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم في نفوس الناس.

وقد حصل أن ارتفعت مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم في نفوس الناس؛ حتى من غير المسلمين في هذا العصر، فهذا مايكل هارت يجعل الرسول صلى الله عليه وسلم على رأس الخالدين المئة في كتابه: "الخالدون المئة" -مع تحفّظنا على إدراج اسمه صلى الله عليه وسلم ضمن قائمة أسماء الشخصيات المذكورة في الكتاب من حيث الأساس-، وما ذاك إلا للمكانة العالية التي حظي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في النفوس بفضل القرآن الكريم؛ المعجزة الخالدة.

وأخيرًا: الرسل عليهم السلام مرسلون من الله تعالى ذي الأسماء الحسنى، قال صلى الله عليه وسلم: (**للهِ تبارَك وتعالى تِسعةٌ وتسعونَ اسمًا مَن أحصاها دخَل الجنَّةَ**) [متفق عليه]، فبقدر ما يزداد المؤمن معرفة لهذه الأسماء الحسنى لله تعالى -مُرسِل الرسل سبحانه؛ الذي اختارهم واصطفاهم عليهم السلام بعلم وحكمة وهو السميع البصير، قال تعالى: {**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا**

وَمِنَ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [الحج: ٧٥]- بقدر ما يزداد المؤمن معرفة لهذه الأسماء الحسنى التسعة والتسعين؛ بقدر ما ترتفع مكانة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قلبه.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

۞۞۞

التأمل رقم (٣٤)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ**} [الأعراف: ١٧٠].

متى تتجاوز علاقة البعض بكتاب ربنا سبحانه مرحلة القراءة للأجر فقط؛ إلى مستويات أرقى وأرفع وأهم وأعظم؟!

متى ترقى العلاقة إلى مستوى وصف المستمسك بالكتاب؟!

مِمَّا يعجبني في حياة بعض الطلبة النجباء في المدارس والجامعات؛ اهتمامهم بكتبهم الدراسية، حيث تعدت مرحلة القراءة للنجاح؛ إلى أن تكون استيعابا للمادة وحبا للعلم وترجمة له إلى ما ينفعه وينفع مجتمعه.

وهذا وصف لبعض ما يقوم به النجباء المبرزون من الطلبة تجاه كتبهم الدراسية؛ ليحظى الواحد منهم بمستقبل باهر ووظيفة مرموقة: فمن قراءة متأنية لمحتوى كتابه -حتى لا تفوته شاردة ولا واردة منه- إلى التحضير لما سيشرحه أستاذه من موضوعات جديدة.. إلى التفاعل الجاد والأسئلة الذكية والمداخلات المفيدة داخل القاعة الدراسية. إنها المعايشة للكتاب، والفرحة بالعلم، وأخذه بقوة وجدية.

وإذا كان هذا ما يقوم به طالب نجيب تجاه كتابه الدراسي؛ فكيف عساه يتعامل المسلم مع كتاب ربه؛ وهو يريد أن يكون ممن قال الله تعالى فيهم: {**وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ**} ليفوز بجنة عرضها السماوات والأرض؟!

إن الأوصاف التي جاءت في التعامل مع كتاب الله تعالى أرقى بكثير جدا من التعامل المميز لنجباء وأوائل الطلبة مع كتبهم.

فالمسلم لا يقرأ كتاب ربه بتأنٍ وتمهّلٍ فقط – كما أمره ربه تعالى: {**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا**} [المزمل: ٤]– بل يعمل بما يأمره به ربه سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم – كما قال تعالى: {**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**} [المائدة: ٩٢]– بل يزداد حبا لكتاب ربه على إثر تدبره له، فيخشع قلبه وتدمع عينه، كما قال تعالى: {**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**} [الأنفال: ٢]، وقال تعالى: {**وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا**} [الإسراء: ١٠٩]..

وبهذا التعامل مع كتاب الله تعالى؛ يكون أخذه لكتاب ربه بقوة، كما قال تعالى: {**خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا**} [البقرة: ٩٣].

وأخيرًا: لا شك أن القارئ الكريم يدرك الفرق بين الطالب النجيب وزميله المفرط؛ والنتيجة التي قد ينتهي إليها كل منهما. كما يدرك الفرق بين من يتعامل مع كتاب ربه بالطريقة التي يحبها الله تعالى؛ وبين المفرط في ذلك؛ والنتيجة التي قد ينتهي إليها كل منهما.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك..

التأمل رقم (٣٥)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ**} [الأعراف: ٢٠١]، قال أهل التفسير: "إن الذين اتقوا الله مِن خلقه، فخافوا عقابه بأداء فرائضه واجتناب نواهيه، إذا أصابهم عارض من وسوسة الشيطان تذكَّروا ما أوجب الله عليهم من طاعته، والتوبة إليه، فإذا هم منتهون عن معصية الله على بصيرة، آخذون بأمر الله، عاصون للشيطان".

ليس غريبا أن ينتبه المتقون -إذا حصل منهم تقصير في أداء واجب، أو الوقوع في منهي من المنهيات- ويعودوا ويتوبوا إلى الله تعالى من قريب.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه: كيف حاز هؤلاء المتقون على صفة التقوى؟ وكيف صاروا بهذه اليقظة والانتباه؛ حتى قال الله تعالى فيهم: {**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ**}؟

وقبل **الجواب** على السؤال فإنني ألفت انتباه القارئ الكريم إلى موضوع يكاد يعرفه كل الناس: "أولادنا والتحصيل العلمي" فإن فيه طرفا من **الجواب**.

لقد نجحت مؤسسات التعليم ومعهم الوالدان -مشكورين- في غرس معايير النجاح والفشل في التحصيل العلمي في نفوس الأبناء -ليحرص الأبناء على تحقيق معايير النجاح، ويربأوا بأنفسهم عن الوقوع في الفشل- وذلك

على مدى ليس باليسير من العمر.. إذ يبدأ من مرحلة الطفولة؛ ويمتد حتى سني الجامعة.. وقد تُوِّج ذلك كله بمعايير للقياس؛ كاختبار القدرات واختبار التحصيل قبيل انتهاء فترة الثانوية، ناهيك عن اختبارات ومقابلات القبول في الجامعات.

هذا الغرس –الممنهج الممتد لأكثر من عقدين في نفوس الأبناء لمعايير النجاح أو الفشل في التحصيل العلمي– أحدث في نفوس الطلاب –في جميع مراحل التعليم– حرصا على تحقيق النجاح الدراسي، مستحضرين مرارة الفشل حتى قبل الوقوع فيه.

أمّا إذا حصل وأخفق الطالب فإن ألم هذا الإخفاق لا يقتصر عليه فقط، بل يتألم لذلك والداه وإخوانه.. ويتخذ الطالب وذووه كل الإجراءات التصحيحية لهذا الفشل.

أظن أن القارئ الحصيف أدرك ما أرمي إليه بإيراد موضوع "أولادنا والتحصيل العلمي" عند التأمل في قوله تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ**}.

إن تحقيق معايير النجاح في التحصيل العلمي يشكل جزءا من موضوع كلي أعظم وأكبر، له معايير نجاح وفشل وضعها خالق الكون سبحانه، ألا وهو الحياة على هذه الأرض وفق منهج الله تعالى؛ لنيل محبته ورضاه؛ والبعد عن سخطه سبحانه.

أخيرًا: أن نكون ممّن قال الله تعالى فيهم: {**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ**} –نحن ومن استرعانا الله تعالى– عالمين بأحكام الله تعالى في عباداتنا، وعالمين بأحكامه سبحانه فيما نأتي ونذر في معاملاتنا، مدركين لأهمية ذِكر الله تعالى قياما وقعودا وعلى

جنوبنا؛ لهو أعظم مشروع علمي وعملي؛ يحتاج من الأمة المسلمة؛ أفرادا ومجتمعات -بعد توفيق الله تعالى- العناية به؛ فهما وتطبيقا على مدى العمر كله، قال تعالى: ﴿**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾ [الحجر: ٩٩].

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (٣٦)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**} [التوبة: ٢٢].

"مكاسب الدنيا وأجور الآخرة.. لا سواء".

فمن منا لا تهفو نفسه لمكسب مادي مهول، أو لبيت واسع على أجمل طراز، أو لأراضٍ خضراء واسعة في أجمل دول العالم؟!

لنعقد معا مقارنة بين صفة واحدة فقط: {**أَجْرٌ عَظِيمٌ**}؛ من أوصاف الأجور التي وعدنا الله بها؛ وبين صفقة من صفقات الدنيا؛ مهما كبرت وعظمت.. لنرى كيف هي عظمة الأجر عند من بيده خزائن السماوات والأرض.. قال تعالى: {**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ**} [المائدة: ٩]؟!

بيل غيتس -أغنى وأثرى رجل في العالم، صاحب شركة مايكروسوفت الشهيرة- يا ترى كم سيكسب في صفقة تجارية رابحة -وهو الذي أخذ منه؛ جمع ثروته البالغة خمسة وثمانين مليارًا وقتًا طويلا! ستين عاما من الزمان-؟ لا شك أنه سيخرج بربح لا يزيد في أنجح صفقاته عن مليار أو مليارين من الدولارات.. مما يعده أرباب المال ربحًا كبيرًا.

وهذا الربح -مليار أو مليارين- هو أقل بكثير من قيمة شارع واحد.. بأبراجه وأسواقه في مدينة كُبرى؛ كمدينة لندن أو شبيهاتها من المدن الكبرى.

وعند المقارنة نجد أن الله تعالى يعطي المؤمن أجرا عظيما على عمل واحد يقدمه في دقائق من يومه؛ أعظم من الصفقة التي صفقها بيل غيتس؛ والتي لم تبلغ ثمن شارع في مدينة كُبرى كلندن! بل أعظم من ثمن مدينة لندن بأكملها، بل أعظم من ثمن مدن مجتمعة، بل أعظم من ثمن كوكب الأرض وما فيه! فقد بين لنا صلى الله عليه وسلم أجر أداء سنة صلاة الفجر فقال: (**ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها**) [رواه مسلم (٧٢٥)].

لاحظ خير من الدنيا وما فيها.. يعني خير من كوكب الأرض بأكمله.

فكيف عساها تكون أجور من يكثر من الأعمال الصالحة وينوع فيها؟! لا شك أنه لا يعلم قدرها وعظمتها إلا الله تعالى إن أخلص النية لله تعالى!

فكيف بمن قصد البيت الحرام للحج أو العمرة؟! أو كيف بمن جاور فيه؟! هذه هي التجارة الرابحة، والمغنم الحق.

أخيرًا: صدق الله القائل سبحانه: {**وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**} [النحل: ٤١]، وفي وصف الله تعالى للجنة ما يجعل القلوب تطير شوقا إليها، حيث يقول في الحديث القدسي: (**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر**) [متفق عليه]! فمن يساوي متاع الدنيا الفاني الزائل.. بذاك النعيم العظيم الباقي؟!

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك..

التأمل رقم (٣٧)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**} [التوبة:١١٣].

لم يأذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لأمه.. فماذا حصل؟

جوابًا للسؤال أقول:

ماذا حصل بعد أن منع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستغفر لأمه؟ هل تُراه -حاشاه- ترك الدعوة وبات حزينا؟!

لا.. لا..

بل كان قلبه صلى الله عليه وسلم ممتلئًا رحمة للأحياء من المشركين.. لينقذهم من شركهم.. وقد أدّبه رَبُّه العظيم في وحيه بأن الذي سيفصل بين الناس كلهم يوم القيامة -بما فيهم أمه صلى الله عليه وسلم- هو خالقهم سبحانه، قال تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ**

كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [الحج:١٧]، وقال تعالى: **{يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا ۖ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ}** [الانفطار:١٩].

فلا تشغل فكرك أيها الداعية بأن هؤلاء في النار وأولئك في النار، فلقد عرفنا من كتاب ربنا عز وجل صفات أصحاب الجحيم فيكفي هذا القدر من العلم، واشتغل واصرف وقتك فيما يخرج أصحاب الجحيم من غضب الله وناره إلى جنته ورضوانه تعالى.. فهذا هو العمل الصحيح الذي ينبغي التركيز عليه.

هذا المقال هدفه الأوحد أن نستشعر الخطر الذي يواجهه المشرك من مصير في الدنيا والآخرة.. حتى تمتلئ قلوبنا رحمة للعالمين.. كما قال الله تعالى -عن نبيه صلى الله عليه وسلم-: **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}** [الأنبياء:١٠٧]، فصار همه الأكبر صلى الله عليه وسلم الدعوة وهداية الأحياء من العالمين، فأخرج الله على يديه صلى الله عليه وسلم -وهو أعلم الناس بخطر الشرك على صاحبه- أخرج الله على يديه الملايين -على مر العصور- من ظلمات الشرك إلى نور الإسلام.. ومن دركات جهنم إلى درجات الجنان.

فهل نستشعر من كتاب ربنا الرحمن الرحيم ما سيقابل المشرك من مصير مفزع وأليم؛ ليس في الآخرة فقط؛ بل حتى في هذه الدنيا؟؟

لينعكس هذا الشعور رحمة بهم ودعوة تنجيهم من هذا المصير البئيس.. كما كان قدوتنا وأسوتنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وحتى لا يصل بِنَا الحال إلى أن نتكاسل عن نسخ ولصق نسخة من القرآن المترجم -المتوفر على الشبكة العنكبوتية بدون مقابل- نهديها لمن أراد الله أن نتعرف إليه من غير المسلمين؛ في أي مكان كنّا.

بل حتى لا يصل بِنَا الحال إلى أن نتكاسل حتى عن نصح أخينا المسلم؛ الذي غفل عن صلاته وانقطع عنها.

الرحمة الحقيقية ليست في إطعام جائع أو كسوة عار؛ مع أهمية ذلك الرحمة الحقيقية هي في السعي لإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

بقي أن نعرف مصير المشرك في الدنيا والآخرة.. عَلّ قلوبنا تتحرك لرحمته وإنقاذه.

أمّا مصيره في الدنيا فيقول ربنا تعالى: {**حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**} [الحج: ٣١]، قال أهل التفسير: "من يشرك بالله شيئًا، فمثله – في بُعْده عن الهدى، وفي هلاكه وسقوطه من رفيع الإيمان إلى حضيض الكفر، وتخطُّف الشياطين له من كل جانب– كمثل مَن سقط من السماء: فإمّا أن تخطفه الطير فتقطع أعضاءه، وإما أن تأخذه عاصفة شديدة من الريح فتقذفه في مكان بعيد".

ولنعي خطورة هذا المصير: لو قيل لنا إن شخصا ما هوى من فوق ناطحة سحاب. فهل يا ترى سيبقى منه شيء؟؟

لا.. بل سيُصبِح هباء منثورًا.. فكيف وتصوير القرآن لحالة ونفسية المشرك البئيس كأنه خَر من السماء.. والسماء أعلى من ناطحة سحاب بمليارات المرات؟! يا له من تصوير مخيف؛ يتطلب الرحمة والشفقة من المؤمنين لإنقاذ المشركين.. قال تعالى عن مصير المشركين في الدنيا: {**فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ**} [الزمر: ٢٦].

أمّا عذاب الآخرة فهو أدهى وأمرّ.. قال تعالى: {**وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**} [الزمر: ٢٦].

ألا ما أعظم رحمة الرسل عليهم السلام بالخلق... كانوا يواجهون المشركين بتخويفهم من سوء المصير.. وهذه هي الرحمة بعينها.. أن تواجه من ترحمه بما هو عليه من حال غير صحيح.. قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: {**وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ۚ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**} [الأنعام: ٨١].

وأخيرًا: لنعلم أن دعوتنا غير المسلمين إلى توحيد الله -الذي جاء به كل الرسل عليهم السلام- هو واجبنا في هذه الدنيا، وهو فخرنا وعزنا في الآخرة، قال الله تعالى: {**لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**} [البقرة: ١٤٣]، جاء في تفسيرها بما ثبت في الأحاديث الصحيحة.. أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ستشهد يوم القيامة للرسل عليهم السلام أنهم بلغوا رسالة ربهم لأقوامهم.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك..

۞۞۞

التأمل رقم (٣٨)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ**} [يونس:٢]، قال أهل التفسير: "أكان أمرًا عجبًا للناس إنزالنا الوحي بالقرآن على رجل منهم".

من أقبح وأبشع الظلم الذي يقع فيه غير المسلمين -في الماضي والحاضر والمستقبل- رفضهم الانقياد لكتاب الله تعالى.. وهذا الرفض لكتاب الله يأتي في صور مختلفة، منها: تعجبهم من أن يكون لله تعالى كتاب من عنده؛ أوحاه إلى رجل منهم: {**أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ**}، بالرغم من إقرارهم بأنه خالق كل شيء.

ومنها: ادعاؤهم أن القرآن إفك افتراه الرسول صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: {**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا**} [الفرقان: ٤].

ولبيان غرابة وغباء من يتعجب من نزول الوحي على رجل من الناس -مع إقراره بأن الله تعالى خالق كل شيء- أسوق مثالا:

لو استكثر بعض الناس على رجل -يشهد له الجميع بالذكاء والتميز؛ وقد شيّد وشغّل مصنعا ضخما بعلمه وخبرته- لو استكثروا عليه أن يكتب

كتابا يصف فيه إجراءات تشغيل هذا المصنع الذي أنشأه؛ لكان ذلك غاية في الغرابة والغباء.

ولله المثل الأعلى.. فبالرغم من إقرار المتعجبين من نزول الوحي بعظمة الله تعالى؛ وأنه خالقهم وخالق السماوات والأرض وما بينهما -كما قال تعالى: {**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ**} [الزخرف: ٨٧]- إلا إنهم يستكثرون على العظيم أن ينزل كتابا؛ يوحيه إلى رجل من الناس.

ولذا كان أعظم رد على المتعجبين من تنزل الوحي؛ هو بيان تناقضهم بين إقرارهم بعظمة الخالق سبحانه؛ وبين تعجبهم من نزول الوحي، وهو ما أشارت إليه الآية الكريمة: {**قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا**} [الفرقان: ٦]، فهم يقرون في مواضع كثيرة في القرآن بعلم الله تعالى لما في السماوات والأرض؛ كقوله تعالى: {**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ**} [الزخرف: ٩]، يقولون إنه سبحانه "العليم" ثم يستكثرون عليه أن ينزل عليهم كتابا.

وفي عصرنا تتكرر ظاهرة تعجب الناس من تنزل وحي الله تعالى على رجل منهم: {**أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ**}، تتكرر في رفض الحضارة المادية المعاصرة للغيبيات -ومنها القرآن الكريم- وزعمهم أن كل شيء يجب أن يخضع للمعمل والمختبر؛ حتى القيم.

وأخذوا يتهكمون بالشريعة -بالرغم من اكتشافاتهم العلمية الكثيرة في الآفاق وفي أنفسهم؛ التي عكست لهم عظمة الخالق سبحانه- يرفضونها لأنهم يجهلون شريعة الله تعالى؛ ولا يعلمون الحق، قال تعالى: {**ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**} [الجاثية: ١٨]،

وكان نتيجة هذا الإنكار للغيبيات أن خسروا هدي القرآن الكريم لهم في الدنيا والآخرة.

وأخيرًا: لابد للبشرية أن تعلم أن من لطائف رحمة الله تعالى بهم؛ أن اختار لهم وسيلة -لبيان هديه- قد عرفوها وألِفوها؛ وهي الكتاب.. فالبشرية قد ألِفت الكتابة والكتب؛ يحفظون بها عهودهم ويسطرون فيها تاريخهم وكثيرا من أمورهم، لذلك امتن الله عليهم بإنزال كتاب يُتلى عليهم، قال تعالى: {**أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**} [العنكبوت: ٥١].

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك ...

التأمل رقم (٣٩)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**} [يونس: ٥٨].

أظهر الفرحة بكتاب ربك العزيز.

وصف الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم المعظِّمين للقرآن الكريم بأوصاف عدة:

منها: زيادة إيمانهم عند تلاوته، ومنها: أنهم أهل الله تعالى وخاصته، ومنها: أن جلودهم تقشعر عند ذكر الوعيد ثم تلين جلودهم وقلوبهم عند ذكر الوعد؛ كما قال أهل التفسير، ومنها: -وهو الشاهد في حديثنا- فرحتهم بالقرآن؛ كمؤشر ظاهر ومحسوس لا يمكن أن يخفيه الإنسان عن قسمات وجهه إذا تحققت دواعيه.

وللتبسيط، فهنا مثال على قوة مؤشر الفرحة المحسوس الظاهر:

لو أن شخصا محتاجا -في حالة من الضيق والكرب- أكرمه الله تعالى بمبلغ أكبر من حاجته بكثير -هبة ساقها له تعالى على يد أحد المحسنين- ما الذي سيرتسم -لا محالة- على وجهه؟!

إنها الفرحة التي تعبر عن مشاعره؛ بما لا تستطيعه عشرات الكلمات من عبارات الشكر والامتنان التي ستخرج من فمه.

فإذا كانت الفرحة تظهر على وجه الإنسان لحيازة مال أو متاع دنيوي فكيف عساها تكون فرحتنا بكلام ربنا، وصدورنا قد حفظت بعضه أو كله، والمصاحف تملأ البيوت والمساجد وحتى الفنادق؟!

قال تعالى عن الفرحة بكتابه العزيز: {**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**}، والمقصود هنا الفرحة بالقرآن؛ كما قال أهل التفسير، حيث قال الله تعالى في الآية التي قبلها: {**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**} [يونس:٥٧]، وقال في آية أخرى: {**وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ**} [الرعد: ٣٦].

هل نحن نعيش هذه الفرحة بكتاب ربنا؟! وهل يراها غيرنا من الناس على قسمات وجوهنا؛ فيعرفون بطريقة أو أخرى أن فرحتنا سببها حبنا للقرآن الكريم؛ لأنه عرّفنا بربنا؟!

هل لهذا الكتاب العزيز -الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه- دور في استدامة ظهور البسمة على وجوهنا؟!

لقد كان صلى الله عليه وسلم بأبي هو وأمي -بالرغم من جهاده وبذله وهمومه- كان لا يُرى إلا مبتسما، وحتى عندما يمر عليه شيء من الأحزان العابرة -كموت زوجه أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، أو وفاة ابنه إبراهيم- سرعان ما تعود إليه ابتسامته بعدها، ففرحته صلى الله عليه وسلم بكلام ربه

-وهو الذي نزل عليه: {**فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا**}- أدامت له تلك الابتسامة؛ التي تعكس لذة في القلب لا توازيها لذة.

لعل من مؤشرات فرحتنا بكتاب ربنا أن يكون أهم عمل نقوم به يوميا ونوفر له وقتا كافيا -من بين الألف وأربعمائة وأربعين دقيقة- هو الإقبال بلهفة وشوق على قراءة ما يتيسر من القرآن الكريم؛ لنستضيء بنوره ونهتدي بهديه.

ومؤشر آخر أذكره من بين مؤشرات فرحتنا بكتاب ربنا.. في مجالسنا التي تجمعنا بإخواننا ومعارفنا وزملاء عملنا هل يكون من أهم موضوعاتنا إظهار مشاعرنا الجياشة تجاه عظمة كتاب ربنا؟!

أم أننا في الأصل نحتاج إلى واعظ يلقي علينا كلمة يدفعنا فيها للإقبال على الوحي المنزل؟!

وتبقى الحقيقة التي علينا استيعابها: أننا سنعطي كتاب ربنا وقتا واهتماما إذا كنّا فرحين به، لكنه سيكون ثقيلا على بعضٍ منا إذا افتقد الفرحة التي وجه القرآن لأهميتها: {**فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا**}؛ كما مر معنا في أول المقال.

أخي المسلم.. أختي المسلمة: اعمل كل ما بوسعك لتجلب الفرحة إلى نفسك بمعرفة كتاب ربك عز وجل، وأهمها على الإطلاق: قراءة القرآن بترتيل.. قال تعالى: {**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا**} [المزمل: ٤]، ومعنى الترتيل ليس كما يظن بعض الناس أنه متعلق بالصوت الجميل فقط، الترتيل: التأني والتمهل في قراءة القرآن، فقد بوّب الإمام البخاري رحمه الله - باب الترتيل في القراءة - قال تعالى: {**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا**}، هو التأني والتمهل في القراءة والترسل، الذي يقع منه تدبر الآيات، وتفهم المعاني، والوقوف عند حدوده، وتحسين التلاوة.

ولا تكن كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: **(ولا يكن هم أحدكم آخر السورة)** وهذا حال الكثير، همهم ختم القرآن حتى لو لم يستفد منه؛ فيقرأ بسرعة مُخِلّة.

فكيف ستأتي الفرحة بكتاب الله لمن لا يهمه أن يعي ما يقرأ؟!

قال ابن القيم -في كتابه مفتاح دار السعادة-: "فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم وأنفع للقلب".

وأعيد فأقول: إنك لن تتدبر إذا قرأت بعجلة؛ مخالفا قوله تعالى: **{وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا}**، وقد أفردت بحثا مختصرا حول هذه الآية الكريمة لأهمية الموضوع.

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو الذي ما ترك تلاوة كتاب ربه وقَتَلَتَهُ يحاصرون داره: "لو طهرت قلوبكم ما شبعتم من كلام ربكم" [حلية الأولياء (٧/ ٣٠٠)].

ألا فلنطهر قلوبنا من كل صارف يصرفنا عن كتاب ربنا؛ قولا كان هذا الصارف أو عملا.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك..

التأمل رقم (٤٠)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ**} [هود: ٥٣]، قال أهل التفسير: "قالوا: يا هود ما جئتنا بحجة واضحة على صحة ما تدعونا إليه، وما نحن بتاركي آلهتنا التي نعبدها من أجل قولك، وما نحن بمصدِّقين لك فيما تدَّعيه".

نقف مع هذه الآية الكريمة متأملين ومتدبرين:

إنها الحجة الواهية التي رفعها قوم هود، والتي يرفعها غير المسلمين في كل عصر؛ إذا ما دُعُوا للإيمان بالله تعالى؛ واتباع نهجه القويم: {**قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ**}.

أيّ بينة -يريد غير المسلمين في هذا العصر- أكبر من آيات القرآن الكريم التي تكلمت عن بينات لا تعد ولا تحصى، وليس عن بينة واحدة؟! وصدق الله القائل: {**وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ**} [البقرة: ٩٩]، والقائل سبحانه: {**تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ**} [الجاثية: ٦]، والقائل سبحانه: {**إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ • إِنَّمَا**

يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ} [النحل:١٠٤-١٠٥].

سأختار في هذا المقال أسلوبا عظيما مؤثرا من بين أساليب القرآن الكريم الكثيرة المؤثرة في الحديث عن البينات التي يخاطب الله تعالى بها المكذبين به سبحانه. وسأستشف هذا الأسلوب القرآني من قوله تعالى: {**أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ**} [الواقعة: ٥٩]. فأقول -بعد توفيق الله تعالى- عن بعض البينات التي ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم:

هل رفع المكذبون بالله تعالى سبعًا شِدَادًا بلا عمد؟! هل زينوها بالكواكب والنجوم؟! هل أضاءوا الأرض بشمس وقمر؟! هل لهم يد في اختلاف الليل والنهار؛ وتوالي الفصول؟!

هل يعيش المكذبون بالله تعالى على كوكب هم أوجدوه؟! أو يتنفسون هواء هم أنتجوه؟! أو يأكلون نباتا من الأرض هم أخرجوه؟! أو يشربون ماء هم أنزلوه؟!

هل خلق المكذبون بالله تعالى أنفسهم؟! هل خلقوا أزواجهم وأولادهم وأحفادهم؟! هل خلقوا الأنعام والطير والحوت؟! هل خلقوا النحل وعسله؟! هل خلقوا باقي الطيبات؟!

من جعل للمكذبين بالله تعالى ليلا فيه ينامون، ونهارا فيه ينتشرون؟! من جعل لهم لسانا به يتكلمون، وأعينا بها يبصرون، وآذانا بها يسمعون؟!

هل بيد المكذبين بالله تعالى الفرار من الموت؟! أو هل بيدهم إطالة الحياة؟! قال تعالى: {**وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ۖ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ**} [الأنبياء: ٣٤].

وغير ذلك من البينات التي أشار إليها القرآن الكريم؛ وهي كثير.

وأخيرًا: لا يوجد موضوع حُشِد له من الأدلة والبينات المقروءة والمشهودة مثل الإيمان بالله تعالى. ولا يوجد موضوع أسهل من أن يقتنع الناس به ويعتقدونه مثل الإيمان بالله تعالى. وصدق الله القائل سبحانه عن المكذبين: {**فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**} [الحج:٤٦]، والقائل سبحانه: {**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**} [النمل: ١٤].

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (٤١)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ**} [هود: ٦٦].

فقد أُثِر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كتب إلى سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- في رسالة طويلة: "أما بعد: فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدّة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسًا من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينتصر المسلمون بمعصية عدوهم لله.." [العقد الفريد ١/١١٧].

ما هو حجم ترسانة الأسلحة التي كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعتمد عليها؛ حتى يقول لسعد بن أبي وقاص قائد جيشه ذلك الكلام العجيب؟!

إنه من الخطأ بمكان أن نظن أن عمر رضي الله عنه -بكلماته التي قالها لسعد رضي الله عنه، عن تقوى الله والبعد عن الذنوب، مع اتخاذه كافة الأسباب المادية المتاحة- كان لا يعرف ترسانة الأسلحة المتنوعة التي لا حدود لحصرها، والتي سيتحقق بها النصر على الأعداء.

فيا تُرى ما الذي كان يعتمد عليه الفاروق رضي الله عنه من ترسانة أسلحة، بعد تقوى الله وتجنب معاصيه، واتخاذ الأسباب؟!

كان يعتمد بعد تقوى الله واتخاذ ما يستطيع من أسباب؛ على ترسانة أسلحة أخرى من عند ربه العزيز الجبار المتكبر؛ لا توازيها كل أسلحة الدمار الشامل الموجودة في كل قارات الأرض.

كان يعتمد رضي الله عنه على حمم العذاب من الرباعية الربانية: الريح والصيحة والخسف والإغراق، قال تعالى: {**فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**} [العنكبوت: ٤٠].. وما الأعاصير التي تضرب غير المسلمين في هذا الزمان إلا مثال على قوة هذه الرباعية الربانية وشدة تدميرها.

وكان يعتمد رضي الله عنه على تدمير قرى بأكملها على رأس أهلها الكافرين، قال تعالى: {**وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**} [هود: ١٠٢]، وما الزلازل المدمرة التي تضرب غير المسلمين في هذا الزمان إلا مثال على قوة هذه الرباعية الربانية وشدة تدميرها.

وكان يعتمد على كتيبة من الملائكة تنزل من السماء لتبيد الكافرين؛ كما حصل في غزوة بدر، قال تعالى: {**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**} [الأنفال: ١٢].

كان رضي الله عنه يعتمد على كل تلك الأسلحة التي ذكرها الله في كتابه، وغيرها كثير، فلله جنود السماوات والأرض.

ويبقى السؤال الأخير الذي يطرح نفسه بقوة: من الذي علّمه أن النصر إنما هو من عند الله فقط؛ مهما اتخذت يا فاروق -رضي الله عنك- من أسباب، أو حتى لو أنزل الله تعالى لك ملائكة يقاتلون معك؟!

الجواب: ربه سبحانه علمه ذلك، قال تعالى: {**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**} [آل عمران: ١٢٦]، قال أهل التفسير: " وما جعل الله ذلك الإمداد إلا بشارة لكم بالنصر، ولتسكن به قلوبكم، وتوقنوا بنصر الله لكم، وما النصر إلا من عند الله، لا بشدة بأسكم وقواكم. إن الله عزيز في ملكه، حكيم في تدبيره وشرعه".

يا إلهي ما أعظمك؟! حتى الملائكة الذين تنزلهم لنصرة المؤمنين؛ تريد منا ألا نتعلق بهم، وألا نركن إليهم.. تريدنا أن نأوي إليك ونتوكل عليك وحدك، فأنت الركن الشديد.

أخيرًا: إنه درس عظيم ذلك الذي تعلمناه من الفاروق رضي الله عنه، مفاده: أن اتخاذ الأسباب للإعداد المادي من قبل المسلمين -مهما نجح وأثمر وأنتج أكبر وأضخم أسلحة الدمار الشامل! كمًّا وكيفًا وأدق تقنية- يظل من المنظور الشرعي ضئيلا ضئيلا، ولا يساوي هباءة من أسلحة ملك الملوك التي ينصر الله بها عباده المؤمنين الموقنين الصادقين؛ التي استعرضنا بعضها في هذا المقال! قال تعالى: {**وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**} [الفتح: ٧].

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك..

التأمل رقم (٤٢)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**} [الرعد: ١٦]، قال أهل التفسير: "أم أن أولياءهم الذين جعلوهم شركاء لله يخلقون مثل خَلْقه، فتشابه عليهم خَلْق الشركاء بخلق الله، فاعتقدوا استحقاقهم للعبادة؟"

آية قرآنية عظيمة تكشف سببا مهما من أسباب انحراف غير المسلمين نحو الشرك؛ وعدم تقدير الله تعالى حق قدره.

هذه الآية العظيمة تجيب على سؤال لطالما خطر على بال المسلم: كيف لا يرى غير المسلمين قدرة الله تعالى على خلق كل شيء، خاصة في هذا العصر الذي أراهم الله تعالى فيه آياته في الكون وفي أنفسهم؛ دلالة على وحدانيته سبحانه، وأنه هو المستحق للعبادة وحده؟!

الجواب: حينما يزداد عُجب الناس بما صنعوا وأبدعوا، ويرون أنهم جاءوا بما يدهش العقول -من أبنية تناطح السحاب وأنفاق تشق حتى البحار، وأسلحة ذات دمار شامل، وغيرها من الصناعات- حتى ظنوا أنهم أوجدوا وصنعوا شيئا شبيها في العظمة بما يخلق الله تعالى -{**أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ**}- عندها يشرك المفتونون بِما صنعوا -

شعروا أم لم يشعروا- مع الله تعالى إلها آخر؛ ينقادون إليه في كل صغيرة وكبيرة في مجالات حياتهم كلها؛ وليس في مجال الصناعة فقط، بل سلموا لهذا الإله وأطاعوه وانقادوا إليه في أمور الإنسان -الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية وغيرها- نابذين وحي الله تعالى وراء ظهورهم. هذا الإله الذي اتخذوه شريكا مع الله تعالى هو "العلم المادي". فسقطوا بذلك الانقياد لهذا العلم؛ الذي خلا من هدى الله تعالى -{**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**} [القصص: ٥٠]- سقطوا في حمئة الجنس والإباحية؛ بما أباح لهم هذا العلم المادي من استحلال للزنا والشذوذ، وتفاقمت أنواع الجرائم المختلفة، وتفككت الأسر، فحق عليهم قول الله تعالى في كل من يشرك بالله تعالى: {**فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**} [الزمر: ٢٦].

والأمثلة على هذا الانحراف في هذا العصر كثيرة، منها:

ينسى غير المسلمين عظمة البحار التي خلقها الله تعالى -وأنها بالإضافة إلى حملها للسفن، فهي كذلك جند من جنده؛ أغرق بها قوم نوح، وفي هذا العصر أهلك تسونامي واحد مئات الألوف من البشر- ينسون عظمة ما خلق الله تعالى من بحار. في الوقت الذي يندهشون فيه غاية الاندهاش لما صنعوا من حاملات للطائرات؛ يزيد تعداد طاقم الواحدة منها على خمسة آلاف بحّار. فيقعوا في ذلك المزلق الذي تحدثت عنه الآية الكريمة، ويروا أن العلم المادي شريك مع الله تعالى، حيث مكنهم من صنع أشياء عظيمة؛ تشبه في عظمتها ما يخلق الإله سبحانه: {**أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ**}. وليس صناعة حاملات الطائرات فقط هو ما فتنهم!

بل شيدوا أبنية ناطحات للسحاب، وفي عالم التقنية الرقمية صنعوا الروبوتات، كما شقوا الأنفاق التي تشق البحار، وغير ذلك من الصناعات الكبيرة.

هذه الآية العظيمة –{**أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ**}– أول من خُوطِب بها كفار قريش . غير أنهم لم يكن لديهم القدرة آنذاك على صناعة ما يبهر العقول كما صنع غير المسلمين في هذا العصر. فكان أن تأثر كفار قريش بهذه الآية وهذه الحجة القرآنية، وتبين لهم سخافة عبادتهم للأصنام؛ التي يصنعون بعضها من التمر، فإذا ما جاعوا أكلوها، فهي لا تضر ولا تنفع. فترك كثير منهم الشرك، ودخلوا في دين الله أفواجا.

بخلاف غير المسلمين في هذا العصر؛ الذين فتنهم العلم المادي، فأخضعوا حتى الإنسان للتجارب والدراسات، فانقادوا إليه في كل جزئية من جزئيات حياتهم، ناسين أن تزكية النفوس لا تكون إلا بمنهج خالقها سبحانه وتعالى.

أخيرًا: أمّا المؤمنون بالله تعالى؛ التالون لكتابه الكريم فلا يقعون في هذا المزلق الشركي بفضل من الله تعالى. ذلك أن كتاب الله تعالى بين لهم أن الله تعالى خلق الناس وما يعملون، قال تعالى: {**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**} [الصافات: ٩٦]، فالله تعالى خلق المواد –كالحديد وغيره– التي يصنع منها البشر هذه الصناعات العظيمة. كما أنه سبحانه هو من خلق الإنسان ومنحه هذا العقل والسمع والأبصار والأيدي والأرجل، ممّا مكنه من صنع حاملات الطائرات وشق الأنفاق وتشييد ناطحات للسحاب، وغيرها من الصناعات التي أدهشت العقول، فالله خالق كل شيء، قال تعالى: {**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**}، وقال تعالى: {**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**} [الزمر: ٦٢]. المؤمنون إذا وفقهم الله تعالى لصنع شيء ينتفع به الناس؛ قالوا: "الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات" اللهم ارزقنا التفكر في آياتك..

التأمل رقم (٤٣)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ**} [إبراهيم: ٣٣]، قال أهل التفسير: "وذلَّل الله لكم الشمس والقمر لا يَفْتُران عن حركتهما؛ لتتحقق المصالح بهما".

إذن معنى قوله تعالى: {**دَائِبَيْنِ**}: أي أن الشمس والقمر لا يفتران عن حركتهما؛ لتتحقق المصالح بهما، لا يوقفهما عن الحركة إلا خالقهما؛ عند قيام الساعة، حين يجمع الله الشمس والقمر، قال تعالى: {**وَخَسَفَ الْقَمَرُ • وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ**} [القيامة: ٨-٩]، قال أهل التفسير: "وذهب نور القمر، وجُمِع بين الشمس والقمر في ذهاب الضوء، فلا ضوء لواحد منهما".

إنها سُنة عظيمة من سنن الله تعالى في خلقه -الحركة بلا فتور- لتتحقق بهذه الحركة المصالح.

النجوم والكواكب تتحرك. بهيمة الأنعام تتحرك. النبات يتحرك؛ فتمتد جذوره وترتفع سيقانه. الطير يتحرك؛ يحلق ويهبط. الحشرات تتحرك؛ وقد رأينا كيف أن النمل يتحرك. كما رأينا النحل وهو يتحرك.

والإنسان الذي يحمل بين جنبيه أنظمة تعمل بلا فتور لتتحقق من وراء هذا العمل الدؤوب حياة الإنسان؛ قلب يخفق بلا كلل ولا ملل، وكذلك

الرئتان؛ وباقي أنظمة جسد الإنسان تعمل بلا فتور، حتى يشاء الله تعالى لها التوقف عن الحركة؛ عند انقضاء الأجل.

هذا الإنسان -الذي كرمه الله تعالى على كثير ممن خلق- يحتاج هو كذلك ألا يكف عن الحركة الدؤوب في هذه الدنيا؛ وفق شريعة الله تعالى، فيتألق وينتج وينجز كل ما ينفعه وينفع مجتمعه، شأنه شأن هذه النجوم والكواكب وغيرها من المخلوقات المتحركة المتألقة؛ وفق نظام محكم سنه لها العليم الحكيم.

وأخيرًا: ومما يؤكد نعمة الحركة التي فطر الله تعالى عليها الإنسان؛ قوله صلى الله عليه وسلم: (**أَصْدَقُ الْأَسْمَاءِ: حَارِثٌ، وَهَمَّامٌ**) [حسّنه الألباني في صحيح الترغيب (١٩٧٧)]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى [(٤٣/٧)]: وَقَوْلُهُ "**أَصْدَقُ الْأَسْمَاءِ: حَارِثٌ وَهَمَّامٌ**"؛ لِأَنَّ كُلَّ إنْسَانٍ هَمَّامٌ حَارِثٌ وَالْحَارِثُ الْكَاسِبُ الْعَامِلُ، وَالْهَمَّامُ الْكَثِيرُ الْهَمِّ - وَهُوَ مَبْدَأُ الْإِرَادَةِ. انتهى.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (٤٤)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**} [النحل:١٧]، قال أهل التفسير: "أتجعلون الله الذي يخلق كل هذه الأشياء وغيرها في استحقاق العبادة كالآلهة المزعومة التي لا تخلق شيئًا؟ أفلا تتذكرون عظمة الله، فتفردوه بالعبادة؟".

نقف مع هذه الآية الكريمة متأملين ومتدبرين:

الآية الكريمة لا تخاطب الكفار التقليديين فقط؛ كعباد عيسى عليه السلام، وعباد بوذا، وغيرهم ممن يعبدون من دون الله آلهة لا يخلقون شيئا وهم يُخلقون. بل تخاطب كذلك من اتخذوا -في هذا العصر- أهواءهم إلها من دون الله تعالى، فنصبوا العلم المادي إلها؛ يرجعون إليه في كل أمر، ونبذوا الدين، واتخذوا الله تعالى وراءهم ظِهريا، قال تعالى: {**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**} [الجاثية: ٢٣].

لذلك وجب على المسلمين أن يبينوا لمن بهرتهم المصانع وإنتاجها، والحضارة المادية وبهرجها، أن يبينوا لهم معنى قوله تعالى: {**أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن**

لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} [النحل: ١٧]. لعلهم يعودون عن غيهم، ويعبدون الله ربهم، وينقادون له سبحانه ظاهرا وباطنا.

فيما يلي بعض لفتات القرآن الكريم حول ما تميزت به عملية الخلق عند ربنا تعالى:

أولاً: قول ربنا العظيم "كن" لكل شيء يريد أن يخلقه؛ فيكون. وأنه لا يُخلق مخلوق من البشر وغيرهم، ولا تنبت نبتة، ولا تفقس بيضة؛ إلا قال الله تعالى لكل واحدة من هذه المخلوقات: "كن" فتكون. قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "والآية صريحة: **{إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}**. إذا أراد خلق جنين لا بد يتكلم، إذا أراد شيئا -أي شيء يكون- قال له كن فيكون، وهذا يقتضي أن جميع المفعولات في السموات وفي الأرض كلها ثبتت بالقول لأنها ثبتت بالإرادة، وهو سبحانه إذا أراد شيئا لا بد أن يأمره يقول كن فيكون"[موقع أهل الحديث والأثر: https://bit.ly/i٦glf٣٢]

فهل العلم المادي -إله العصر عند غير المسلمين- هل يقول للشيء يصنعه: كن فيكون؟! اللهم لا.

ثانيًا: يهب سبحانه الحياة لكل ما يخلق من الأحياء، قال تعالى: **{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا}** [الفرقان:٥٤]، وقال تعالى: **{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}** [الإسراء: ٨٥]، وقال تعالى: **{أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ • أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ}** [الواقعة: ٦٣-٦٤].

فهل العلم المادي -إله العصر عند غير المسلمين- هل يهب لأي منتج من نتاج مصانعهم الحياة؟! اللهم لا.

ثالثًا: لا يحصي كثرة ما يخلق ربنا إلا هو سبحانه. ولذا قرّب لنا سبحانه هذه الكثرة بقوله تعالى: {**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**} [لقمان:٢٧]، فكلمات الله التامة -ومنها كن فيكون- لا يحيط بها أحد، قال أهل التفسير: "ولو أن أشجار الأرض كلها بُريت أقلامًا والبحر مداد لها، ويُمَد بسبعة أبحر أخرى، وكُتِب بتلك الأقلام وذلك المداد كلمات الله، لتكسرت تلك الأقلام، ولنفِد ذلك المداد، ولم تنفد كلمات الله التامة التي لا يحيط بها أحد".

فهل العلم المادي -إله العصر عند غير المسلمين- هل تنتج مصانعه بكثرة ووفرة تضاهي -ولو نقطة- في عددها ممّا يخلق ربنا؟! اللهم لا.

رابعًا: أن ما يخلق الله تعالى من أعداد لا يحصيها إلا هو سبحانه من الأنفس البشرية؛ إنما هو في اليسر والسهولة كخلق نفس واحدة، قال تعالى: {**مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**} [لقمان:٢٨]، قال أهل التفسير: "ما خَلْقُكم -أيها الناس- ولا بَعْثُكم يوم القيامة في السهولة واليسر إلا كخَلْق نفس واحدة وبَعْثها".

وهذا اليسر والسهولة في خلق الله تعالى للبشر؛ يجري كذلك على كل ما يخلق الله تعالى من غير البشر. فخلق جميع الإبل مثلا -التي وجدت على مر العصور- في اليسر والسهولة كخلق واحد منها.. وهكذا.

فهل العلم المادي -إله العصر عند غير المسلمين- هل يتساوى عنده إنتاج مليون سيارة وإنتاج سيارة واحدة؟! اللهم لا.

وأخيرًا: لا شك ولا ريب أن المسلم إذا نظر إلى ما يخلق الله تعالى -وفق هذه اللفتات القرآنية التي ذكرتها آنفا- فإنه سيزداد تعظيما لربه الخلاق العليم،

وصدق الله تعالى القائل: {**أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**} [النحل:١٧].

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (٤٥)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ**} [النحل: ٦٢].

شدّني الحديث في الإعلام الأمريكي خلال شهر يناير ٢٠٢٢م -الذي تمر فيه الذِكرى الأولى لاقتحام مبنى الكونجرس- شدّني الحديث عن تنامي العنف لديهم خلال السنوات الخمس الماضية للسنة المذكورة..

وأنا -ولله الحمد- لا أترك فرصة تُتاح لي لبيان عظمة دين الإسلام إلا وأكتب عنها؛ سائلا الله تعالى الأجر والمثوبة.

معلوم تاريخيا أن الآباء المؤسسين للولايات المتحدة الأمريكية -كما يسمونهم- سنُّوا في الدستور قانونا أسموه بقانون حرية التعبير، حيث أفادوا منه في بناء حضارتهم المادية الضخمة أيما إفادة، فقد كانت حرية التعبير من أقوى الوسائل لديهم لاستكشاف القصور وتصحيح المسار في بناء حضارتهم المادية.

والسؤال الذي يطرح نفسه: ثم ما الذي حدث حتى يتنامى العنف لديهم مع وجود قانون يضمن حرية التعبير، بل ويُتوج هذا العنف المتنامي باقتحام مبنى الكونجرس؟

الجواب المختصر: عدم الاستسلام لله تعالى وشرعه القويم.

أمّا **الجواب** المطّول؛ فهو بخصوص ما سنُّوه لأنفسهم من قانون يضمن حرية التعبير.

إنه من أعظم الغباء أن يستخف غير المسلمين بخطر اللسان.

ولكن لا غرابة؛ فكيف يعرف خطر اللسان من جهل خطر الكفر والشرك؟!

ولذلك فإن الحقيقة التي لا مِراء فيها أن العنف المتزايد الذي تعانيه الحضارة الغربية عامة؛ والولايات الأمريكية على وجه الخصوص؛ في السنوات الأخيرة هو حصاد قانون حرية التعبير؛ الذي أطلق ألسِنة الناس هناك لتقول ما تشاء، حتى لو كان الكلام كذبا على الله تعالى أو على خلقه، أو مدحا لكل حقير من الأمور، وذما لما هو قيّم ورفيع، أو تبجحا بالحديث عن الشذوذ والإباحية، قال تعالى: {**وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ**}، أو التعصب لحزب ومدحه؛ مقابل سب وشتم الحزب الآخر -وكأن العصبية القبلية قد غزت ربوع العم سام- ممّا يوغر الصدور ويدفعها إلى العنف لا محالة.

وقد يسأل سائل: ما بال العنف تزايد عند أهل الحضارة المادية في السنين المتأخرة على وجه التحديد، مع أن حرية التعبير أمر قديم لديهم؟

والجواب: أن الفكر الإلحادي والإباحي قد استطار شره في السنوات الأخيرة؛ فاستغل أصحابه الملاحدة والإباحيون -المؤيدون لحزب- استغلوا حرية التعبير -التي سنّها لهم قبل قرون من جَهِل خطر اللسان- لنشر باطلهم الذي أوغر صدور أتباع حزب آخر؛ يدعي أنه حزب محافظ.

وسيظل قانون حرية التعبير الذي سنُّوه لأنفسهم؛ إسفينا يدُقّ في نعش حضارتهم الآيلة إلى الزوال؛ ما لم يستسلموا لخالق الكون الحكيم العليم؛

ومنهجه الذي شمل الهدى لجميع جوانب الحياة؛ وشرّع ما يضبط عمل جميع جوارح الإنسان التي منها اللسان.

فالمسلمون الذين انقادوا لهدى الله تعالى؛ بين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن اللسان من أخطر ما يكب بصاحبه في النار، قال صلى الله عليه وسلم: (**ألا أخبرُك بِملاكِ ذلِك كلِّه؟**) قلتُ: بلَى، يا نبيَّ اللهِ، فأخذَ بلسانِهِ، وقال: (**كُفَّ عليكَ هذا**)، فقُلتُ: يا نبيَّ اللهِ، إِنَّا لمؤاخَذونَ بما نتَكلَّمُ بِهِ؟ قال: (**ثَكلتكَ أمُّكَ يا معاذُ، وَهل يَكبُّ النَّاسَ في النَّارِ علَى وجوهِهِم، أو علَى مناخرِهِم، إلَّا حصائدُ ألسنتِهِم**) [صححه الألباني في صحيح الجامع (٥١٣٦)]، والحديث واضح الدلالة على حاجة البشر للهدى الرباني في هذه الحياة الدنيا، فهذا صحابي جليل -رضي الله عنه- لم يكن يتصور أن شأن اللسان يصل إلى تلك الدرجة من الخطورة؛ فقال: "إِنَّا لمؤاخَذونَ بما نتَكلَّمُ بِهِ؟".

وحينما سمع صلى الله عليه وسلم أنصاريا يقول: يا لَلأنصارِ، ومهاجريا يقول: يا لَلْمُهاجِرينَ؛ على إثر خِصام شب بينهما؛ قال: (**ما بالُ دَعْوى الجاهليَّةِ**) [متفق عليه]، وقال صلى الله عليه وسلم: (**دَعُوها فإنَّها مُنتنةٌ**) [متفق عليه]، لعلمه صلى الله عليه وسلم عاقبة دعاوى الجاهلية؛ وأنه العنف والاحتراب.

أخيرًا: لقد كتب علماء الإسلام قديما وحديثا في شرح النصوص الشرعية الكثيرة التي وجهت المسلم فيما يقوله؛ من الأقوال؛ كقول الحق، وإسداء النصيحة وغيرها، وما يذره من الأقوال؛ كقول الزور، والفاحش من القول وغيرها، ليصل المسلم بأقواله -بفضل هذه التوجيهات الربانية- إلى الصفة التي يحبها الله تعالى؛ وهي القول الحسن، قال تعالى: {**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا**

الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا} [الإسراء: ٥٣]، وقوله تعالى: {**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**} [البقرة: ٨٣].

ويبقى السؤال الأخير: من أين سيستقي أرباب قانون حرية التعبير في الحضارة الغربية المعاصرة هذه الضوابط الشرعية لألسنتهم؛ إن لم يستسلموا لمنزلها العليم الحكيم؟!

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

۞۞۞

التأمل رقم (٤٦)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ**} [النحل: ٧٣].

لابد للبشرية أن تستحضر المصدر الوحيد الذي جعله الله تعالى لرزقها؛ المأكول منه والمشروب، هذا المصدر هو السماوات والأرض.

فليس مصدر رزق الناس ملايين المصانع التي تُعنى بالإفادة من مختلف أنواع الثمار، ومختلف أنواع اللحوم. ذلك أن دور هذه المصانع لا يزيد على معالجة هذه الأرزاق وحفظها وتقديمها للناس على شكل مصنوعات غذائية متنوعة.

إن مصدر رزق الناس قد جعله الله تعالى في الماء النازل من السماء، وفي الأرض التي يحييها الله تعالى بالماء، قال تعالى: {**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ**} [فاطر:٣]، وقال تعالى: {**قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**} [يونس:٣١].

ومتى ما تذكر الإنسان أن الله تعالى قد جعل مصدر رزقه؛ فيما ينزل من السماء، وفيما ينبت من الأرض -كما قال تعالى: {**وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ**

مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} [الجاثية:٥]- عندها سيقدِّر ماذا يعني نزول القطر من السماء؛ وماذا يعني انقطاعه. كما سيقدِّر ماذا يعني إحياء الله تعالى للأرض الميتة؛ فيخرج منها الزرع؛ وماذا يعني موتها فلا تنبت شيئا. وبهذا التفكر سيزداد تقدير العبد لربه الخلاق العظيم.

وقد نعى القرآن الكريم على أناس عدم تفكرهم في تصريف الله تعالى للأمطار بين البلدان، قال تعالى: **{لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا • وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا}** [الفرقان: ٤٩-٥٠]، قال أهل التفسير: "ولقد أنزلنا المطر على أرض دون أخرى؛ ليذكر الذين أنزلنا عليهم المطر نعمة الله عليهم، فيشكروا له، وليذكر الذين مُنعوا منه، فيسارعوا بالتوبة إلى الله – جل وعلا- ليرحمهم ويسقيهم".

أخيرًا: سيلاحظ القارئ الكريم أنني اقتصرت في مقالي على رزق الله تعالى من المأكول والمشروب، دون غيره من الأرزاق الكثيرة التي تخرج من باطن الأرض كالذهب والفضة والنفط، أو تأتي من السماء كالشمس والقمر. ذلك أن الطعام والشراب رزق ضروري لكل إنسان؛ في يومه وليلته، ولذا كان حديث القرآن عنه كثيرا.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك ...

التأمل رقم (٤٧)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إبراهيم حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**} [النحل:١٢٣].

ماذا نعرف عن الحنيفية السمحة؟!

الحنيفية: هي الإسلام: منهج حياة صحيح قويم لا باطل فيه، اختاره الله تعالى للإنسان، ليعيش وفقه في هذه الدنيا، فيسعد سعادة لا توازيها سعادة.

وعلاقة الإنسان بخالقه -منزل هذا المنهج- في هذه الدنيا وفي الآخرة؛ هي علاقة الكرم من الله تعالى لعباده، قال تعالى -في أول ما أنزل من قرآن كريم على رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم-: {**اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ**} [العلق:٣].

يبدأ كرم ربنا عز وجل ببناء دينه ومنهجه على أركان عِظام يحتاجها الناس أشد من حاجتهم إلى الماء والهواء.. فبعد الشهادتين؛ أكرمه ربه بالاتصال به؛ في صلاته.. وأمره بالارتفاع بروحه على رغبات جسده؛ بصيامه.. وأوجب عليه العطف على الفقراء إذا كان موسرا؛ بإخراج زكاته.. وإذا استطاع؛ قام بحج بيته تعالى؛ الذي زاره الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام؛ تعميقا

للحنيفية -التي كان عليها الخليل إبراهيم؛ باني البيت عليه السلام- في قلب المؤمن ونفسه.

فانظر إلى سماحة هذا الدين ويسره، وحاجة البشرية -التي جمعت بين الفقراء والموسرين، والجهال والمتعلمين- إلى هذه الأركان، قال تعالى -عن دينه السمح-: {**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**} [البينة: ٥].

وحتى تستمر سماحة هذا الدين الحنيفي -بكرمٍ من ربنا الأكرم- نجد أن هناك صمامات أمان لابد من الوعي بها؛ والعمل بموجبها:

أول صمام أمان لاستمرار سماحة هذا الدين: أنه لا يحتاج إلى زيادة في العبادات؛ تجعل المسلم في حرج من أمره! حيث لديه ما يشغله ويكفيه من النشاطات الخاصة.. أكل وشرب للطيبات.. وتزين باللباس وتزوج للنساء.. حيث يختلط التلذذ والاستمتاع بكل هذه الطيبات بمعنى العبادة، في منهج رباني بديع، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم -عن الجماع-: (**وفي بضعِ أحدكم صدقةٌ**) قالوا: يا رسولَ اللهِ! أ يأتي أحدنا شهوتَه ويكون لهُ فيها أجرٌ؟ قال: (**أرأيتم لو وضعها في حرامٍ أكان عليه فيها وزرٌ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلالِ كان لهُ أجرًا**) [رواه مسلم (١٠٠٦)].

كذلك لا يحتاج إلى نقصان فيما فرض عليه من عبادات؛ تجفّ معه روحه العطشى لحياة الإيمان بالله خالقه العلي الكبير... ويكفي بمنهج الإسلام سماحة أن جعل الله له الأرض كلها مسجدا وطهورا.. أينما أدركته الصلاة؛ صلّى.

إنه المنهج الرباني السمح الذي يَدَعُ الإنسان -خارج أوقات عباداته، وخارج ساعات أخذ حقوقه وأداء واجباته- يمارس ما يحب من مختلف أنواع النشاطات الإيجابية الأخرى؛ التي لا تصطدم -بفضل الهدي الرباني- مع

فطرته وكيانه.. نشاطات تنفعه وتنفع مجتمعه.. كان من أهمها وأعظمها: دعوة الناس إلى تفهم هذه الحنيفية -التي لا ترتاح النفس البشرية إلا بتبنيها- في رحلة الحياة القصيرة على هذه الأرض الصغيرة، حيث قد فطره الله عليها.

ثاني صمام أمان في علاقاته مع الغير: أن وضع له ربه الأكرم في هذا الدين السمح واجبات وحقوقا؛ يسعد بها الجميع.. وحذره في هذه العلاقات من أن يتجه بها نحو منهج مخلوق آخر يسمى الحيوان، قال تعالى: {**أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا**} [الفرقان: ٤٤]، فالحيوان مسموح له الاقتتال على أنثاه، بخلاف الإنسان الذي له طريقه الراقي في الاقتران بشريكة حياته: من خطبة، ثم عقد، فزواج على سنة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

ولا يتطلب منه منهجه التطلع إلى الارتقاء نحو منهج مخلوق ثالث سماهم الله تعالى بالملائكة الكرام؛ عليهم السلام.

فلا حياة الحيوان والغاب تصلح له.. ولا حياة الملائكة -الذين لا يعصون الله ما أمرهم- تصلح له.

فلا رهبانية في الإسلام؛ كتلك التي ابتدعها النصارى.

لا يصلح للإنسان -الذي كرمه الله تعالى- إلا المنهج الذي وضعه الله تعالى للإنسان؛ بضعفه وشهواته، وتطلعاته وآماله.

ثالث صمام أمان لحفظ هذا المنهج الحنيفي السمح: ألا يبغي بعضهم على بعض، قال تعالى -عن هذه الآفة القديمة في تاريخ الإنسانية، والتي طالما تسببت في افتراق الناس واحترابهم-: {**وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ**} [الشورى: ١٤].

ثم أراد له الكريم الأكرم سبحانه بعد هذه السعادة الدنيوية اللذيذة المبهجة -وفق المنهج الحنيفي السمح- سعادة أخروية عظيمة خالدة؛ بالقرب منه سبحانه خالقه ورازقه ومحييه ومميته، قال تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ • جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ**} [البينة: ٧-٨].

وأخيرًا: فهذا حديث قدسي عظيم؛ يقول فيه صلى الله عليه وسلم: (**يقول الله تعالى: إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا**) [رواه مسلم (٤/ ٢١٩٧)].. وفيه دليل على سلامة فطرة الإنسان، كما يذكرنا الحديث بأن عدو الإنسانية الأكبر والأزلي هو الشيطان الرجيم.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك..

التأمل رقم (٤٨)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا**} [الإسراء: ٥٨]، قال أهل التفسير: "يتوعَّد الله الكفار بأنه ما من قريةٍ كافرة مكذبة للرسل إلا وسينزل بها عقابه بالهلاك في الدنيا قبل يوم القيامة أو بالعذاب الشديد لأهلها، كتاب كتبه الله وقضاء أبرمه لا بد مِن وقوعه، وهو مسطور في اللوح المحفوظ".

بين فينة وأخرى تتصدّر المشهد الهندي؛ واضطهاد المسلمين هناك -من قِبل الهندوس الكافرين الظالمين- وسائل التواصل الاجتماعي.. ونرى مقاطع من ذلك الاضطهاد؛ تدمي القلوب المؤمنة قبل بكاء العيون.

والآية التي هي موضع التأمل -ومثلها كثير في كتاب الله تعالى- تتحدث عن سنة الله تعالى الجارية في إهلاك الكافرين الظالمين، وأخذهم في هذه الدنيا، ثم ردهم إليه سبحانه يوم القيامة ليذيقهم عذاب النار وبئس المصير.

ولنا مع الآية الكريمة وقفات:

الوقفة الأولى: لن تفلت أمة كافرة ظالمة من عذاب الله تعالى الأليم في هذه الدنيا؛ مهما طال عليها الزمن، قال تعالى: {**وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ**

مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا}.

وقد يملي الله تعالى للكافرين الظالمين -بعلمه وحكمته- فلا يعاجلهم بالعذاب، {**وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ**} [الحج: ٤٨]، لكنه تعالى يأخذهم بعد الإمهال، قال صلى الله عليه وسلم: (**إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ يُمْلِي لِلظّالِمِ، فإذا أخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**)، ثُمَّ قَرَأَ: {**وكَذلكَ أخْذُ رَبِّكَ، إذا أخَذَ القُرَى وهي ظالِمَةٌ إنَّ أخْذَهُ أليمٌ شَدِيد**}) [متفق عليه].

وقد يطول زمن الإمهال لأمة كافرة ظالمة طويلا؛ حتى إن الواحد منا يولد ويموت ولم ير عذاب الله تعالى النازل على أمة من أمم الكفر القائمة، لكن سنة الله تعالى لا تتخلف، وسينزل بهم العذاب لا محالة.

الوقفة الثانية: لم تشترط الآية الكريمة -التي هي موضع التأمل- أن تكون أمة الإسلام في حالة قوة وتمكين، أو في حالة ضعف وانحسار؛ حتى ينزل سبحانه عذابه على الكافرين الظالمين.

فقد ينزل العذاب على الكافرين في حال ضعف المؤمنين؛ كما حصل في غزوة بدر، وينزل في حال قوتهم.

إن السبب الرئيس لتعذيب الله تعالى للكافرين الظالمين ليس لاضطهادهم للمسلمين؛ إنما هو لكفرهم وتكذيبهم لله تعالى، وتكذيبهم لرسوله صلى الله عليه وسلم، وأمّا اضطهادهم للمسلمين فهذا زيادة على ما هم عليه من كفر؛ يزيد به عذابهم، قال تعالى: {**الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ**} [النحل: ٨٨].

الوقفة الثالثة: لا يعلم الكافرون الظالمون متى ولا كيف يأتيهم العذاب.. ذلك أن الله تعالى حين يأخذهم بالعذاب في هذه الدنيا؛ فإنه يأخذهم بغتة -كأن يأخذهم في حال نومهم- ليكون ذلك أشد إيلاما، قال تعالى: {**وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ**} [الأعراف: ٤].

كما أنهم لا يعلمون من أين يأتيهم العذاب؛ أهو من فوقهم أو من تحتهم، قال تعالى: {**قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ**} [الأنعام: ٦٥]، وقال تعالى: {**وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**} [الفتح: ٧].

الوقفة الرابعة: التوبة النصوح هي المخرج الوحيد للأمة الكافرة الظالمة؛ حتى يصرف الله تعالى عنها أليم عذابه في الدنيا، وهذا ما حصل لقوم يونس عليه السلام، قال تعالى: {**فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ**} [يونس: ٩٨].

أخيرًا: هذه الوقفات التي مرت معنا -في هذا المقال- فيها تذكير للمؤمنين بأن لهذه الأرض والسماوات إله واحد، لا يغيب عنه تمرد الكافرين وظلمهم، بل يعذبهم وينشئ من بعدهم قوما آخرين، قال تعالى: {**وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ**} [الأنبياء: ١١].

اللهم عليك بأعدائك وأعداء الإسلام والمسلمين في الهند وفي كل مكان؛ فإنهم لا يعجزونك.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (٤٩)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ**} [الإسراء: ٦٠]، قال أهل التفسير: "واذكر -أيها الرسول- حين قلنا لك: إن ربك أحاط بالناس علمًا وقدرة".

من عظيم ما عرّف الله تعالى به نفسه؛ قوله تعالى: {**وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاس**}، فامتلأت قلوب أهل الإيمان بهذه المعرفة تعظيما له سبحانه.

وجَهِل هذه المعرفة بالله تعالى غير المسلمين؛ فما قدروا الله حق قدره، ووقعوا في الإلحاد والضلال.

ولتقريب معنى إحاطة الله تعالى بالناس؛ أقول -بعد توفيق الله تعالى-:

لا تستطيع أضخم وأعتى قوة موجودة على وجه الأرض أن تحيط وتُحكِم سيطرتها على مدينة واحدة -من بين آلاف المدن في هذه الأرض- إلا بشق الأنفس، وأحيانا تخسر الكثير من الرجال والعتاد، وفي أحيان أخرى تنسحب لعدم القدرة على المواجهة والاستمرار، ناهيك عن جهلهم بما يقوله ويفعله أهل المدينة المحاصرة.

ولله المثل الأعلى.. الله تعالى يحيط بكل الناس، وبمدنهم وبما يملكون، يحيط بهم سبحانه علما وقدرة -{**وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ**}- يفعل فيهم ما يشاء ويحكم فيهم بما يريد؛ بمقتضى علمه وقدرته وحكمته، ولو أرادوا الهروب من الأرض؛ فرارا من أمر الله تعالى لعجزوا عن ذلك، قال تعالى: {**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ**} [الرحمن: ٣٣]، قال أهل التفسير: "يا معشر الجن والإنس، إن قَدَرْتم على النفاذ من أمر الله وحكمه هاربين من أطراف السموات والأرض فافعلوا، ولستم قادرين على ذلك إلا بقوة وحجة، وأمر من الله تعالى (وأنَّى لكم ذلك وأنتم لا تملكون لأنفسكم نفعًا ولا ضرًا؟)".

ولأن الله تعالى قد أحاط بالناس علما وقدرة؛ فإنني أبدأ بعرض صور مما جاء في القرآن الكريم عن إحاطة الله تعالى للناس بقدرته:

منها: أنه تعالى كما خلقهم؛ فهو سبحانه قادر على أن يذهبهم؛ ويأتي بغيرهم، قال تعالى: {**إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا**} [النساء: ١٣٣]، وقال تعالى: {**إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ**} [فاطر: ١٦].

فأين هذه الحقيقة عن أناس -من غير المسلمين- ظنوا -لامتلاكهم علم الذرة- ألّا يقدر عليهم أحد؟!

ومنها: أنه تعالى كما أنبت لهم الزرع؛ فهو سبحانه قادر على جعله حُطاما، قال تعالى: {**أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ • أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ • لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ**} [الواقعة: ٦٣-٦٥].

فأين هذه الحقيقة عن أناس -من غير المسلمين- ظنوا لتقدمهم الكبير في مجال الزراعة؛ أنهم لن يجوعوا أبدا؟!

وكما رزقهم تعالى القطر من السماء؛ فهو سبحانه قادر على أن يحرمهم منه؛ فلا يشربون، قال تعالى: {**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ**} [الملك:٣٠]، وقال تعالى: {**لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ**} [الواقعة:٧٠].

فأين هذه الحقيقة عن أناس –من غير المسلمين– ظنوا لضخامة مخزونهم الاستراتيجي من الماء؛ أنهم لن يظمؤوا أبدا؟!

وأنه تعالى كما يمنحهم الملك والمال والتمكين؛ فهو قادر سبحانه على سلبهم ذلك، وكما يمنحهم العزة في الدنيا والآخرة؛ فهو قادر على جعل الذلة والصغار عليهم، قال تعالى: {**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**} [آل عمران: ٢٦].

فأين هذه الحقيقة عن أناس –من غير المسلمين– ظنوا أنهم يستحقون –لتقدمهم المادي– وضع نظام عالمي –وصفوه بالجديد– لأهل الأرض؛ كي يستعلوا به على الناس؛ ويذلوا به غيرهم؟!

وأخيرًا: إذا كان ما أوردته من آيات القرآن الكريم آنفا؛ بينت لنا صور إحاطة "قدرة" الله تعالى بالناس؛ فإن إحاطة الله تعالى للناس "بعلمه" لها أيضا شواهد كثيرة في القرآن الكريم، من ذلك: قوله تعالى: {**أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ**} [البقرة: ٧٧]، وقوله تعالى: {**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ**} [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تعالى: {**اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ**} [الرعد: ٨]، بل ويعلم سبحانه ما في السماوات والأرض، قال تعالى: {**يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا**

تُعْلِنُونَ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [التغابن: ٤]، وغير ذلك من آيات الكتاب العزيز كثير.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (٥٠)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**} [الإسراء: ٨٥].

الآية الكريمة ترسم للمسلمين منهجا عظيمًا في حِفظ أموالهم وأوقاتهم من أن يصرفوها فيما لا طائل من وراء البحث عنه؛ ومن ثم حفظ معتقداتهم وقيمهم، وذلك في أمور كثيرة، أذكر منها -على سبيل المثال لا الحصر- ثلاثة:

أولاً: حِفظ أموال المسلمين الكثيرة وأوقاتهم الثمينة من أن يصرفوها في الدراسات والبحوث التي ترمي إلى معرفة أمر الروح، قال تعالى: {**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**}، قال أهل التفسير: "ويسألك الكفار عن حقيقة الروح تعنتًا، فأجبهم بأن حقيقة الروح وأحوالها من الأمور التي استأثر الله بعلمها، وما أُعطيتم أنتم وجميع الناس من العلم إلا شيئًا قليلا".

ثانيًا: حِفظ أموال المسلمين الكثيرة وأوقاتهم الثمينة من أن يصرفوها في الدراسات والبحوث التي ترمي إلى وقف الهَرَم والكِبَر والضعف والشيخوخة؛ التي جعلها الله تعالى أمرًا حتميا؛ سنّةً لمن منحهم سبحانه الحياة من مخلوقاته

في هذه الأرض -فيما عدا من ورد استثناؤهم في الشرع؛ كعيسى عليه السلام الذي رفعه سبحانه، وإبليس الرجيم الذي أنظره- وعلى رأس هذه المخلوقات: الإنسان، قال تعالى: {**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ**} [الروم:٥٤].

وقد ذكر تعالى الشيخوخة في قوله تعالى: {**ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا**} [غافر:٦٧].

بل بين سبحانه وتعالى أن الشيطان الرجيم هو من يقبع -ومنذ الأزل- وراء إغراء آدم عليه السلام وذريته بالخلود في هذه الدنيا، قال تعالى: {**فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ**} [طه:١٢٠].

كما بين الله تعالى لنا في كتابه الكريم أنه سبحانه لم يجعل للبشر دوام البقاء في هذه الدنيا، قال تعالى: {**وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ ۖ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ**} [الأنبياء:٣٤].

غير أن لدى المسلمين حديث شريف ينص على عمل صالح؛ إذا عمله المسلم يزيد من عمره -بدون الحاجة إلى بحوث أو دراسات- وهو صلة الرحم، قال صلى الله عليه وسلم: (**مَن أَحَبَّ أن يُبْسَطَ له في رزقِه، وأن يُنْسَأَ له في أَثَرِه، فَلْيَصِلْ رَحِمَه**) [متفق عليه].

ثالثًا: حِفظ أموال المسلمين الكثيرة وأوقاتهم الثمينة من أن يصرفوها في الدراسات والبحوث التي ترمي إلى سُكنى كوكب آخر غير كوكب الأرض.

وقد بين لنا الله تعالى في كتابه الكريم أنه هيأ الأرض -وليس أي كوكب أو نجم آخر- لتمكين البشر من العيش فيها، قال تعالى: {**وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ**} [الأعراف:٢٤]، وقال تعالى: {**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**} [الملك:١٥]،

وقال تعالى: {**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً**} [البقرة: ٢٢]، وقال تعالى: {**وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ**} [الأعراف:١٠].

وقال تعالى: {**هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**} [هود:٦١]، قال أهل التفسير: "هو الذي بدأ خَلْقكم من الأرض بخلق أبيكم آدم منها، وجعلكم عُمَّارا لها".

وأخيرًا: أرجو من الله تعالى –الذي أوصانا بنشر وحيه ونوره ورحمته تعالى بين العالمين– أن يعين المسلمين على إيصال المعاني العظيمة؛ التي حوتها الآية الكريمة –التي هي موضع التأمل في هذا المقال–: {**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**}؛ إيصالها إلى أرباب الحضارة المادية المعاصرة؛ لعلهم يتواضعون لله تعالى ويعظمونه، ويستسلمون له تعالى؛ ولمنهجه القويم الذي يعينهم في المحافظة على أموالهم وأوقاتهم –كما أعان المسلمين من قبلهم– وصرْفها في الوجوه التي يرضى عنها سبحانه وتعالى؛ وتعود عليهم بخيري الدنيا والآخرة.

وليعلموا من قوله تعالى –في آخر الآية الكريمة التي هي موضع التأمل–: {**وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**}؛ أنهم وإن كانوا في عصر الثورة المعلوماتية؛ إلا إن علمهم لا يساوي –ولا ذرة– من علم الله تعالى؛ الذي يعلم ما في السماوات وما في الأرض، قال تعالى: {**وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**} [الحجرات: ١٦]، وقال تعالى: {**وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا**} [الأنعام:٨٠]، وأنه سبحانه يعلم ما يُصلِحُ حال الإنسان، قال تعالى: {**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**} [الملك: ١٤].

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (٥١)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا**} [الإسراء: ٩٢].

هكذا طلب الجهال بالله العلي الكبير من الرسول صلى الله عليه وسلم.

وهكذا يفعل الجهل بالله العظيم بأصحابه؛ ينطقون بالمضحك والمخزي والهزيل من القول؛ {**أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا**}، تأتي لنا بالله وملائكته؛ فنشاهدهم مقابلة وعِيانًا. كلام لا يقوله حتى الأطفال، ولذا ليس غريبا أن يقولوا يوم القيامة -معترفين بخطئهم وهم يتنازعون في جهنم مع مَن أضلوهم- : {**تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ • إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ**} [الشعراء: ٩٧-٩٨]، ثم لم يجدوا تبريرا لما كانوا فيه من جهل بالله العظيم في الدنيا -حينما كانوا يسوون بينه سبحانه وبين أصنام وأحجار كانوا يعبدونها من دون الله تعالى- إلا برمي وتعليق ما أصابهم من خزي وعار وعذاب يوم القيامة على شماعة المجرمين، قال تعالى -حاكيا قولهم-: {**وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ**} [الشعراء: ٩٩].. وكأنهم لم يكن لهم عقول يفقهون بها. وصدق الله تعالى القائل في مثل هؤلاء الجهال: {**قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ • مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ • مِن**

نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ • ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ • ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ • ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ} [عبس: ١٧-٢٢].

ثم انظر كيف انقلب كثير من الجهّال بالله العلي العظيم من كفار قريش -حينما عرفوه سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا- انقلبوا إلى قادة إسلاميين عِظام؛ لم يعرف التاريخ لهم مثيلا.

وهذا ما يحصل دائما لكل من كان جاهلا بالله العلي العظيم. ما إن يتعرف على الله تعالى المعرفة الحقة؛ إلا وينقلب ليصبح من أكبر المؤمنين. والسحرة في عهد فرعون مثال على هذا التغيير الذي يحدثه التعرف على الله سبحانه، قال تعالى: **{قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا ۖ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}** [طه:٧٢]. مع أنهم كانوا يرجون -قبل لحظات من مقولتهم الإيمانية هذه- القرب والجاه من فرعون.

وحتى لا تنعكس نتائج الجهل بالله تعالى الوخيمة على العالم كله اليوم - حيث إن العلم بالله تعالى هو أعظم ما يحقق الإيمان لدى غير المؤمن، وأعظم ما يبني الإيمان لدى المؤمن. لذلك لا غنى لأحد عن التذكير بهذا العلم طرفة عين- فقد اهتم سلفنا الصالح بالتأكيد على أهمية وضرورة هذا العلم، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: اقتضت رحمة العزيز الرحيم أن بعث الرسل به معرفين، وجعل مفتاح دعوتهم وزبدة رسالتهم معرفة المعبود سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله، إذ على هذه المعرفة تنبني مطالب الرسالة جميعها، وإن الخوف والرجاء والمحبة والطاعة والعبودية تابعة لمعرفة المرجو المخوف المحبوب المطاع المعبود! [الصواعق المرسلة:١/١٥٠]، وقال: فالقرآن أنزل لتعريف عباده به.. [الفوائد:١٨٠].

وإننا لنجد اليوم -بسبب ضعف العلم بالله تعالى بين المسلمين- أحوالا وأقوالا؛ لو سمع بها سلفنا الصالح لأنكروها أشد الإنكار، من ذلك:

الضعف في معرفة أن الله تعالى هو الرزاق؛ أدى إلى ما نراه من خوف وهلع وخشية من الفقر والجوع عند البعض، خاصة إذا ضُيق عليهم في الرزق؛ بسبب الذنوب والبعد عن الله تعالى.

والضعف في معرفة أن الله هو القوي المتين؛ أدى إلى الخوف من أعداء الله تعالى من غير المسلمين -عند البعض- وكأن هؤلاء الأعداء بيدهم مقاليد السماوات والأرض.

أمّا الضعف في معرفة أن الله تعالى سميع وبصير وعليم حتى بخائنة الأعين وما تخفي الصدور؛ فقد أدى إلى كل ما نراه من معاص وبعد عن الله تعالى في المجتمعات المسلمة.

أخيرًا: إن من أجمل ما وصلني من رسائل؛ هذه الرسالة التالية: "إن أمتنا اليوم بحاجة ماسة -أكثر من أي وقت مضى- إلى تبني مشاريع رائدة؛ تعنى بقضية العلم بالله تعالى، وإلى بث هذا العلم في مساجدنا، وتعزيزه في مناهجنا، وتربية أبنائنا ومن تحت أيدينا عليه في بيوتنا ومحاضننا.. حمايةً لمجتمعاتنا المسلمة من داء الإلحاد؛ الذي بدأ يتسلل إليها".

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك..

التأمل رقم (٥٢)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا**} [الكهف: ٤٧].

حشر الثقلين -الإنس والجن- يوم القيامة أمر جلل؛ قد أكثر القرآن الكريم والسنة المطهرة من الحديث عنه؛ حتى يعظّمه الناس حق تعظيمه، وحتى يحسبوا له حسابه؛ بكثرة العمل الصالح والتوبة إلى الله تعالى والإنابة إليه.

ولنا مع هذا الحشر العظيم وقفات من كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم؛ تذكيرا لي ولإخواني بهذا اليوم العظيم:

أول وقفة نقفها مع التعداد الكبير لهذا الحشر، فالناس فيه ليسوا بمئات الألوف، ولا بمئات الملايين، ولا حتى بمئات المليارات، بل هو حشر جميع الناس؛ آدم عليه السلام وحتى آخر فرد يأتي من ذريته في آخر الزمان، بل هو حشر الثقلين، قال تعالى: {**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِّنَ الْإِنسِ**} [الأنعام: ١٢٨]، فالجن كالإنس ما خُلِقوا إلا لعبادة الله تعالى، قال تعالى: {**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**} [الذاريات: ٥٦].

أمّا مكان هذا الحشر؛ فقال تعالى: {**يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ**} [إبراهيم: ٤٨]، قال ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: "وهي هذه -أي أرضنا-

على غير الصفة المألوفة المعروفة"، واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم: (**يُحْشَرُ الناسُ يومَ القيامةِ على أرضٍ بيضاءَ عَفْرَاءَ ، كقُرْصَةِ النَّقِيِّ ، ليس فيها مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ**) [متفق عليه]، تصبح الأرض في استواء سطحها كاستواء سطح قرص الخبز؛ الذي لا نتوء فيه، بعد أن ينسف الله تعالى جبالها، قال تعالى: {**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا • فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا • لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا**} [طه: ١٠٥-١٠٧].

ويشهد هذا الحشر العظيم الملائكة الكرام عليهم السلام، قال تعالى: {**وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا**} [الفرقان: ٢٥]، كما يسود المشهد صمت مطبق، قال تعالى: {**يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا**} [النبأ: ٣٩].

وبالرغم من كثرة الناس في ذلك اليوم العظيم؛ إلا أنهم يُحشرون جميعا على هيئة واحدة، قال صلى الله عليه وسلم: (**يُحْشَرُ النَّاسُ يَومَ القِيامَةِ حُفاةً عُراةً غُرْلًا**) [متفق عليه]، وقد بدت قسمات وجوههم على قسمين، قال تعالى؛ {**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ • ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ • وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ**} [عبس: ٣٨-٤٠].

ثم يجيء الله تعالى -مجيئا يليق بجلاله- إلى هذا الحشر العظيم، قال تعالى: {**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**} [الفجر: ٢٢]؛ ليفصل بين خلقه من الإنس والجن، قال تعالى: {**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**} [السجدة: ٢٥].

وأخيرًا: إن الحالة التي أضحى عليها إسرافيل عليه السلام؛ والتي أخبرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لهي من أقوى الأدلة على قرب يوم الحشر، قال صلى الله عليه وسلم: (**كيف أنعَمُ وصاحِبُ القَرنِ قد التقَمَ القَرنَ وحَنى**

جَبهتَه، وأصغى السَّمعَ متى يُؤمَرُ، قال: فسَمِعَ ذلك أصحابُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فشَقَّ عليهم، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: قولوا: حَسبُنا اللهُ ونِعمَ الوَكيلُ) [صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٧٩)]، قال تعالى: {**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ**} [يس:٥١]، وقال صلى الله عليه وسلم عن قرب الساعة: **(بُعِثْتُ أنا والسَّاعَةَ كَهذِه مِن هذِه، أوْ: كَهاتَيْنِ وقَرَنَ بيْنَ السَّبَّابَةِ والوُسْطَى)** [متفق عليه].

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

۞۞۞

التأمل رقم (٥٣)

نواصل –بتوفيق الله تعالى– التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا**} [الكهف: ٥١]، قال ابن كثير: "يقول تعالى: هؤلاء الذين اتخذتموهم أولياء من دوني عبيد أمثالكم، لا يملكون شيئا، ولا أشهدتهم خلقي للسموات والأرض، ولا كانوا إذ ذاك موجودين، يقول تعالى: أنا المستقل بخلق الأشياء كلها، ومدبرها ومقدرها وحدي، ليس معي في ذلك شريك ولا وزير، ولا مشير ولا نظير" [تفسير ابن كثير (١٦٩/٥)].

هذه الآية الكريمة من سورة الكهف –{**مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا**}– يقرؤها معظم المسلمين كل جمعة، فتمتلئ قلوبهم تعظيما لله تعالى؛ المستقل بخلق الأشياء كلها؛ ومدبرها ومقدرها وحده. ويزداد التعظيم لله تعالى عند تدبر هذه الآية؛ إذا تذكرنا ضعف البشر بجانب القدرة الإلهية. وتذكر ضعف البشر من الأمور المقصودة عند تدبر هذه الآية الكريمة..

البشر يحتاجون عند بناء منشأة إلى عشرات أو مئات الأيدي العاملة؛ أو أكثر، حسب ضخامة المنشأة. أمّا الله تعالى فقد خلق السماوات والأرض

وما فيهن وحده، وخلق سبحانه الناس ولا زال يخلقهم وحده، ويخلق كل شيء وحده.

ثم نقف وقفة مع هذا الخلق العظيم الذي خلقه الله تعالى وحده سبحانه، ولا يزال يخلق ما شاء من المخلوقات وحده.

في عصرنا هذا؛ فاقت المنشآت الضخمة جميع ما مر على البشرية من مبان وقصور، بل لا تكاد تخلو عاصمة من العواصم إلا وناطحات السحاب سمة بارزة لها. فانبهر الكثير -في الشرق والغرب- بما شيد الإنسان من عمران عظيم، حتى أضعف هذا الانبهار الوازع الديني لدى البعض منهم.

وقد حذر نبي الله هود عليه السلام قومه من خطر الانبهار بعمارة الأرض بالقصور العالية وغيرها، قال تعالى: **{أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ • وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ}** [الشعراء: ١٢٨-١٢٩]. قال أهل التفسير: "وتتخذون قصورًا منيعة وحصونًا مشيَّدة، كأنكم تخلدون في الدنيا ولا تموتون".

والذي يحمي الناس من هذا الانبهار بضخامة منشآت العصر؛ هو العلم بأن الله تعالى المستقل بخلق الأشياء كلها؛ ومدبرها ومقدرها وحده؛ قد بين لنا أن هذه المخلوقات التي خلقها؛ لا يقدر أحد أن يخلق مثلها، قال تعالى: **{هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}** [لقمان:١١].

ومادام الأمر كذلك؛ فسيبقى ما خلق الله تعالى يشد فطرة الإنسان إلى خالقه العظيم الذي تفرد بخلق هذه المخلوقات. ولهذا يحتاج الدعاة إلى الله تعالى أن يبذلوا مزيدا من الجهد لإبراز هذه القضايا الإيمانية العظيمة للناس أجمعين؛ حتى يستيقن غير المسلمين؛ فيدخلوا في دين الله تعالى؛ ويزداد الذين آمنوا إيمانًا.

أخيرًا: لا يملك البشر أن يبنوا منشأة -مهما عظمت وتعقد تصميمها- لا يملكون أن يخاطبونها لتنقاد إليهم؛ يأمرونها فتطيع وينهونها فتنتهي، بل أعظم ما وصلوا إليه هو برمجة بعض ما يصنعون؛ لتأدية مهام محدودة.

أمّا خالق السماوات والأرض سبحانه -المستقل بخلق الأشياء كلها؛ ومدبرها ومقدرها وحده- فإنه إذا شاء سبحانه خاطب ما يخلق؛ آمرا إياه بالانقياد له سبحانه طوعا أو كرها، قال تعالى: {**ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**} [فصلت:١١]، قال أهل التفسير: "ثم استوى سبحانه وتعالى، أي قصد إلى السماء وكانت دخانًا من قبلُ، فقال للسماء وللأرض: انقادا لأمري مختارتين أو مجبرتين. قالتا: أتينا مذعنين لك، ليس لنا إرادة تخالف إرادتك".

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

۞۞۞

التأمل رقم (٥٤)

نواصل –بتوفيق الله تعالى– التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا**} [الكهف:١٠٠]، قال أهل التفسير: "وعرضنا جهنم للكافرين، وأبرزناها لهم لنريهم سوء عاقبتهم".

إن دعاء المؤمن ربه تعالى أن يعتقه من النار؛ يعني كذلك دعاءه أن يعتقه من تلك المواقف الشنيعة – التي تمر بأهل النار قبل رميهم فيها– التي حكاها لنا القرآن الكريم.

وذِكْرُ النار وأهلها المخلدين فيها؛ فيه تخويف للمؤمنين ليتقوه سبحانه، قال تعالى: {**لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ۚ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ**} [الزمر:١٦]، وتدفعهم إلى مزيد من إحسان العمل؛ حتى يرضى الله تعالى عنهم؛ ويسلِّمهم منها.

فدعونا نقف وقفتين، نستعرض بعض هذه المواقف؛ التي سيقفها أصحاب النار قبل ورودهم فيها، لعلّها تحدث في نفوسنا الخوف منها.

الوقفة الأولى:

الحالة النفسية المهينة التي يكون عليها أصحاب النار قبل رميهم فيها.

تُعرض جهنم على الكافرين قبل أن يُلقوا فيها، قال تعالى: {**وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا**} [الكهف: ١٠٠]، ويُقال لهم حينها: {**هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ**} [يس:٦٣]، ليروا المكان المخيف الأليم الذي سيُخلدون فيه إلى أبد الآبدين؛ وقد بلغت نفوسهم من الخوف والضيق والحزن منتهاه؛ لهول مطلع جهنم.

كذلك يُوبّخون أثناء هذا العرض المهين على استحبابهم الدنيا على الآخرة: {**وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا**} [الأحقاف:٢٠].

كما يُذكّرون –وهم يرون النار– كيف أنهم كانوا يكذِّبون بالرسل عليهم السلام، قال تعالى: {**وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ**} [الزمر:٧١].

ومع هذا العرض لجهنم على الكافرين –وما يقال لهم من كلمات التأنيب والتبكيت– بات مُستيقنا لديهم أنهم واقعون فيها لا محالة: {**وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا**} [الكهف: ٥٣].

الوقفة الثانية:

الهيئة الجسدية البغيضة التي يكون عليها أصحاب النار قبل رميهم فيها.

أمَّا الوجوه؛ فهي مسودة، قال تعالى: {**وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ**} [الزمر:٦٠].

ويُسحبون على هذه الوجوه المسودة إلى جهنم سحبا، قال تعالى: **{الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا}** [الفرقان: ٣٤].

وأمّا الأعين؛ فإنهم ينظرون بها إلى النار من طرف ذليل ضعيف من الخوف والهوان، قال تعالى: **{وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ}** [الشورى: ٤٥].

قد صُفِدت أعناقهم بالسلاسل والأغلال، قال تعالى: **{إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ}** [غافر: ٧١].. يُساقون بهذه الأغلال إلى النار سوقا شديدا مُشاة عِطاشا، قال تعالى: **{وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا}** [مريم: ٨٦]، ويُدفَعُون دفعًا بعنف ومَهانة، قال تعالى: **{يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا}** [الطور: ١٣].

وأخيرًا: فإن من شدة بُغض الله تعالى للكافرين؛ أن جعل النار تُعرض عليهم حتى في قبورهم؛ غدوا وعشيا، ثم يدخلهم فيها يوم القيامة، قال تعالى: **{النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ}** [غافر: ٤٦]، قال صلى الله عليه وسلم: **(إنَّ أحَدَكُمْ إذَا مَاتَ عُرِضَ عليه مَقْعَدُهُ بالغَدَاةِ والعَشِيِّ، إنْ كانَ مِن أهْلِ الجَنَّةِ فَمِنْ أهْلِ الجَنَّةِ، وإنْ كانَ مِن أهْلِ النَّارِ فَمِنْ أهْلِ النَّارِ، فيُقَالُ: هذا مَقْعَدُكَ حتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَومَ القِيَامَةِ)** [متفق عليه].

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (٥٥)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا**} [مريم: ٣٢].

في القرآن الكريم يتحدث الله تعالى كثيرا عن الخاسرين؛ من المجرمين والكافرين والمنافقين والمشركين، وعن مصيرهم المخزي إذا ماتوا على حالهم وبُعدِهم وشِقاقِهم لله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

فكم مرة حمدت الله تعالى أنك لست منهم.. وتذكرت قولة عيسى عليه السلام: {**وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا**} بعد حمدك لله تعالى أن هداك وجعلك من المؤمنين؟!

ومن جهة أخرى هل نعلم لماذا نحتاج لمثل هذه المشاعر المفعمة بالفرحة أننا لسنا من أولئك الخاسرين؟!

الجواب: إننا نحتاج إليها أولا: حتى لا تُكبل الذنوب التي يقع فيها المؤمن نشاطه، فكل ابن آدم خطاء! لكن حين ينسى المؤمن ما أحاطه الله به من رحمته ومغفرته؛ وأن خير الخطائين التوابون! وحينما ينسى أن الشرك هو الذنب الوحيد الذي لا يُغتفر؛ إلا بالتوبة منه قبل الممات، قال تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ**} [البروج: ١٠] حين ينسى المؤمن ذلك وغيره من رحمة الله وتنوع أسباب

عفوه؛ ويرى أنه بسبب ذنوب ارتكبها صار وكأنه من الجبابرة الأشقياء الخاسرين؛ فإن هذ مدخل كبير لليأس والقنوط من رحمة الله الرحيم الودود.. {**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**} [الزمر: ٥٣] بل هذا هو عين نظرية الخطيئة عند النصارى التي يأستهم من رحمة الله تعالى.. فلم يجدوا لها حلا إلا الشرك بالله تعالى، فعبدوا عيسى عليه السلام ليخلصهم -بزعمهم- من خطاياهم.

ونحتاج إليها كذلك لئن ما يحاك للأمة المسلمة من قبل شياطين الإنس والجن من كيد ومكر يُحزِن الذين آمنوا {**إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**} [المجادلة: ١٠] يحزنهم ذلك الكيد ويدخلهم في قلق ووسوسة وسلبية.. فإذا نجح إبليس وجنده في جعل المسلمين لا يحسنون سوى جلد الذات لتقصير جيل سبقهم.. وينسيهم إيمانهم بالله تعالى -وكأنهم والأشقياء سواء- دفعهم ذلك إلى ضياع الأوقات في تأنيب الضمير وتضخيم الأمور.. وهم أحوج ما يكونون إلى مشاعر الفرحة والعلو بإيمانهم؛ والتفاؤل؛ والتوكل على الله؛ وتقديم العمل الإيجابي المثمر والنافع؛ لدفع ودحر كل كيد.

وأخيرًا: نحتاج إلى هذه المشاعر المفعمة بالفرحة بأن الله تعالى لم يجعلنا من الجبارين الأشقياء؛ حين يأذن سبحانه بقبض روح جبار شقي، لنستشعر ما وصف الله تعالى به -في كتابه- حال المحتضر إذا كان من الخاسرين.. {**وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ**} [الأنعام: ٩٣].. فبمجرد تناقل وسائل التواصل

خبر وفاة خاسر من الأشقياء – مع أننا لا نقطع لإنسان بجنة ولا نار؛ ولكنها مشاعر تجاه من مات وهو في علم الله تعالى من أهل النار– مشاعر عديدة سترد على خاطرك.. تُرى هل تاب من كفره قبل غرغرة روحه؟! وإذا لم يتب من كفره؛ تُرى كيف قُبِضت روحه؟! تُرى ماذا كانت أحاسيسه وهو يلفظ آخر أنفاسه؟! بأي لغة قال: {**رَبِّ ارْجِعُونِ**} [المؤمنون: ٩٩]؟! ما الذي سينفعه بعد موته إذا مات كافرا؟! ترِد كل هذه الخواطر عليك لتغمرك الفرحة لإيمانك بالله تعالى.. وأن حياتك الإيمانية جعلتك على النقيض من ذلك الشقي الذي حادّ الله وحادّ منهجه! حيث تملأ حياتك بالاستغفار تارة.. والتكبير تارة.. تنطق الشهادة في صلواتك مرات ومرات.. تصوم وتزكي.. تدعو إلى الله.. تقرأ القرآن الكريم وتتدبره.. وتفعل الخير؛ كما هو شأن المؤمنين دائما.. {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**} [الحج: ٧٧] فتعمك فرحة غامرة حتى عند موت أحد الكافرين أن الله لم يجعلك جبارا ولا شقيا.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (٥٦)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا • لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا • تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا**} [مريم: ٨٨-٩٠]، قال أهل التفسير: "تكاد السماوات يتشقَّقْنَ مِن فظاعة ذلكم القول، وتتصدع الأرض، وتسقط الجبال سقوطًا شديدًا غضبًا لله لِنِسْبَتِهم له الولد. تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا".

حينما يرتب البشر الأقوال القبيحة والشنيعة التي تصدر منهم؛ ترتيبا تصاعديا -بدون الرجوع إلى الشرع الحنيف- فإنهم يحصرونها في الأقوال التي تصدر تجاه بعضهم البعض فقط. حيث يكون أقلها -على سبيل المثال وليس الحصر- ما يؤدي إلى جرح المشاعر، ثم تزداد قبحا متى ما أدت إلى القطيعة، ثم منها ما يؤدي إلى الشجار ومن ثم القتال والاحتراب.

أمّا أن تصل شناعة بعض الأقوال -التي تخرج من أفواه المليارات من البشر في هذا العصر- أن تصل شناعتها إلى أن السماوات ومجراتها تكاد أن تتشقق منها؛ وتتصدع الأرض؛ وتسقط الجبال؛ فهذا ما يجب أن يعرفه الناس أجمعون.

إن أقبح وأشنع الأقوال هو ما كان فيه انتقاص لله تعالى.. لأسمائه الحسنى؛ وصفاته العليا؛ وأفعاله الجليلة.

وقد خَص الله تعالى من هذه الأقوال: انتقاص أكثر من مليارين من البشر اسم الله تعالى (الأحد)، يلحدون فيه؛ فينسبون له الولد -تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا-، خص الله تعالى هذا القول الشنيع بأن السماوات تكاد تتشقق مِن فظاعة ذلكم القول، وتتصدع الأرض، وتسقط الجبال.

وهناك العشرات من الأقوال الشنيعة التي يطلقها الذين يلحدون في أسماء الله تعالى؛ فيدخلون في الوعيد الذي جاء في قوله تعالى: {**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**} [الأعراف: ١٨٠]، من ذلك انتقاص الكثير من البشر في هذا العصر؛ اسمي الله (العليم والحكيم)، يلحدون فيها؛ بقولهم: إن أحكام الدين لا تناسب العصر.

أمّا المؤمنون الموحدون فإنهم أولا: يعلمون من كتاب ربهم الترتيب الصحيح لأشنع الأقوال التي تصدر من البشر، قال تعالى: {**وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا**} [الفرقان: ٦٨]، فلقد رتبت الآية الكريمة الأقوال الشنيعة، فجعلت الشرك -بدعاء غير الله مع الله- أول وأشنع الأقوال..

ثانيًا: إذا نظروا إلى السماء -متدبرين في آيات الكتاب الكريم التي تبين لهم تعظيم السماوات والأرض والجبال لخالقها العظيم، قال تعالى: {**تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا**} [مريم: ٩٠]، وقال تعالى: {**تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ**} [الشورى: ٥]، وقال تعالى: {**السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا**} [المزمل: ١٨]- إذا نظروا إلى السماء فإنهم يزدادون بهذا التأمل تعظيما لله تعالى، وتقديرا له سبحانه حق قدره.

وأخيرًا: إن التدبر في الآيات الكريمات؛ التي تبين تعظيم السماوات والأرض لخالقها، وغضبها الشديد من الأقوال الشنيعة المنتقصة له سبحانه؛ تدفع أهل التوحيد إلى تكثيف الجهد الدعوي لإخراج هؤلاء المنتقصين من الظلمات إلى النور. فالدعوة إلى التوحيد فيها من التعظيم لله تعالى وتنزيهه الشيء الكثير والكبير.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك ...

التأمل رقم (٥٧)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى**} [طه: ١٢]، قال أهل التفسير: "فلما أتى موسى تلك النار ناداه الله: يا موسى، إني أنا ربك فاخلع نعليك، إنك الآن بوادي "طوى" الذي باركته، وذلك استعدادًا لمناجاة ربه".

من أعظم ما يستفاد من الآية القرآنية الكريمة هو: ضرورة الاستعداد -قبل مناجاة الله تعالى- بعمل شيء مشروع.

كان العمل المشروع لموسى عليه السلام؛ خلع نعليه بوادي طوى، استعدادا لمناجاة ربه العلي العظيم في ذلك الوادي المبارك، قال تعالى: {**إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى**}.

والسؤال الذي يطرح نفسه: ما العمل المشروع لكافة بني آدم حين يريدون مناجاة ربهم العظيم في الصلاة؟

الجواب: الوضوء مطلوب من كل من استسلم لله رب العالمين؛ منذ آدم عليه السلام وحتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها.

فالصلاة كتبها الله تعالى على الأنبياء جميعا عليهم السلام، وكتبها على أتباعهم، قال تعالى -عن إبراهيم عليه السلام-: {**رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ**}

[إبراهيم: ٢٧]، وقال تعالى -عن إسماعيل عليه السلام-: {**وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا**} [مريم: ٥٥]، وقال تعالى -عن موسى عليه السلام-: {**وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**} [يونس: ٨٧]، وقال تعالى -عن عيسى عليه السلام-: {**وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا**} [مريم: ٣١]، وقال تعالى -عن بني إسرائيل-: {**وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ**} [المائدة: ١٢]، وقال تعالى -مخاطبا بني آدم أجمعين-: {**يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ**} [الأعراف: ٣١].

وقد يسر الله تعالى لي حضور محاضرة في الجبيل لداعية؛ كان نصرانيا قبل إسلامه، استدل فيها من الإنجيل -بالرغم من كونه محرفا- على مواضع تبين مشروعية الوضوء وكيفيته. وكانت الجهة المنسقة للمحاضرة المكتب التعاوني بالجبيل؛ جزاهم الله خيرا..

كما أمّ صلى الله عليه وسلم الأنبياء في رحلة الإسراء، قال صلى الله عليه وسلم: (**فحانت الصلاة فأممتهم**) [رواه مسلم (١٧٢)].

ولتقريب معنى الاستعداد لمناجاة الله تعالى أقول: العقلاء من البشر؛ يعلمون أهمية الاستعداد لمقابلة وجيه من الوجهاء وعظيم من العظماء؛ فيلبسون أحسن ما يملكون من الثياب، ويحافظون على الحضور في الموعد المحدد، بل ويختارون كلماتهم بعناية قبل أن تخرج من أفواههم أمام ذلك الوجيه والعظيم من الناس.

ولله المثل الأعلى.. فكيف بمناجاة من يعلم السر وأخفى.. الله رب العالمين؟!

لابد للمسلم أن يستشعر عند وضوئه أنه مقبل على الوقوف بين يدي الله تعالى لمناجاته سبحانه؛ في صلاة قد عرف أركانها وواجباتها وسننها؛ متأسيًا فيها بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وممّا يزيد المتوضئ استعدادا لمناجاة رب العالمين في الصلاة؛ أن سن لنا صلى الله عليه وسلم قولا عظيما نقوله بعد الفراغ من الوضوء..الشهادتين، قال صلى الله عليه وسلم: (**ما منكم من أحد يتوضأ فيُسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله – إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل مِن أيها شاء**) [رواه مسلم (٢٣٤)] ألا ما أعظمه من قول –أعني: الشهادتين– يقوله المسلم بعد وضوئه مباشرة.

وأخيرًا: لعل من ثمرة المناجاة الصادقة الخاشعة في الصلاة: أن يستشعر المسلم معية الله تعالى له في كل عمل يقوم به خلال يومه وليلته –وليس في الصلاة فقط– خاصة وهو يقرأ في كتاب ربه: {**وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا**} [يونس: ٦١] فيتلذذ بمناجاة ربه في أعماله المختلفة؛ بِما سن رسول صلى الله عليه وسلم من أذكار لهذه الأعمال، حتى يصبح لسانه رطبا بذكر الله تعالى.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (٥٨)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**} [الأنبياء: ٤]. خاطب الله تعالى بهذه الآية العظيمة كفار قريش، ولهذا دعونا نحاور بها غير المسلمين في عصرنا.

يتباهى غير المسلمين بما وصلوا إليه من تقنيات رقمية متقدمة -في المجال الأمني- من خلال كاميرات تسجل الأقوال والأفعال في مساحات محدودة من هذه الأرض في المباني والطرق والموانئ والمطارات وغيرها.

فأين هم من الله تعالى الذي يسمع ويعلم قول كل مخلوق؛ في مساحة عرضها السماوات والأرض: {**قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**}؟!

والسؤال الذي يطرح نفسه: كيف غابت عند غير المسلمين رقابة الله تعالى عليهم، وسماعه سبحانه لأقوالهم ورؤيته لأفعالهم؛ في الوقت الذي استحضروا في أنفسهم وأخذوا الحذر ممّا يمكن أن تسجله عليهم كاميرات منصوبة هنا وهناك؟!

والجواب سهل للغاية، ولا يخرج عن كلمة "المعرفة". نعم إنها "المعرفة".

فحين عرفوا أن هناك كاميرات في هذا المبنى أو ذاك؛ ابتعدوا عن قول أو فعل الخطأ؛ في محيط عمل تلك الكاميرات.

وحين غابت عند غير المسلمين –معرفة الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وأفعاله الجليلة، ومنها معرفة هذه الآية العظيمة: {**قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**} – حين غابت معرفة الله تعالى عندهم؛ أشركوا مع الله إلها آخر، وتعدوا حدوده، فظلموا أنفسهم، وظلموا غيرهم.

ربنا سبحانه يسمع ويعلم كل قول يصدر من أي مخلوق في السماء والأرض، في ليل أو نهار، وفي أي شأن كان هذا المخلوق. بل وحتى السر في صدور الخلائق يعلمه سبحانه، قال تعالى: {**قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا**} [الفرقان: ٦].

بهذه المعرفة وبهذا العلم بالله تعالى؛ يستحضر الناس رقابة الله تعالى عليهم.

إن رقابة الله تعالى في نفوس المؤمنين –والتي يكرم الله تعالى بها من عرفوه سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وأفعاله الجليلة– هي نظام أمني أخلاقي رباني، لا يحتاجه المسلمون فقط. بل تحتاجه البشرية جمعاء، لتسعد في الدارين.

وإذا كانت الكاميرات سببا في بسط شيء من الأمن في مساحات صغيرة ومحدودة من هذه الأرض؛ فإن استحضار رقابة الله تعالى في النفوس تنشر الأمن في المجتمع كله، تنشره في البيوت، وفي أماكن العمل، وفي الطرقات، وفي الملتقيات والمحافل المكتظة بالناس، وفي أماكن عباداتهم؛ مهما ازدحمت؛ كما في الطواف بالبيت الحرام والسعي بين الصفا والمروة، حيث تجد الجنسين فيهما غاية في الطهر والعفة والبعد عن أذى بعضهم البعض بالرغم من الزحام، كل ذلك بسبب استحضار رقابة الله تعالى في النفوس.

أخيرًا: حذار ثم حذار أن تضعف رقابة الله تعالى في نفوسنا نحن المسلمين؛ فيقل أمننا؛ ويصيبنا ما أصاب غيرنا من الأمم.

علينا -نحن أهل الإسلام- أن نجتهد في زيادة معرفتنا بالله تعالى؛ بالتأمل في آيات الكتاب الكريم وأحاديث المصطفى الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك ...

التأمل رقم (٥٩)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ**} [الأنبياء:١٦]!

هل من المنطق والمعقول أن يندهش الإنسان لمنظر مبنى بطابقين؛ ثم يلتفت في نفس اللحظة إلى ناطحة سحاب -بطول ميل في السماء- فلا يندهش لها أبدا؛ وكأنها مبنى من طابق واحد، أو كأنها خيمة؟! لا شك أن عدم الاندهاش لرؤية ناطحة السحاب؛ مقارنة بالاندهاش الكبير تجاه المبنى ذي الطابقين لا يمت إلى المنطق بصلة أبدًا.

هذا ما يحصل لبعض الناس، تراه مندهشا عند تجواله في أحياء مدينة قد اشتهرت بجمالها وجمال طرقها وأبنيتها. وحوله السماء بمجراتها وأفلاكها وشمسها وقمرها وكأنها ليست موجودة، قد غفِل القلب عن عظمتها.

حينما يلفت القرآن الكريم أنظارنا -في نحو أكثر من مئة وأربعين آية- إلى خلق السماوات والأرض وما بينهما؛ فلا يشك عاقل بأن أمر السماوات والأرض عظيم، وأن الله تعالى لم يخلقهما عبثا وباطلا، قال تعالى: {**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ**}.

ولنقف وقفتين فقط أمام خلق السماوات والأرض:

الوقفة الأولى: هب أنك وقفت أمام مبنى وزارة من الوزارات، من الوهلة الأولى سيخطر على بالك وجود وزير في هذا المبنى؛ ومئات الموظفين ومكاتب وتجهيزات لا حصر لها. كل هذا يخطر على بال الإنسان لحظة وقوفه أمام وزارة من الوزارات.

ولله المثل الأعلى.. تذكر كلما نظرت في السماوات؛ أن الله تعالى مستو على عرشه؛ فوق هذه السماوات -استواء يليق بجلاله سبحانه- وأن هذه السماوات تعج بالملائكة الكرام الصافين والمسبحين، قال تعالى: {**وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ • وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ • وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ**} [الصافات:١٦٤-١٦٦]. ولو تمعن الواحد منا في معراج النبي صلى الله عليه وسلم -حيث مر بالسموات السبع؛ سماء بعد سماء، حتى انتهى صلى الله عليه وسلم إلى سدرة المنتهى، حيث قدّر ربنا تعالى فرض الصلاة بالقرب من الحضرة الإلهية- لو تمعنا في حادثة المعراج لحصل في نفوسنا تقدير عظيم لله تعالى حين ننظر إلى السماوات.

حديث المعراج [أخرجه البخاري (٣٣٤٢) واللفظ له، ومسلم (١٦٣)].

الوقفة الثانية: بعد استحضار عظمة ربنا سبحانه -حين ينظر الواحد منا إلى السماء- وأنه سبحانه مستو على عرشه -استواء يليق بجلاله- بعد ذلك تفكر في أفعال ربنا سبحانه وهو مستو على عرشه، قال تعالى: {**يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**} [الرحمن: ٢٩] لنتذكر أنه ليس البشر من يسأل ربنا سبحانه حاجاته فقط؛ بل العوالم كلها؛ ممن عرفنا -كعالم الملائكة والجن؛ وأمم أمثالنا، متجانسة في الخلق من الدواب والطير- وكذلك ما لم نعلم من الخلائق. فقد بين سبحانه أن كل ما في السماوات والأرض يسأله.

وحتى يتصور الواحد منا كثرة من في السماوات والأرض الذين يسألون خالقهم سبحانه؛ جاءت آية سورة لقمان التي قال الله فيها: {**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**} [لقمان: ٢٧]؛ لتبين لنا كما قال أهل التفسير: "ولو أن أشجار الأرض كلها بُريت أقلامًا والبحر مداد لها، ويُمَد بسبعة أبحر أخرى، وكُتِب بتلك الأقلام وذلك المداد كلمات الله؛ لتكسرت تلك الأقلام؛ ولنفِد ذلك المداد؛ ولم تنفد كلمات الله التامة التي لا يحيط بها أحد".

أخيرًا: أبدع ابن القيم رحمه الله تعالى في الحديث عمّا يخص البشر فقط من قوله تعالى: {**يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**}، فقال: "يغفر ذنباً، ويُفرِج هماً، ويكشف كرباً، ويجبر كسيراً، ويُغني فقيراً، ويُعلِّم جاهلاً، ويهدي ضالاً، ويُرشِد حيران، ويغيث لهفان، ويفك عانياً، ويُشبع جائعاً، ويكسو عارياً، ويشفي مريضاً، ويعافي مبتلى، ويقبل تائباً، ويجزي محسناً، وينصر مظلوماً، ويقصم جباراً، ويُقيل عثرة، ويستر عورة، ويُؤمِّن روعة، ويرفع أقواماً، ويضع آخرين"[الوابل الصيب (٧٢)].

فكيف بسؤال باقي الخلائق مما نعلم ومما لا نعلم؟! ذلك غيب لا يعلمه إلا الذي أحصى كل شيء عددا سبحانه.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (٦٠)

نواصل –بتوفيق الله تعالى– التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ**} [الأنبياء:٤٧].

إخواننا المسلمون المظلومون في شتى بقاع الأرض؛ يتطلعون إلى رجحان كفة الميزان.

وأمّا ما يملأ كفتي الميزان؛ فكفة تثقلها الأعمال الصالحة المؤدية إلى خيرية هذه الأمة وتكاتفها، هذه الأمة التي وصفها المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله: (**مَثَلُ المؤمنين في تَوَادِّهم وتراحُمهم وتعاطُفهم: مثلُ الجسد، إذا اشتكى منه عضو: تَدَاعَى له سائرُ الجسد بالسَّهَرِ والحُمّى**) [متفق عليه].. والكفة الأخرى تثقلها كثرة الذنوب المؤدية إلى سلبية الأمة وتفرقها.

ولكل مسلم في الأرض دور في ترجيح كفة ميزانه نحو النصر والعزة للمسلمين المظلومين في كل مكان؛ بعمله الصالح. حتى لو كان عمله الصالح قدر حبة من خردل. فالمسؤولية فردية؛ كما نصت الآية الكريمة: {**فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ**}. فكيف بالأعمال الصالحة الكبيرة؟!

وأوضح وأقوى مثال على ارتفاع الخيرية في الأمة بعمل صالح واحد؛ هو إقامة الصلاة من قبل كل مسلم؛ إقامة ترضي الله تعالى.. إقامة؛ يفقهون بها معنى التكبير الذي يرددونه في صلاتهم في الركعة الواحدة كثيرا.

ولتوضيح الصورة: تقول الإحصائيات إن للمسلمين اليوم في العالم قرابة ثلاثة مليون ونصف جامع ومسجد، فلو دخل المصلون إلى هذه الملايين من المساجد؛ وهم يستشعرون أنهم يقفون بين يدي الله الكبير سبحانه.. الذي هو أكبر من كل شيء، وأعظم؛ وأجلّ؛ وأعلى؛ من كلِّ شيء سبحانه. فقد بين الله تعالى أن السماوات والأرض صغيرة وضئيلة بجانب كرسيه، قال تعالى: {**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**} [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالى: {**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ**} [الزمر: ٦٧]، فكيف بعرش الرحمن، الذي ورد في الحديث؛ أن الكرسي بجانبه كحلقة ملقاة في فلاة؟! [صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٩)] مع إيماننا أن الله تعالى مستو على عرشه استواء يليق بجلاله، من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل. ثم مع إيماننا بأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، قال تعالى: {**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**} [العنكبوت: ٤٥]، فلو دخل المصلون إلى هذه الملايين من المساجد –وهم يستشعرون أنهم يقفون بين يدي الله الكبير سبحانه– فلنا بعد ذلك أن نتصور كيف ستثقل كفة ميزان العمل الصالح على كفة الذنوب؛ لقرابة ملياري مسلم من المصلين. وترتفع على إثر ذلك خيرية الأمة؛ ونصر الله لها، وتبديلها بعد خوفها؛ أمنا وتمكينا.

هذه الصلاة الخاشعة بين يدي الكبير سبحانه -التي تنهى عن الفحشاء والمنكر- ستدفع أكثر من مليار مسلم بعد تقللهم من الذنوب؛ إلى استشعار معنى الأخوة بين أهل الإسلام -التي ماتت عند البعض، أو كادت أن تموت- فترتفع بذلك خيرية الأمة نحو نصرة إخواننا المستضعفين.

هذه الصلاة الخاشعة ستكف أكثر من مليار مسلم عن هدر أوقاتهم وأموالهم إلا فيما يرضي الله تعالى، وإلا فيما ينصر دين الله وعباده المستضعفين.

أخيرًا: أرأيت أخي المسلم.. أختي المسلمة: أن لنا أثرًا إيجابيًا في نصرة المستضعفين حتى ونحن في بلادنا، وأن لكل واحد منا وزنًا في رفع خيرية الأمة وتكاتفها.. سنحاسب عليه حين يضع الله تعالى الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (٦١)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**} [الحج:٣١].

نقف مع هذه الآية الكريمة متأملين ومتدبرين:

مع انتشار جرثومة "كورونا" في الصين وغيرها من الدول؛ نطرح سؤالا مهما: أيهما أشد وأعظم خطرًا على الإنسان: جرثومة كورونا أم جرثومة الكفر؛ وما تحمله من ثقافات الشرك والإلحاد؟!

البعض منا لا يزال لا يستشعر خطر جرثومة الكفر على غير المسلمين؛ التي ساعد على نشرها بينهم في هذا العصر ما ابتكروه من وسائل التواصل الاجتماعي -بسرعتها الفائقة- في حرية تامة، لنشر كل معتقد فاسد، بما في ذلك عبادة الصلبان، وحتى عبادة الفئران.

وحتى لا يفهم القارئ أني لا أعير اهتماما للأمراض؛ فإني أبادر فأقول: لا يجادل أحد في ضرورة اتخاذ كافة الأسباب لمقاومة وعلاج الأمراض على وجه العموم، والفتّاك المعدي منها على وجه الخصوص.

لكن ما لفت انتباهي هي حالة الاستنفار العالمية غير المسبوقة تجاه مرض؛ لم يبلغ ضحاياه حتى العشرة ملايين. بينما بلغ تعداد من أصابته جرثومة الكفر المليارات. كل واحد من هذه المليارات قال الله تعالى فيه: {**وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**}، قال أهل التفسير عن حال المشرك: "في بعده عن الهدى وفي هلاكه وسقوطه من رفيع الإيمان إلى حضيض الكفر؛ وتخطُّف الشياطين له من كل جانب؛ كمثل مَن سقط من السماء: فإما أن تخطفه الطير فتقطع أعضاءه، وإما أن تأخذه عاصفة شديدة من الريح، فتقذفه في مكان بعيد".

إن الرحمة –التي يحملها أتباع أرحم البشر –النبي صلى الله عليه وسلم– الذي قال الله تعالى فيه: {**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**} [الأنبياء:١٠٧]– الرحمة التي يحملها المؤمنون للعالمين؛ أكبر وأجل من أن تنحصر في الخوف عليهم من الأمراض الجسدية فقط. بل تعدت إلى إنذار الناس بخطر جرثومة الكفر؛ التي ما تصيب أحدا إلا أماتت قلبه، كما بين الله تعالى: {**أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ**} [الأنعام:١٢٢]. فقد أصابت جرثومة الكفر العرب قبل البعثة المحمدية فأماتت قلوبهم. ثم أحيا الله تعالى منهم –بدعوة الإسلام الخالدة– من شاء، وجعل له نورا من الحق يمشي به في الناس.

وقد وصم الله تعالى غير المسلمين بأنهم موتى القلوب في أكثر من آية، منها الآية الكريمة التي مرت معنا آنفا، ومنها قوله تعالى: {**إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ**} [النمل:٨٠]، قال أهل التفسير: "إنك –أيها الرسول– لا تقدر أن تُسمع الحق مَن طبع الله على قلبه فأماته".

وأخيرًا: لا ننسى المصير المخزي الخطير الذي ينتظر غير المسلمين.. النار، قال تعالى: {**قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۖ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**} [الحج: ٧٢].

فهلا رحمناهم؛ بإعلان كل واحد منا -نحن المسلمين- حالة طوارئ؛ ليعالج من مات قلبه من غير المسلمين بجرثومة الكفر؛ ببذل جهد أكبر في دعوتهم إلى دين الإسلام العظيم؟!

وكما يقال: أفضل وسيلة للدفاع؛ الهجوم. فإن دعوة غير المسلمين؛ فيها حماية للمسلم من أن تصيبه جرثومة الكفر؛ المنتشرة في فضاء الانترنت؛ الذي أحال قارات العالم إلى قرية صغيرة، أسهل وأيسر وأسرع ما في هذه القرية التواصل الفكري.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك ...

التأمل رقم (٦٢)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ**} [المؤمنون: ١٣].

كثيرة هي الآيات الكريمات التي يذكرنا فيها ربنا سبحانه بأننا كنّا نطفة في أرحام أمهاتنا. منها ما خاطب بها سبحانه منكري البعث، كقوله تعالى: {**أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ**} [يس: ٧٧]. ومنها ما خاطب بها سبحانه الناس جميعا، من ذلك الآية الكريمة التي اخترتها في هذا المقال، والتي جاءت في سورة المؤمنون؛ بعد ما ذكر الله تعالى صفات المفلحين، قال تعالى: {**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ • ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ**} [المؤمنون: ١٢-١٣].

ولنا مع هذه الآية الكريمة وقفة تأمل:

ينظر كثير من الناس إلى ماضيهم -لغرض الاعتبار- من زوايا مختلفة. فمنهم من ينظر إلى ماضيه المعيشي؛ وكيف كان صفر اليدين. وكيف أضحى اليوم -بفضل من الله تعالى- ذا دخل يمكنه من العيش بكرامة في مجتمعه.

ومنهم من ينظر إلى علمه؛ يوم كان طالبا في مدرسته؛ يتعلم القراءة والكتابة. وكيف أضحى -بفضل من الله تعالى- متخصصا في إحدى المجالات

الشرعية أو العلمية. وهكذا هناك من ينظر إلى ماضيه الصحي، أو الاجتماعي، أو غير ذلك من الأمور.

ولا شك أن هذه النظرات نحو الماضي -التي تدفع المسلم إلى شكر المنعم سبحانه وتعالى على ما أنعم عليه من نِعمة المال أو العلم أو الجاه- لا شك أنها مشروعة، ولها شواهد في القرآن الكريم. من ذلك تذكير الله تعالى المؤمنين بماضيهم في صدر الإسلام؛ يوم كانوا ضِعافا؛ ثم أصبحوا ظاهرين، قال تعالى: {**وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**} [الأنفال: ٢٦].

لكن أعظم ما ينبغي أن ينظر إليه الإنسان من ماضيه -ليزداد بذلك تعظيما لقدْر الله تعالى- هو النظر إلى أنه كان نطفة، قال تعالى: {**ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ**}.

إن تذكُّر الإنسان لقدْره؛ وأنه كان نطفة؛ لا شك يزيده معرفة بقدْر ربه الخلاق العليم.

وهذا منهج قرآني مطرد في بيان ضآلة وصِغر وضعف كل ماخلق الله تعالى -حتى السماوات والأرض- أمام ربنا الكبير؛ ذي الأسماء الحسنى والصفات العلا سبحانه، قال تعالى: {**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ**} [الزمر: ٦٧]. كما بين سبحانه أن كرسيه وسع السماوات والأرض، قال تعالى: {**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**} [البقرة: ٢٥٥].

وأخيرًا: فإن القرآن الكريم لم يقتصر على ذكر النطفة فقط. بل زاد فقال تعالى: {**هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ**

الْحَكِيمُ} [آل عمران: ٦]، قال أهل التفسير: "هو وحده الذي يخلقكم في أرحام أمهاتكم كما يشاء، من ذكر وأنثى، وحسن وقبيح، وشقي وسعيد، لا معبود بحق سواه، العزيز الذي لا يُغالَب، الحكيم في أمره وتدبيره". فسبحانك ربي ما أعظمك.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (٦٣)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ**} [المؤمنون: ٩١]، قال أهل التفسير: "لم يجعل الله لنفسه ولدًا، ولم يكن معه من معبود آخر؛ لأنه لو كان ثمة أكثر مِن معبود لانفرد كل معبود بمخلوقاته، ولكان بينهم مغالبة كشأن ملوك الدنيا، فيختلُّ نظام الكون، تنزَّه الله سبحانه وتعالى وتقدَّس عن وصفهم له بأن له شريكًا أو ولدًا".

سبحان من جعل من صراع الأمم؛ واعتلاء دولة وسقوط أخرى -وهو مشهد يتكرر في تاريخ البشرية- سبحان من جعل ذلك دليلا على وحدانيته!

فما أن يستقر الأمر لأمة ردحا من الزمن؛ إلا وأمة أخرى تسعى بكل ما أوتيت من قوة لتُخضِعها؛ وتهيمن على ممتلكاتها وثرواتها.

وحتى الأمة المسلمة تغالب غيرها من الأمم، لكن لهدف رباني عظيم؛ هو تعبيد الناس لرب العالمين؛ وليس للاستعلاء والفساد.

كلنا رأى وسمع وقرأ عن مثل هذه الصراعات بين الأمم.. لكننا لم ولن نسمع أبدا عن صراع آلهة مع الله تعالى؛ يطمع كل إله منهم في قسمه من السماوات والأرض.. أو في دوره في خلق بعض المخلوقات.

قال تعالى: {**وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْض**}، فلا أحد ينازع الله تعالى في ملكه، فنحن نمسي ونصبح والسماوات لا زالت كما هي، والأرض كذلك! الغيث ينزل.. الأرض تنبت.. الدواب ترعى.. الهواء ملأ الفضاء.. والأمهات يلدن.. والموت لا يفوت أحدًا.. فلا إله إلا الله الواحد الأحد؛ المتفرد في تدبير شؤون جميع الخلائق.

ولذا نفى القرآن الكريم في آية أخرى خلْق وامتلاك آلهة المشركين المزعومة شيئا من الأرض أو السماوات، قال تعالى: {**قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ**} [فاطر: ٤٠].

وأخيرًا: وكما أن المغالبة ليست هي الأمر الوحيد الذي يقع بين الأمم -وإنما ما يتبع تلك المغالبة من فساد في إدارة شؤون حياة الناس؛ إذا نبذت الأمة الغالبة منهج الله تعالى- فكذلك بيّن الله تعالى أنه ليست المغالبة هي الأمر الوحيد الذي يقع بين الآلهة -لو كان هناك آلهة غير الله تعالى- وإنما ما يتبع تلك المغالبة من فساد في نظام السماوات والأرض، قال تعالى: {**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا**} [الأنبياء: ٢٢]، قال أهل التفسير: "لو كان في السموات والأرض آلهة غير الله سبحانه وتعالى تدبر شؤونهما، لاختلَّ نظامهما".

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (٦٤)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا**} [الفرقان:٢٣].

وقفتان مع موت الملحد أستاذ الفيزياء ستيفن هوكينج -قلت ملحدًا لأنه يصرّح بالإلحاد في كلامه- عسى الله أن ينفع بهما.

الوقفة الأولى: يقول المؤمنون والمتأدبون بما جاء عن الله تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم: أخذ ستيفن هوكينج نصيبه من الدنيا: شهرة ومكانة، غير أنه خرج من الدنيا ولا حسنة له، فقد ثبت في صحيح مسلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (**إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها**)، كما قال الله تعالى في شأنهم: {**وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا**} [الفرقان:٢٣].

الوقفة الثانية: كان على الملحد ستيفن هوكينج قبل مماته أن يخوض مجال علوم الفيزياء -التي أذن الله للبشر أن يسبروها، ليخرجوا للناس كنوز الأرض بالحقائق العلمية والتجارب المفيدة، قال تعالى: {**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**} [الملك:١٥]- دون

الخوض في عالم الغيب؛ الذي أكرم الله تعالى البشرية بشيء منه من خلال كتبه سبحانه ورسله الكرام عليهم السلام. فإلحاده لم يوقف الموت الذي كتبه الله تعالى على كل نفس، كما بين لنا ذلك سبحانه في كتابه الكريم، ولم يحي دابة على هذه الأرض. وإلحاده لم يأت بما يمنع نزول مطر، ولا نمو شجر. فالله خالق كل شيء. وإلحاده كذلك لم يحل أزمات العالم الغربي الأخلاقية المستعصية؛ حين خاضوا فيما منعهم الله من خوضه —كالتشريع لأنفسهم بما لم ينزل الله به من سلطان– ولذلك ما زاده إلحاده إلا كفرًا وبعدًا ومقتًا وخسارًا، قال تعالى: {**هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا**} [فاطر: ٣٩].

أخيرًا: أقول لكل من يخوض بتغريدة غالية؛ يترحم فيها على أمثال هذا الملحد؛ بدون أن يستنير بنور الوحيين –الكتاب والسنة كما بينت في الوقفة الأولى– أقول له: الملحدون الذين ماتوا –مثل ستيفن هوكينج وغيره– قد خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم في الآخرة. لكن يمكنك –إن استوعبت الوقفتين السابقتين– أن تهدي لكل كافر باق على قيد الحياة –سواء ألحد أو يعتقد اعتقادات شركية من سائر ملل الكفر.. وأنت ترى أنه أهدى البشرية علما في الفيزياء أو غيرها– أن تهديه هديةً؛ هي أعظم مما أهدى البشرية من علوم مادية، هو بأمسّ الحاجة إليها...تواصل معه وقدّم له الإسلام، لعل الله تعالى أن يخرجه على يديك من الظلمات إلى النور.. ولعلك بعد موته تلتقي به –إن أسلم– في جنات النعيم.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (٦٥)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا**} [الفرقان: ٦٢]، قال أهل التفسير: "وهو الذي جعل الليل والنهار متعاقبَيْن يَخْلُف أحدهما الآخر لمن أراد أن يعتبر بما في ذلك إيمانًا بالمدبِّر الخالق، أو أراد أن يشكر لله تعالى على نعمه وآلائه".

من بين الآيات العظيمة؛ التي تدل على عظيم خلق الله تعالى -والتي كررها الله تعالى في كتابه الكريم-: تعاقب الليل والنهار.

فكيف تمرّ هذه الآية العظيمة -اليومية- على البعض منا مرورا عاديا، بدون أن تهز الوجدان هزا؛ تعظيما لله تعالى الخلاق العليم؟!

الذي ينساه بَعضُنَا في تعاقب الليل والنهار؛ هو اللطف، والدقة، والسكون (الهدوء) الذي تمر به هذه العملية العظيمة المكرورة.

لطف الله تعالى بعباده بأن جعل لهم الليل والنهار؛ لحاجتهم لهما، قال تعالى: {**وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**} [القصص: ٧٣].

ودقة في تعاقب الليل والنهار، قال تعالى: {**لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ**} [يس:٤٠]، دقة مكنت البشر من حساب أوقات هذا التعاقب إلى أجزاء من الثانية.

وسكون (هدوء) في تعاقب الليل والنهار، فلا تكاد تشعر ببداية هذا التعاقب -الذي لا صوت له ولا ضجيج- ما لم تكن ناظرا ومتأملا في شروق الشمس أو غروبها.

هذا اللطف والدقة والسكون (الهدوء) في تعاقب الليل والنهار يدعونا إلى تعظيم الله تعالى وتقديره حق قدره.

ولتقريب الموضوع أسوق مثالا من حياة البشر:

نرى اندهاش الكثير من دقة وسكون (هدوء) أداء بعض الأجهزة التي يصنعها البشر؛ لاستخداماتهم المختلفة؛ حتى لا تكاد تسمع لها صوتا وهي تعمل.

ولله المثل الأعلى.. فأين هذا المندهش من بعض الأجهزة؟! أين هو من عملية تعاقب الليل والنهار -على الكرة الأرضية- بدقة وسكون (وهدوء) لا يحس بها أحد؟! إنه صنع الله، قال تعالى: {**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**} [النمل: ٨٨].

وأخيرًا: إن سمة اللطف والدقة والسكون (الهدوء) فيما يخلق ربنا لا تقف عند تعاقب الليل والنهار. انظر إلى اخضرار الأرض -بلطف من الله ودقة وسكون (هدوء)- بعد هطول الأمطار، قال تعالى: {**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ**} [الحج: ٦٣] وقد تكون الأرض المخضرّة التي هطلت عليها الأمطار بمساحة دول بأكملها؛ تخضرّ دون أي ضجيج. سبحانك ربي ما أعظمك!

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (٦٦)

نواصل –بتوفيق الله تعالى– التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا**} [الفرقان:٦٣]، قال أهل التفسير: "وعباد الرحمن الصالحون يمشون على الأرض بسكينة متواضعين".

سبحان الذي ميز مِشية عباد الرحمن بالسكينة والتواضع.

والسؤال الذي يطرح نفسه: ما هي دلالات هذه المشية التي يحبها الله تعالى؟!

الجواب: أول دلالاتها: قوة الصلة بالقرآن الكريم. فالعبد المؤمن يعلم –لقوة صلته بالقرآن الكريم– أن الله تعالى يبغض مِشية التكبر والخيلاء؛ فيتجنبها، قال تعالى: {**وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا**} [الإسراء: ٣٧]، وقال تعالى: {**وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**} [لقمان: ١٨]، وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم: (**بيْنما رجلٌ يمشِي في حُلَّةٍ تُعجِبُهُ نفسُهُ ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ ، إذْ خسَفَ اللهُ بهِ الأرْضَ ، فهو يتجلْجَلُ فيها إلى يومِ القيامَةِ**) [رواه البخاري (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨)].

الدلالة الثانية: مِشية السكينة تدل على شدة مراقبة عباد الرحمن لله تعالى، مما يجعلهم يضبطون كلامهم –حتى وهم يمشون– فلا يجهلون على من يجهل عليهم، قال تعالى: {**وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**} [الفرقان: ٦٣]، قال أهل التفسير: "وعباد الرحمن الصالحون يمشون على الأرض بسكينة متواضعين، وإذا خاطبهم الجهلة السفهاء بالأذى أجابوهم بالمعروف من القول، وخاطبوهم خطابًا يَسْلَمون فيه من الإثم، ومن مقابلة الجاهل بجهله".

الدلالة الثالثة: شمولية منهج الإسلام في توجيه جميع جوارح الإنسان نحو السلوك الأفضل.

فكما وجّه الإسلام المؤمن للمِشية السوية –كما مرّ معنا في الآية الكريمة التي هي موضع التأمل في هذا المقال– كذلك وجّه سمعه وبصره وفؤاده، قال تعالى: {**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**} [الإسراء: ٣٦].

ووجّه لسانه، قال تعالى: {**وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا**} [الإسراء: ٥٣]، وقال تعالى: {**وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**} [لقمان:١٩].

ووجّه يديه؛ بألا يسرق بهما ولا يبطش، قال تعالى: {**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**} [المائدة:٣٨].

وليس ذلك فحسب؛ بل يمتد أثر ما تعمله جوارحنا إلى يوم القيامة، حيث تشهد علينا بما عملناه في هذه الدنيا، قال تعالى: {**يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ**

أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النور: ٢٤]، وقال تعالى: **{حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}** [فصلت: ٢٠].

وأخيرًا: ممّا ينبغي التنبه له: أن العبد المؤمن الذي يمشي على الأرض هونا؛ لا يعني أن يتماوت في مِشيته، فقد وصف عليّ رضي الله عنه مِشية الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: "إذا مشى تَكفَّأَ كأنَّما ينحدِرُ من صبَبٍ" [صححه الألباني في صحيح الترمذي (٣٦٣٧)]، لقوة مشيته صلى الله عليه وسلم؛ لكنها مِشية بسكينة تخلو من التكبر والخيلاء.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك ...

التأمل رقم (٦٧)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ**} [النمل: ١٧].

كثيرًا ما تصرّح بعض الأمم غير المسلمة -في هذا العصر- من خلال إعلامها بأنه لم يوجد ولا يوجد أمة أقوى منها على وجه الأرض.

ويحق لهم أن يقولوا إنهم أقوياء في هذا العصر. أمّا أنه لم يمر على تاريخ البشرية أمة أقوى منهم؛ فقد جانبوا الصواب، والتاريخ يقول خلاف ذلك، ناهيك أن قوتهم في هذا العصر قوة مادية؛ غير منقادة لهدي رب العالمين.

لذلك أقول: إذا أرادت أمة أن تفخر بأنه لم يمر في تاريخ البشرية؛ ولن يمر أقوى منها؛ فحُق لنا -نحن أفراد ومجتمعات الأمة المسلمة- أن نفخر بعهد نبي الله تعالى سليمان عليه السلام، فلم يمر ولن يمر على البشرية أقوى من الأمة المسلمة في عهده عليه السلام.

عهد النبي سليمان عليه السلام جزء لا يتجزأ من تاريخ الأمة المسلمة الطويل، فالنبي سليمان عليه السلام وأتباعه كانوا من المسلمين، حكى لنا القرآن الكريم ذلك على لسان سليمان عليه السلام: {**وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ**} [النمل: ٤٢]. كما جاء القرآن الكريم بالتأكيد على أن حاضر

الأمة المسلمة لا يجوز أن ينفصل عن ماضيها، قال تعالى: {**وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ**} [هود: ١٢٠] ففي قصص الأنبياء عليهم السلام تثبيت وتقوية لقلوب المؤمنين في أي عصر.

حكى لنا القرآن الكريم سؤال سليمان عليه السلام اللهَ تعالى: {**وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ**} [ص: ٣٥]، قال أهل التفسير: "وأعطني ملكًا عظيمًا خاصًا لا يكون مثله لأحد من البشر بعدي".

استجاب الله تعالى لسليمان عليه السلام؛ فأعطاه سبحانه ملكا عظيما لم يعطه لأحد من بعده عليه السلام إلى يوم القيامة. وكان من ضمن ملكه: أنواع عظيمة من القوى، سأقف مع ثلاثة منها:

الأول: الريح، قال تعالى: {**فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ**} [ص: ٣٦]، قال أهل التفسير: "وذللنا الريح تجري بأمره طيِّعة مع قوتها وشدتها حيث أراد".

إنها الريح التي أقضت مضاجع الأمم اليوم بأعاصيرها المدمرة. لن يتمكن أحد من تذليلها كما ذللها الله تعالى لسليمان عليه السلام.

الثاني: الجن، قال تعالى: {**وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ**} [سبأ: ١٢]، وقال تعالى: {**وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ**} [ص: ٣٧].

ليس هناك أمة من الأمم القوية في هذا العصر –مهما بلغ عتادها وعدتها– أن يكون من بين جندها أعداد عظيمة من الجن. أمّا سليمان عليه السلام فقد كان من بين جنده أعداد من الجن لا يعلم قدرهم سوى الله تعالى، قال تعالى: {**وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ**

يُوزَعُونَ} وصار الجن طوع أمره، ليس في القتال معه فقط؛ بل حتى في صناعة ما يشاء، قال تعالى: {**يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالجواب وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ**} [سبأ: ١٣].

الثالث: آتاه الله تعالى من كل شيء، قال تعالى: {**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ۖ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ**} [النمل: ١٦]، قال أهل التفسير في تفسير قوله تعالى: {وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ}: "وأُعطينا مِن كل شيء تدعو إليه الحاجة".

من الحاجات التي آتاه الله تعالى؛ نقل عرش بلقيس إليه، قال تعالى: {**قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**} [النمل: ٤٠].

وأخيرًا: ما الذي فعله نبي الله سليمان عليه السلام حتى يُعطى هذا الملك العظيم؟!

الجواب: إنها العبودية الحقة التي صرفها سليمان عليه السلام لله تعالى، فقد كان عليه السلام نِعم العبد، قال تعالى: {**وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ ۚ نِعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ**} [ص: ٣٠].

لهذه العبودية التي صرفها سليمان عليه السلام لله تعالى صور كثيرة:

منها: الاستغفار، قال تعالى: {**قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**} [ص: ٣٥].

ومنها: الدعاء، قال تعالى: {**فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**} [النمل:١٩].

ومنها: التسمية، بدأ الكتاب الذي أرسله إلى بلقيس بالتسمية، قال تعالى: {**إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ**} [النمل:٣٠].

ومنها: ردُّ الفضل إلى الله تعالى فيما آتاه من ملك، قال تعالى: {**فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم**} [النمل:٣٦].

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (٦٨)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ**} [النمل: ٩٢]، قال أهل التفسير: "وأن أتلو القرآن على الناس، فمن اهتدى بما فيه واتبع ما جئت به، فإنما خير ذلك وجزاؤه لنفسه، ومن ضلَّ عن الحق فقل -أيها الرسول-: إنما أنا نذير لكم من عذاب الله وعقابه إن لم تؤمنوا، فأنا واحد من الرسل الذين أنذروا قومهم، وليس بيدي من الهداية شيء".

تقدم المعرِضون عن هدى الله تعالى من غير المسلمين في مجال الإعلام في هذا العصر تقدما كبيرا. يعملون من خلاله على صياغة رأي المستهدَفين؛ بترتيب الأولويات التي يريدونها؛ عن طريق قوة التحكم في ركني الإعلام؛ وهما المضمون والعرض (الإخراج).

وكان نتيجة هذا التقدم الإعلامي الكبير لدى غير المسلمين؛ أن بقيت الغالبية العظمى من شعوبهم -تحت تأثير إعلامهم الموجّه- بعيدين عن هدى الله تعالى. أضف إلى ذلك ما حصل من تقصير من بعض المسلمين في دعوة غير المسلمين؛ ظنا منهم أنهم لا يملكون إعلاما قويا ومؤثرا.

كان من المفترض من هذا البعض من المسلمين أن يتدبروا قول الله تعالى: {**وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ**}، ليعلموا من الآية الكريمة أن لديهم كتاب الله تعالى؛ الذي يعلو على أي إعلام -بركنيه؛ المضمون والعرض- ولا يُعلى عليه.

المضمون في الإعلام الدعوي الإسلامي هو أفضل وأرقى مضمون كلام الله تعالى الحكيم العليم، قال الله تعالى -عن كتابه-: {**لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**} [فصلت: ٤٢].

وأمّا عرض المحتوى في الإعلام الدعوي الإسلامي؛ فهو أعظم عرْض، إنه عرْض الله تعالى لدينه بأرقى وأجمل عرْض. حيث كان صلى الله عليه وسلم يأمر صحابته رضوان الله تعالى عليهم -بعد نزول الوحي- أن يضعوا الآيات التي أنزلت في مكانها المأمور به من الله تعالى بين آي الكتاب الكريم؛ ليكون عرض القرآن الكريم عرضا ربانيا بالغ التأثير على الثقلين.

ولذا لم يكن صلى الله عليه وسلم متخوفا من قوة آلة قريش الإعلامية، حيث كان لديها سوق عكاظ وسوق مجنة وسوق ذي المجاز تُلقى فيها القصائد، ولديهم دار الندوة يجتمع فيه حكماء مكة للتشاور في أمورهم، منها مواجهة الدين الجديد الذي يدعو إليه رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم. إنما كان همه صلى الله عليه وسلم أن يبلغ كتاب ربه تعالى، موقنا بقوة تأثير القرآن الكريم على مستمعه وقارئه.. عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعرض نفسه بالموقف، فيقول: **(ألا رجل يحملني إلى قومه؟ فإن قريشا منعوني أن أبلغ كلام ربي)** [صححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٦٧)].

ولنا أن نتعجب من قوة تأثير القرآن على مستمعيه، فهذا الوليد بن المغيرة، لما قرأ الرسول صلى الله عليه وسلم عليه شيئا من القرآن الكريم عاد

إلى قريش ليقول لهم: "والله لقد سمعت منه كلاما ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وما يقول هذا بشر" [تفسير الطبري (٢٤/٢٤)].

بل إن آية واحدة من كتاب الله تعالى؛ لها من التأثير ما لا يعلمه إلا الله تعالى، لذا قال صلى الله عليه وسلم: **(بلغوا عني ولو آية)** [رواه البخاري (٣٤٦١)]. فكيف بإيصال نسخ كاملة مترجمة من القرآن الكريم لغير المسلمين؟!

وأخيرًا: بعد أن تبين لنا أن إعلامنا الدعوي الإسلامي يتمحور حول تبليغ القرآن الكريم، قال تعالى: **{وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ}**. فإن أعظم ما نحتاجه لدعوة غير المسلمين إلى الإسلام: إيصال نسخ مترجمة للقرآن الكريم لهم. واثقين من قوة تأثير القرآن الكريم على الناس. خاصة ونحن في عصر يسّر الله تعالى فيه التواصل بين الناس عن طريق الشبكة العنكبوتية. كما يسّر سبحانه ترجمة معاني كتابه الكريم إلى لغات عِدة؛ على أكثر من موقع في الشبكة العنكبوتية؛ كموقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف؛ على سبيل المثال لا الحصر.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك ...

التأمل رقم (٦٩)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**} [العنكبوت: ٤٠].

سأبين في هذا المقال -بمشيئة الله تعالى- أنواع العذاب الكبير والعظيم؛ الذي لا يمكن للبشر تصوره؛ من شدته وعظمته وقوته، والذي توعد الله تعالى به المكذبين له سبحانه ولرسوله عليه الصلاة والسلام في هذه الدنيا.

والمقال يعالج من جهة أخرى ما يقع لبعض المسلمين من انبهار؛ نتيجة ما يرون لدى غير المسلمين من صناعات وعتاد وسلاح، وكأن لسان حال المنبهر يقول: من يقدر على هؤلاء؟!

وإذا كان بعض المسلمين قد انبهر بما لدى الحضارة الغربية من صناعات؛ فإن الأدهى والأمرّ من ذلك: ظن غير المسلمين أنهم تمكنوا من هذه الأرض؛ يفعلون فيها ما يشاؤون، قال تعالى: {**حَتَّىٰٓ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا**} [يونس: ٢٤]، وقد سمعت من يقول من أهل الحضارة الغربية: "لا يوجد شيء لا نستطيع فعله" -{**كَبُرَتْ كَلِمَةً**

تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا}– بل الله تعالى هو وحده القادر على كل شيء.

ومع أن عذاب الله تعالى للمكذبين به تعالى وبرسوله عليه الصلاة والسلام –في هذه الدنيا– لا يقتصر على أنواع محددة العدد والكيف من العذاب – كما في آية سورة العنكبوت التي هي موضع التأمل في هذا المقال.. ذلك أن الله تعالى له جنود السماوات والأرض، قال تعالى: {**وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا**} [الفتح: ٧]– إلا أن ما جاء في آية سورة العنكبوت هو أنواع من العذاب المعروف وصفه للناس، أمّا شدته وحجمه وخطره؛ فلا عِلم للبشر به إلا بعد وقوعه، ولذا حين رأى قوم شدة عذاب الله تعالى –حين خُسِف بقارون– لم يقولوا أنه كارثة طبيعية، بل قالوا كما في الآية الكريمة: {**لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ**} [القصص: ٨٢].

فدعونا نقف وقفات مع هذه الأنواع الأربعة من عذاب الله تعالى للمكذبين به تعالى وبرسوله عليه الصلاة والسلام:

النوع الأول: {فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا}.

إذا كنا قد رأينا في عصرنا ما تحمله عاصفة رملية من غبار يكاد يعدم الرؤية. فكيف بحجارة من طين منضود؛ تنزل على المكذبين، قال تعالى: {**أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا**}، وقال تعالى: {**فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ**} [الحجر: ٧٤]، قال أهل التفسير: "وأمطرنا عليهم حجارة من طين متصلب متين"؟!

النوع الثاني: {وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ}.

وإذا كان صوت بعض الطائرات الحربية يصمّ الآذان.. فكيف بصوت الصواعق التي يرسلها الله تعالى على الأمم المكذبة، قال تعالى: {**يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ**} [البقرة: ١٩]، وقال تعالى: {**وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ**} [الرعد: ١٣]، فضلا عمّا تحمله الصواعق من تدمير، وقد رأينا مقاطع لحوادث فتكت فيها الصواعق بالناس والمنشآت؟!

النوع الثالث: {وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ}.

وإذا كان الناس يفزعون من مقاطع منتشرة؛ تعرض خسفا بسيطا: عبارة عن حدوث شقوق في أماكن مختلفة في هذه الأرض.. فكيف بالخسف الذي يهلك الله تعالى به الأمم المكذبة، قال تعالى: {**أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ**} [الملك: ١٦]، قال أهل التفسير: "فإذا هي تضطرب بكم حتى تهلكوا"؟!

النوع الرابع: {وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا}.

وإذا كان سونامي قد أثار فزع البشرية.. فكيف بالغرق الذي يهلك الله تعالى به الأمم المكذبة، قال تعالى: {**فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ**} [الزخرف: ٥٥]، وقال تعالى: {**فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ**} [الإسراء: ٦٩]؟!

وأخيرًا: بقي أن نعرف أن لعذاب الله تعالى أجلا لا يتقدم عن وقته لرغبة المستضعفين؛ ولا لتمادي المكذبين.. بل يأتيهم بغتة في الأجل المعلوم، قال تعالى: {**وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**} [العنكبوت: ٥٣].

كما أن هذا العذاب العظيم الذي يصيب الله به الأمم المكذبة في هذه الدنيا؛ مهما بلغت شدته -قال تعالى: {**فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**} [النمل: ٥٢]- فهو لا شيء مقابل عذاب الآخرة، قال تعالى: {**كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**} [القلم: ٣٣].

وعليه؛ فإن أوجب الواجبات على أهل الإسلام أن يحملوا الرحمة في قلوبهم للأمم المكذبة؛ فيكونوا لهم مبشرين ومنذرين؛ يبشرونهم بالجنة إن تابوا، وينذرونهم من عذاب جهنم إن هم أبوا وأعرضوا.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (٧٠)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**} [الروم:٢١].

"أختاه.. وجِّهي أسلحتك الفاتنة التي حباك الله تعالى تجاه زوجك".

فإن الله تعالى قد حبا المرأة من المفاتن -لحكمة بالغة- ما يمكِّنُها من دفع بيت الزوجية -المؤسس على التقوى- إلى النجاح الباهر؛ والفوز الكبير؛ والسعادة في الدنيا والآخرة.

ومفاتن المرأة ليست في جمال الوجه فقط ... فقد خلق الله تعالى المرأة بأكملها كتلة من المفاتن؛ تتحرك في بيت الزوجية الآمن الجميل.. فهي فاتنة بنعومتها، فاتنة بشعرها، فاتنة بصوتها، فاتنة بمشيتها، فاتنة بابتسامتها، فاتنة بنظرة عينيها، فاتنة بضحكتها، فاتنة بعاطفتها، فاتنة في كل شيء؛ من رأسها إلى أخمص قدميها، لا لشيء إلا لفتنة زوجها! لكنها فتنة كفتنة النار للذهب.. ليرقى الزوج بحرارة مفاتن زوجته؛ كما يرقى الذهب بحرارة النار.. فيصبحان -الزوج أو الذهب- أجود وأرقى وأغلى وأكثر تألقا؛ بنار الفتنة التي سلطها الله تعالى عليهما.

لقد عددت نحو عشرة مفاتن وضعها الله تعالى في كيان المرأة حسّاً ومعنىً، وأُعرِّض لذكر غيرها من المفاتن الكُبرى -كما عرّض القرآن والسنة لها- ممّا لا يحسُن التصريح به، وذلك من باب التأدب بتأديب الوحيين لنا، كما في قوله تعالى -في أطهر وأقوى علاقة عاطفية بين الرجل والمرأة-: {**فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ**} [الأعراف: ١٨٩]، وفي السُنَّة المطهرة اختار صلى الله عليه وسلم كلمة عسيلة كناية عن الجماع، قال صلى الله عليه وسلم لامرأة رفاعة: (**أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا، حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته**) [متفق عليه]، ثم تلد له -بقدرة الله تعالى- فتنة خارجة منها، ذرية تشدّه إلى بيته شدا، يزداد بها ارتباطهما ببعض، ليكون أشدّ وأقوى.

تقوم المرأة المؤمنة بتوظيف كل هذه المفاتن في إنجاح مهمة الرجل العظيمة.. ولتستخدمها في إعفاف نفسها وزوجها، وصرف نظره وفكره وباقي قواه تجاه بناء بيته ومجتمعه وأمته نحو الأمن والسعادة والهناء.. كما سيهتم- حبا في فتنتها له بمفاتنها- بكل ما ترغب المرأة في الرجل المسلم.. بدءا بعبادته لربه سبحانه، وتربية أولاده، وكل أمور الحياة الأخرى التي يشتركان فيها، وانتهاء بنظافته وبحسن مظهره وجمال هندامه، تحركها تقواها بمطالبته بكل هذه المطالِب الحميدة.

أيتها الزوجة: أنت صانعة الزوج الفذّ؛ إذا كنت له سكنا.. قال تعالى: {**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**} [الروم: ٢١].

لكن بعض النساء اليوم -هداهن الله وغفر لهن- لا يوجهن سلاح مفاتنهن الوجهة الصحيحة؛ تجاه أزواجهن، إنّما يعتنين بإظهارها -وبقوة-

خارج بيت الزوجية.. في السوق؛ وفي حفلات الزواج؛ وفي مناسبات أخرى.. فتذبل حياتهما الزوجية شيئا فشيئا.. ولربما تنطفئ.

وأخيرًا -هذه للدعابة والتخفيف من طول المقال-: هل سمعنا أن زوجة ذهبت للكوافيرة -مزيّنة شعر النساء ووجوههن- لتتزين فقط لزوجها، ولتسلط عليه أسلحتها الفاتنة الفتاكة؟! قد يوجد.. لكنني لم أسمع به بعد.

لا تستعجلي أختاه المؤمنة الحكم، وتظني أن هذا المقال مال بكفته لصالح الرجل.. لا وألف لا.. لأنك لو عملتِ بما سطرته لك في المقال؛ لملكت زمام قلب زوجك وعقله؛ توجهينه للحق وتدفعينه إليه دفعا لا يقاومه البتة.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك..

التأمل رقم (٧١)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ**} [الروم: ٤٠]. لنقف معا وقفات مع القضايا الأربع المذكورة في هذه الآية الكريمة:

الوقفة الأولى: أن تُقدِّر بشرًا لأن لديه فرص عمل للتوظيف؛ هذا شيء. وأن يستحضر قلبك أن الله خلقك وأوجدك من العدم فتُقدِّره؛ فهذا شيء آخر، قال تعالى: {**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ**}. وشتان شتان بين من سهّل عليك فرصة للعمل؛ وبين من خلقك وأوجدك من العدم.

الوقفة الثانية: أن يكون لك تقدير لمن يعتنون بمزارعهم وماشيتهم؛ حتى تجني منهم ما تحتاجه من المأكول والمشروب؛ هذا شيء. وأن يستحضر قلبك أن الله هو زارع هذه الأشجار وموجدها وغيرها من النعم فتُقدِّره؛ فهذا شيء آخر، قال الله تعالى: {**ثُمَّ رَزَقَكُمْ**}. وشتان شتان بين من يحرث الأرض؛ وبين من ينبت الزرع؛ ويكرمنا ويجود علينا بكافة أنواع النعم.

الوقفة الثالثة: أن تُقدِّر من قد يتسبب لك بضرر؛ فتحتاط له وتحذر منه؛ هذا شيء. وأن يستحضر قلبك أن الله تعالى هو وحده الذي يميتك في أجل محتوم فتُقدِّره؛ فهذا شيء آخر، قال تعالى: {**ثُمَّ يُمِيتُكُمْ**}. وشتان شتان

بين من قد يتسبب في إيقاع الضرر بك؛ وبين من هو قادر على إماتتك وحرمانك من الحياة كلها.

الوقفة الرابعة: أن تُقدِّر الطب والأطباء الذين يصفون لنا الدواء؛ هذا شيء. وأن يستحضر قلبك أن الله تعالى سيحييك بعد أن أماتك فتُقدِّره؛ فهذا شيء آخر، قال تعالى: {**ثُمَّ يُحْيِيكُمْ**}. وشتان شتان بين من جعله الله سببا في شفاء الناس؛ وبين من له القدرة على إحيائك بعد مماتك.

أخيرًا: لا ينبغي أن نمرّ على آية يُبين لنا ربنا فيها أنه سبحانه يخلقنا ويرزقنا ويميتنا ويحيينا؛ ثم لا نزداد تقديرًا لربنا سبحانه وتعالى.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

۞۞۞

التأمل رقم (٧٢)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً**} [لقمان: ٢٠].

نزل أبونا آدم وزوجه عليهما السلام إلى الأرض؛ ليجدا ضخامة وعظمة وكثرة ما سخر الله لهما مما في السماوات والأرض.

لابد أن تتمعن -أيها الإنسان- في حجم هذا التسخير الضخم لك أنت، مخاطبا نفسك قائلا: يا لقدرة الخلاق العظيم؛ الذي أمره بعد الكاف والنون سبحانه، قال تعالى: {**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**} [النحل: ٤٠] فقد سخر لي ما في السماوات وما في الأرض.

هيّا لنتأمل في بعض ما سخره الله تعالى لآدم وزوجه عليهما السلام، وهو ما سخره سبحانه لي ولك ولكل إنسان.

ليس المسخَّر لك خزانا من الماء في بيتك أو محل عملك، ولكنه أكبر من ذلك بكثير؛ وبما لا تستطيع الأرقام أن تعكسه. إنها بحار وأنهار ووديان، قال تعالى: {**وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ**} [الأنعام: ٦]، كما زخرت هذه البحار والأنهار بالحياة البحرية؛ بما لا يحصي عدده إلا الله تعالى. فخاطب نفسك وقل: يا لقدرة الخلاق العظيم.

وليس المسخَّر لك صندوقا من الفاكهة تبتاعه من حلقة الفواكه والخضار. ولكنه أكبر من ذلك بكثير؛ وبما لا تستطيع الأرقام أن تعكسه. إن الله تعالى سخر لك أكثر من نصف مليون نبتة من الأشجار؛ وبما لا يحصيه إلا الله تعالى من الأعداد لكل نبتة من هذه النبتات، قال تعالى: {**يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**} [النحل: ١١] فخاطب نفسك وقل: يا لقدرة الخلاق العظيم.

وليس المسخَّر لك شركة كهرباء تمدّ بالطاقة البلدة التي أنت فيها، ولكنه أعظم من ذلك بكثير. إنهما شمس وقمر يضيئان كوكب الأرض كله، قال تعالى: {**وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا**} [نوح: ١٦].

أخيرًا: لا ينتهي الحديث عن ضخامة وكثرة ما سخر لك خالقك أيها الإنسان. تأمل فيها؛ لأننا بذلك نتعرف على عظمة المسخِّر سبحانه؛ ونرتقي في تقديرنا له سبحانه.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

۞۞۞

التأمل رقم (٧٣)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ**} [لقمان: ٢٢]، قال أهل التفسير: "ومن يُخْلص عبادته لله وقصده إلى ربه تعالى، وهو محسن في أقواله، متقن لأعماله، فقد أخذ بأوثق سبب موصل إلى رضوان الله وجنته. وإلى الله وحده تصير كل الأمور، فيجازي المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته".

يتسابق أهل الهمم -في عصر صار شعاره: العلم طريق النجاح- إلى نيل أعلى الدرجات العلمية، ويلتحقون -لأجل ذلك- بأعرق وأشهر الجامعات.. موقنين أن ذلك هو السبيل الأفضل والأميز لضمان مستقبل وظيفي آمن وكريم.. وهذا أمر جيد وحسن.

غير أن هناك درجة شرف عليا، لا تضاهيها درجة أخرى في الشرف والعلو، يمنحها رب السماوات والأرض للمؤمن، لتكون مفتاح النجاح والسعادة له في الدنيا والآخرة.

ولكونها أعلى درجة يمكن أن ينالها إنسان على وجه هذه الأرض؛ فقد اشترط مانح هذه الشهادة -الله تعالى جل جلاله- لمن وفقه لنيلها؛ أن يسير في هذه الدنيا وفق منهج علمي وعملي؛ واضح المعالم؛ بيّن الأركان.

فأمّا المنهج فهو في قوله تعالى: {**وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ**}؛ يتمسك به الإنسان طوال حياته.. لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ عالما بمعناها؛ وعاملا بمقتضاها، إذ هو أعظم منهج يوصل إلى أعلى شهادة يتمناها البشر.

وأمّا الشهادة التي يحصل عليها السائر على هذا المنهج القويم؛ فهي من خالق الكون سبحانه، عنوانها: {**فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ**}.

والعروة الوثقى: هي أعظم سبب موصل إلى رضوان الله تعالى وجنته.

وأمّا أثر هذا الاستسلام لله رب العالمين في هذه الدنيا؛ فهنا مثال لإمام من عصرنا؛ الشيخ ابن باز رحمه الله، قال: "لما فقدت بصري وأنا صغير سمعت خالتي تقول لأمي وظنتني نائمًا: مسكين عبدالعزيز كيف سيحصل على عمل يعيش منه"[كتاب: فتاوى ومسائل في الحج لابن باز–جمع عبدالرحمن الهرفي (ص: ٢)]، وكلنا يعلم كيف عاش رحمه الله؛ مسلما وجهه لله تعالى، محسنا في قوله وعمله، غني النفس، قد رفع الله ذكره بين الناس، وأسأل الله تعالى أن يسكنه الفردوس الأعلى من الجنة.

وحُق لنا بعد ذلك أن نتباهى فنقول: أي جامعة تعلو على جامعة القرآن الكريم والسنة المطهرة؟!

وأي شهادة تعلو على شهادة الملك الديان؟!

وأخيرًا: من رحمة الله تعالى بالمؤمنين أن يسر لهم أزمنة شريفة يزدادون فيها استسلاما لله تعالى، وإحسانا في القول والعمل، واستمساكا بالعروة الوثقى، من ذلك: عشر ذي الحجة؛ أفضل أيام الدنيا، قال صلى الله عليه وسلم: (**ما مِن أيَّامٍ العمَلُ الصَّالحُ فيهنَّ أحبُّ إلى اللَّهِ مِن هذهِ الأيَّامِ العَشر** فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ ولا الجِهادُ في سبيلِ اللَّهِ؟ فقالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ

وسلَّمَ: **ولا الجِهادُ في سبيلِ اللَّهِ إلَّا رجلٌ خرجَ بنفسِهِ ومالِهِ فلم يرجِعْ من ذلِكَ بشيءٍ)** [رواه البخاري (٩٦٩)].

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك..

التأمل رقم (٧٤)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ**} [السجدة: ٧].

لأن الله تعالى أحسن الخالقين -كما قال تعالى: {**فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**} [المؤمنون: ١٤]- فإنه سبحانه إذا خلق شيئا أحكمه وأتقنه من أول مرة: {**أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ**}، أمّا البشر، فإنهم إذا صنعوا شيئا؛ أخذوا في تطويره المرة تلو الأخرى.

والتأمل في الإتقان الذي خلق الله تعالى به كل ما خلق سبحانه -كما قال تعالى: {**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**} [النمل: ٨٨]- باب عظيم من أبواب عبادة التفكر التي وجهنا الله تعالى إليها في كثير من آي الكتاب الكريم.

من أمثلة ذلك: أتقن ربنا سبحانه وتعالى عملية خلق الجنين في بطن أمه؛ منذ خلق أول جنين، ولم يحتج سبحانه إلى تطويرها، قال تعالى: {**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا**} [الحج: ٥].

ومن أمثلة ذلك: أتقن ربنا سبحانه وتعالى عملية إخراج اللبن من بهيمة الأنعام -تلك العملية الإعجازية- منذ خلق بهيمة الأنعام، ولم يحتج سبحانه إلى تطويرها، قال تعالى: {**وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ**} [النحل: ٦٦].

أخيرًا: عملية التمثيل الضوئي في النبات -تلك العملية الإعجازية- أتقنها الله تعالى في النباتات منذ خلقها، ولم يحتج سبحانه إلى تطويرها، قال تعالى: {**وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا**} [الأنعام: ٩٩].

وحتى التأمل فيما لم يذكر الله تعالى في كتابه الكريم -ممّا لا يُحصى من المخلوقات- تجد الإتقان سمة منذ أوجدها الخلاق العليم.

فسبحان الله أحسن الخالقين!

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك..

التأمل رقم (٧٥)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**} [الأحزاب: ٢١]. كلما قرأ المسلم هذه الآية الكريمة تساءل:

كيف لا يعرف الناس أجمعون -وليس المسلمون فقط- سيدهم وسيد العالم كله؛ عربهم وعجمهم، أبيضهم وأسودهم، صغيرهم وكبيرهم، وذكرهم وأنثاهم؟! قال صلى الله عليه وسلم: (**أَنَا سَيِّد وَلَد آدَم وَلا فَخْرَ**) [صححه الألباني في صحيح الترمذي (٣١٤٨)].

كيف لا يعرف الناس أجمعون -وليس المسلمون فقط- من أخذ الله تعالى له ميثاق أصفياء خلقه -جميع الأنبياء عليهم السلام وأممهم- أن يؤمنوا به وينصروه؟! قال تعالى: {**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ**} [آل عمران: ٨١]، وهو ميثاق مسطور في كتب أهل الكتاب بصيغ التبشير بقدومه صلى الله عليه وسلم.

كيف لا يعرف الناس أجمعون -وليس المسلمون فقط- من سيعطيه الله تعالى يوم القيامة أرفع مقام في الآخرة -المقام المحمود- ليشفع في أهل الموقف حتى يُقضى بينهم، قال الله تعالى: {**عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا**} [الإسراء: ٧٩]؟! يقول الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة الطويل: (**يا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وقُلْ: يُسْمَعْ لَكَ، وسَلْ تُعْطَهْ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ**) [متفق عليه].

كيف لا يعرف الناس أجمعون -وليس المسلمون فقط- من رفع الله ذكره مع ذكره سبحانه في الأذان والإقامة؟! حتى أسمع الله تعالى اسمه الناس في كل الأمصار؛ "أشهد ألا إله إلا الله.. وأشهد أن محمدا رسول الله".

كيف لا يعرف الناس أجمعون -وليس المسلمون فقط- من تُرَدُّ عليه روحه ليرُد على من سلم عليه؟! قال صلى الله عليه وسلم: (**ما من أحدٍ يسلِّمُ عليَّ إلَّا ردَّ اللَّهُ عليَّ روحي حتَّى أردَّ عليْهِ السَّلامَ**) [حسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٨٨٥)]. مع اعتقادنا نحن أهل السنة والجماعة أن حياة البرزخ لا يعلم كنهها إلا الله تعالى.

أخيرًا: نبينا -صلوات ربي وسلامه عليه- له كل ما مر معنا من الخصائص؛ وغيرها الكثير. كيف نُعرِّف العالم به صلى الله عليه وسلم؟!

الجواب: حريٌّ بالمسلمين أن يحفظوا قول الله تعالى: {**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**}، ويجعلوا من معناها منهاجا لحياتهم؛ يشيب عليه الصغير، ويهرم فيه الكبير؛ حتى يعلم العالم كله -من خلال عبادة وتعامل أتباع محمد صلى الله عليه وسلم- عظمة وفضل خاتم النبيين وسيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم، وما خصه الله تعالى به من خصائص عِظام.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك..

التأمل رقم (٧٦)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**} [الأحزاب: ٣٥].

حُق لهذه الآية الكريمة أن يرددها المسلم في وجه كل مبغض لما شرعه رب العالمين من أحكام للمرأة؛ تراعي طبيعتها.

إنها آية تؤكد أن النساء شقائق الرجال في أعظم الموضوعات العقدية والعملية؛ التي كرّم الله تعالى بها البشرية.

وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم: (**النساء شقائق الرجال**) [صححه الألباني في صحيح الجامع (١٩٨٣)]، قال الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى: "فالمعنى والله أعلم أنهن مثيلات الرجال فيما شرع الله، وفيما منح الله لهن من النعم، إلا ما استثناه الشارع فيما يتعلق بطبيعة المرأة وطبيعة الرجل" [موقع الشيخ على النت https://bit.ly/٣liwz٣٧].

والسؤال: لماذا اخترت الكتابة عن هذا الموضوع: "النساء شقائق الرجال"؟؟! وما علاقة آية سورة الأحزاب الكريمة به؟؟!

الجواب: اخترته؛ لأن مبغضي الإسلام من غير المسلمين –خاصة في هذا العصر– جعلوا من موضوع المرأة هدفا للطعن في الإسلام. وأسموا ما جاء في كتاب الله تعالى المبين وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم المطهرة؛ من أحكام ربانية للمرأة؛ مراعية طبيعتها أسموه بالخطاب الذكوري، أي المنحاز إلى الرجال.

وجهلوا أو تجاهلوا آية سورة الأحزاب العظيمة التي أطلقت باب التنافس بين الرجال والنساء في أعظم الموضوعات العقدية والعملية؛ التي تسعدهم في الدنيا والآخرة. ومن جهة أخرى كأنما الآية الكريمة تردد عشر مرات أن النساء شقائق الرجال.

لقد أطلقت الآية الكريمة التنافس بين الرجال والنساء في الارتقاء في درجات العبودية لله تعالى بالإسلام والإيمان والقنوت؛ {**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ**}.

وأطلقت التنافس بين الرجال والنساء في نيل حُسن الخلق بالتحلي بصفتين عظيمتين: الصدق والصبر؛ {**وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ**}.

وأطلقت التنافس بين الرجال والنساء في استحضار رقابة الله تعالى بالخشوع له سبحانه؛ {**وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ**}.

وأطلقت التنافس بين الرجال والنساء في الإحسان للآخرين بالصدقات؛ المفروضة والنافلة؛ {**وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ**}.

وأطلقت التنافس بين الرجال والنساء على نيل التقوى بالصيام لله تعالى؛ المفروض منه والنافلة؛ {**وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ**}.

وأطلقت التنافس بين الرجال والنساء على المحافظة على العفاف بغض البصر وحفظ الفرج؛ {**وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ**}.

وأطلقت التنافس بين الرجال والنساء في أن يكون اللسان رطبا بذكر الله تعالى؛ {**وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ**}.

إنه تنافس بين الرجال والنساء ينتهي بدخول جنة عرضها السماوات والأرض، قال تعالى -في آخر آية سورة الأحزاب-: {**أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا**}، وقال تعالى -في التنافس على نعيم الجنة-: {**خِتَامُهُ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**} [المطففين: ٢٦].

ألا إن النساء -حقا- شقائق الرجال؛ كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم. ولهن حق منافسة الرجال فيما أجاز الله لهن؛ كما بينته آية سورة الأحزاب وغيرها من الآيات الكريمات. وأمّا السنة المطهرة؛ فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شُعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شُعبة من الإيمان**) [رواه مسلم (٥٧)]، وكل هذه الشُّعب مكان للتنافس بين الرجال والنساء.

وأخيرًا: إن الذي أعمى هؤلاء من مبغضي الإسلام من غير المسلمين -الذين يطعنون في أحكام خصها الله تعالى للنساء- هو عمى بصائرهم؛ وليس أبصارهم، فهم يَرَوْن -بلا أدنى شك- اختلاف طبيعة المرأة عن الرجل، قال تعالى: {**فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**} [الحج: ٤٦].

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك..

التأمل رقم (٧٧)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ قَالُوا الْحَقَّۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**} [سبأ: ٢٣]، قال أهل التفسير: "ومن عظمته وجلاله عز وجل أنه إذا تكلم سبحانه بالوحي فسمع أهل السماوات كلامه أُرعدوا من الهيبة، حتى يلحقهم مثل الغشي، فإذا زال الفزع عن قلوبهم سأل بعضهم بعضًا: ماذا قال ربكم؟ قالت الملائكة: قال الحق، وهو العليُّ بذاته وقهره وعلوِّ قدْره، الكبير على كل شيء".

نقف مع هذه الآية الكريمة متأملين ومتدبرين:

لفتت الآية الكريمة -{**حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ**}- إلى حالة الغشي التي يكون عليها أهل السماوات؛ وهم يسمعون الرب العظيم وهو يتكلم كلاما يليق بجلاله سبحانه.

ولذلك ينبغي أن يكون أعظم ما يشدّ المؤمن إلى قراءة القرآن الكريم، وحفظه كاملا، أو حفظ سور منه، والعمل به؛ هو إيمانه أن الله تعالى تكلم بهذا القرآن.

فنحمدالله تعالى حمدًا كثيرًا أن جعلنا من أهل السنة؛ الذين يثبتون لله صفة الكلام -بما يليق بجلاله- بدون تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل ولا تشبيه.

كما نحمده سبحانه أن أكرم المؤمنين -حتى الأمي العامي منهم- بفرض قراءة شيء من كلامه سبحانه -سورة الفاتحة- في كل ركعة، وجعلها ركنا من أركان الصلاة.

وإذا جمع المسلم عند تلاوته للقرآن الكريم أو سماعه له بين إيمانه بأن ما يتلوه هو كلام؛ تكلم به رب العالمين، مع تدبره لكلام ربه، إذا جمع بينهما المسلم فإنه -بلا شك- يحصل له من تعظيم الله تعالى القدر الكبير.

مثال: أي قدر من التعظيم لله تعالى يحصل في قلب من يؤمن بأن الله تعالى تكلم بهذا القرآن؛ إذا قرأ -متدبرا- ما تكلم به ربه العظيم؛ في هذه الآية الكريمة: {**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ الْحَقُّ ۚ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ۚ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ**} [الأنعام: ٧٣]؟! لا شك سينشأ في قلبه من التعظيم لله تعالى القدر الكبير.

وأخيرًا: فإن ممّا زاد أهل القرآن غبطة وسرورا؛ أنهم سيُدعون إلى ترتيل ما تكلم به الله تعالى -القرآن الكريم- هناك في الآخرة، في محفل رباني، قال صلى الله عليه وسلم: (**يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ، كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا**) [صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٤٠)] فأي شرف يتطلع إليه حملة كتاب الله تعالى؛ العاملين به؛ أعظم من هذا الشرف؟!

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك..

التأمل رقم (٧٨)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ**} [سبأ: ٤٩]، قال أهل التفسير: "قل -أيها الرسول-: جاء الحق والشرع العظيم من الله، وذهب الباطل واضمحلَّ سلطانه، فلم يبق للباطل شيء يبدؤه ويعيده". وعن ابن مسعود رضي الله عنه: "أي لم يبق للباطل مقالة ولا رياسة ولا كلمة"[تفسير ابن كثير (٥٢٧/٦)].

إذن ليس معنى قوله تعالى: {وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ}؛ أن الباطل لا يمكنه بدء الخلق ثم إعادته، كما في قوله تعالى: {**أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ**} [النمل: ٦٤]، فمعلوم أن الباطل لا يقدر على خلق ومنح الحياة لأي شيء. إنما المعنى في قوله تعالى: {**وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ**}؛ أي ليس للباطل -بعد مجيء الحق- كلمة ولا وزن، وهو فارغ شكلا ومضمونا.

{**قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ**}: هذا ما ينبغي للمسلم أن يعتقده نحو دين الإسلام؛ الذي ما إن جاء به سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم؛ حتى فضح عوار وضحالة كل التشريعات الموجودة على وجه الأرض، منذ بعثته صلى الله عليه وسلم وحتى قيام الساعة.

هذا وإن من أعظم ما يملأ قلب المؤمن ثقة ويقينا أن شريعة الإسلام هي الأعلى وما دونها من التشريعات باطل؛ هو معرفته أن الإسلام -الذي هو دين للبشر- جاء من خالق البشر سبحانه، قال تعالى: {**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ**} [البقرة: ٢١]. فكيف والله تعالى يعلم حال الإنسان منذ كان نطفة، قال تعالى: {**إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا**} [الانسان: ٢]؟!

كذلك مما يملأ قلب المؤمن ثقة ويقينا أن شريعة الإسلام هي الأعلى قول الله تعالى: {**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**}. فقد أجمع العقلاء أن من يصنع جهازا من الأجهزة؛ هو بلا ريب أعلم الناس بصيانته؛ وإصلاحه إذا عطب. فكيف بمن خلق الإنسان؟! إنه تعالى بلا ريب أعلم بِما يصلح حاله في الدنيا والآخرة؛ فيأمره وينهاه.

وأخيرا: تذكر أخي المسلم -وأنت تردد في نفسك أن الإسلام هو الحق؛ وأن شِرعة الله هي الأحكم وما عداها من التشريعات باطل- تذكر أن غير المسلمين بحاجة ماسة إلى ثقافة: أن الذي يخلق هو الذي يأمر، قال تعالى: {**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ**}، فهلا نشرنا هذه الثقافة بينهم.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك..

التأمل رقم (٧٩)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ**} [الصافات:٥]، وقال تعالى: {**فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ**} [المعارج: ٤٠]، قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "والمراد بآية الجمع: مشارق الشمس ومغاربها، باعتبار مشرقها ومغربها كل يوم، لأن كل يوم لها مشرق ومغرب غير مشرقها ومغربها بالأمس، أو أن المراد بالمشارق والمغارب مشارق النجوم والكواكب والشمس والقمر" [فتاوى نور على الدرب (٥/٢)].

نقف مع هاتين الآيتين الكريمتين متأملين ومتدبرين:

يذهلنا شروق وغروب الشمس والقمر، فكيف بشروق وغروب ترليونات النجوم، {**فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ**}؟!

ولعظمة غروب وشروق النجوم؛ فقد أقسم الله تعالى بهذه الظاهرة، قال تعالى: {**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ**} [النجم: ١]، قال أهل التفسير: "أقسم الله تعالى بالنجوم إذا غابت". فكيف عساها تكون عظمة شروق وغروب ترليونات النجوم؟!

ألا ما أعظم الالتفات إلى السماء؛ والحديث عن عظيم ما فيها من إبداع الخلاق العليم؛ في دعوتنا إلى الله تعالى! فهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام؛

التفت إلى ظاهرة شروق وغروب الشمس ليحاج عدو الله النمرود، قال تعالى: {**قَالَ إبراهيم فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**} [البقرة: ٢٥٨]، فكيف عساه يكون أثر كلامنا؛ في دعوتنا إلى الله تعالى؛ عن شروق وغروب ترليونات النجوم؟!

وقد سمى الله تعالى نجما من النجوم في القرآن الكريم، قال تعالى: {**وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ**} [النجم: ٤٩]، قال أهل التفسير: "وأنه سبحانه وتعالى هو رب الشِّعْرى، وهو نجم مضيء، كان بعض أهل الجاهلية يعبدونه من دون الله".

يقول أهل الاختصاص من الفلكيين: إن نجم الشعرى يكبر شمسنا بمرتين. كما قالوا: إن هناك نجما في مجرتنا؛ مجرة التبانة، يكبر الشمس بخمسة مليارات مرة.. سبحان الله الخلاق العظيم.

إن الذي يمسك بهذه الترليونات من النجوم أن تقع على الأرض هو الله تعالى العلي الكبير: قال تعالى: {**وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ**} [الحج: ٦٥]، وقال تعالى: {**إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا**} [فاطر: ٤١].

وأخيرًا: هناك مادة علمية شيقة معروضة في مواقع مخصصة عن الفلك وعلومه، حري بالمسلمين أن يتصفحوها، ليستفيدوا ويفيدوا؛ في مجال تعظيم خالق الشمس والقمر والنجوم؛ الخلاق العليم.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك..

التأمل رقم (٨٠)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ • بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ**} [الصافات: ٢٥-٢٦]، قال أهل التفسير: "ويقال لهم توبيخًا: ما لكم لا ينصر بعضكم بعضًا؟ بل هم اليوم منقادون لأمر الله، لا يخالفونه ولا يحيدون عنه، غير منتصرين لأنفسهم".

مما وجه القرآن الكريم النبي صلى الله عليه وسلم أن يخوف به أعداء الإسلام؛ هو عدم قدرتهم يوم القيامة على التناصر؛ الذي كانوا يجيدونه في الدنيا بتأليب وتحزيب بعضهم بعضا لمواجهة وحرب الحق الذي جاء به الإسلام، قال تعالى: {**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**} [الأنفال: ٧٣].

ذلك أن تخويف أعداء الإسلام بالغيبيات؛ وخاصةً أهوال يوم القيامة -حتى وإن جحدوا بها في الظاهر؛ مع استيقانهم بها باطنا، قال تعالى: {**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا**} [النمل: ١٤]- تخويف أعداء الإسلام بالغيبيات منهج قرآني عظيم؛ يبعث الثقة ويعزز الثبات في نفوس المؤمنين، ويرعب أعداء الإسلام ويتوعدهم بعذاب أليم.

وعليه؛ فلن ينفع المتحزبين الذين تحزبوا في غزوة الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين؛ لن ينفعهم ذلك التحزب يوم القيامة، ولن يستطيعوا نصر بعضهم بعضا؛ {**مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ**}.

ولن ينفع المتحزبين في الحروب الصليبية ضد المسلمين؛ لن ينفعهم ذلك التحزب يوم القيامة، ولن يستطيعوا نصر بعضهم بعضا؛ {**مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ**}.

ولن ينفع المتحزبين -مستقبلا- ضد الإسلام والمسلمين؛ لن ينفعهم تحزبهم يوم القيامة، ولن يستطيعوا نصر بعضهم بعضا؛ {**مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ**}.

لقد فات مُسعِّري الحروب ومؤججيها ضد الإسلام والمسلمين في هذه الدنيا؛ أن يحسبوا في خططهم الاستراتيجية -التي أصمّوا بها الآذان- حسابا ليوم قال الله تعالى فيه: {**يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ • وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ • وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ • وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ**} [المعارج: ١١-١٤]، وذلك بالاستسلام لله رب العالمين.

وأخيرًا: لم يكتف القرآن الكريم بحرمان أعداء الإسلام والمسلمين يوم القيامة -بسبب ما هم فيه من عذاب- من التناصر فيما بينهم: {**مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ**}، بل زاد على ذلك بأن منعهم سبحانه من مواساة بعضهم بعضا وهم في العذاب، كما يواسي أهل الدنيا بعضهم بعضا عند حلول المصائب -وذلك لانشغال كل مُعَذَّب بعذابه الأليم في النار- قال تعالى: {**وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ**} [الزخرف: ٣٩]، قال الإمام القرطبي في تفسير الآية: "أعلم الله تعالى أنه منع أهل النار التأسي كما يتأسى أهل المصائب في الدنيا، وذلك أن التأسي يستروحه أهل الدنيا فيقول

أحدهم: لي في البلاء والمصيبة أسوة؛ فيسكن ذلك من حزنه؛ كما قالت الخنساء:

فلولا كثرة الباكين حولي •• على إخوانهم لقتلت نفسي

وما يبكون مثل أخي ولكن •• أعزي النفس عنه بالتأسي

فإذا كان في الآخرة لم ينفعهم التأسي شيئا لشغلهم بالعذاب" انتهى كلامه رحمه الله [تفسير القرطبي (٩١/١٦)].

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (٨١)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ**} [ص: ٦٦].

تُختم بعض آيات القرآن الكريم -التي تتحدث عن ملك الله تعالى للسماوات والأرض وما بينهما- تُختم باسم الله تعالى الغفور أو الغفّار، قال تعالى: {**رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ**} [ص: ٦٦]، وقال تعالى: {**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ**} [الزمر:٥]، وقال تعالى: {**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا**} [الإسراء:٤٤]، وقال تعالى: {**تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**} [الشورى:٥]، وغيرها من الآيات.

نقف مع هذه الآيات الكريمات وقفتين، متأملين ومتدبرين:

الوقفة الأولى: لو افترضنا أن ثريا من الأثرياء؛ بلغت مساحة ما يملكه من عقار ما يقارب مساحة قارة من القارات على هذه الأرض. وبلغ رصيده في البنوك عشرات التريليونات من الدولارات.

السؤال: كيف يكون عفو هذا الثري عن رجل سرق من إحدى حدائقه بضع حبات من التفاح؛ يسد بها جوعته وجوعة أهله. لا يشك العقلاء أنه سيصفح عنه وعن سرقته التي لم تنقص من ممتلكاته شيئا يذكر؟!

لله المثل الأعلى سبحانه.. لا شك أنه لا مقارنة البتة بين ما يملكه ذلك الثري من مساحة يسيرة على يابسة هذه الأرض -لا يملك إمطار مائها، ولا إنبات شجرها، ولا خلق أنعامها- وبين مُلك ربنا تعالى للأرضين السبع والسماوات السبع وما فيهما، قال تعالى: {**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ**} [الطلاق: ١٢]، وقال تعالى: {**وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا**} [المائدة: ١٧] وعليه فلا مقارنة البتة بين مغفرة الله تعالى وعفو ذلك الثري. إنها المغفرة الواسعة لمن يملك السماوات والأرض وما بينهما، قال تعالى: {**رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ**}، وقال تعالى: {**إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ**} [النجم: ٣٢].

إنه الغني سبحانه مالك السماوات والأرض، يدعو الموحدين إلى التوبة والاستغفار؛ حتى لو بلغت ذنوبهم عنان السماء، قال تعالى في الحديث القدسي: (**يا ابن آدم، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم، لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني، غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا، لأتيتك بقرابها مغفرة**) [حسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٣٨)].

إنه الغني سبحانه مالك السماوات والأرض، يدعو الموحدين إلى التوبة والاستغفار؛ وعدم القنوط من رحمته سبحانه، فهو وحده القادر على محو جميع الذنوب لعباده أجمعين، قال تعالى: {**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**} [الزمر: ٥٣].

إن الفرق كبير بين من يعرف –من الموحدين– سعة عفو الله تعالى وسعة مغفرته –من كتاب ربه، ومن أحاديث نبيه صلى الله عليه وسلم، فيُقبِل على الله تعالى ويستغفره، محسنا الظن به سبحانه– وبين من لا يعرف ذلك؛ فيضعف لديه حسن الظن بربه –واسع المغفرة– وقد يزله الشيطان إلى اليأس من رحمة الله تعالى.

الوقفة الثانية: هذا الثري –الذي افترضناه آنفا– جاءه سارق التفاح ومعه ألف من الوجهاء؛ كلهم يطلبون العفو عنه. أيضا لا يشك أحد أن الثري سيقدر مجيء هذا العدد الكبير، وسيعفو عن السارق لا محالة.

لله المثل الأعلى.. أنت أيها المؤمن الموحد –الكريم على الله تعالى– لن يستغفر لك عدد من الناس فقط، بل يستغفر لك سكان السماوات السبع؛ الملائكة الكرام؛ الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ولا يحصي عددهم إلا الخلاق العظيم، قال تعالى: {**وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**} [الشورى: ٥].

وأخيرًا: هكذا أراد الله تعالى للمؤمنين الموحدين؛ أن يستشعروا عظيم مُلكه تعالى وسعة مغفرته. مُلكه سبحانه الذي لا تُنقِص ذنوب المستغفرين ولا حاجات السائلين منه شيئا؛ إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر.

وأن يفرحوا باستغفار الملائكة الكرام لهم، ومنهم حملة عرش الرحمن سبحانه؛ الذين يستغفرون للذين آمنوا، ويسألون الله تعالى أن يدخلهم جنات عدن التي وعدهم، قال تعالى: {**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ • رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**} [غافر: ٧-٨].

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك..

۞۞۞

التأمل رقم (٨٢)

نواصل –بتوفيق الله تعالى– التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ**} [الزمر: ٤٧].

يقول الدكتور محمد نصحي إبراهيم عن استشراف المستقبل، في بحثه المعنون "نشأة الدراسات المستقبلية وتطورها"، يقول: استشراف المستقبل: "علم جديد يحاول وضع احتمالات محتملة الحدوث، كما يهتم بدراسة المتغيرات التي تؤدي إلى حدوث هذه الاحتمالات وتحقيقها، فعلم المستقبل يهدف إلى رسم صور تقريبية محتملة للمستقبل بقدر المستطاع".

لكن الآية الكريمة التي نزلت قبل أربعة عشر قرنا –والتي هي مكان التأمل في هذا المقال، وخاصة قوله تعالى: {**وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ**}، قال أهل التفسير: "وظهر لهم يومئذٍ من أمر الله وعذابه ما لم يكونوا يحتسبون في الدنيا أنه نازل بهم"– أشارت الآية الكريمة إلى أن الإنسان لابد أن يحسب حسابا للمستقبل. وهذا يعني أن استشراف المستقبل أمر كبير في الإسلام؛ وليس علما جديدا. وخاصة استشراف أهم وأعظم مستقبل: مستقبل الإنسان في آخرته؛ الذي هو موضوع سعادته في الدنيا والآخرة.

الآية الكريمة تخاطب غير المسلمين.. والسؤال الذي يطرح نفسه: ما الخلل الكبير الذي أوقع غير المسلمين في هذا الفشل الذريع والخسران الفظيع والعذاب الأليم في الآخرة؟!

الجواب: الخلل؛ هو أنهم في الوقت الذي يجتهدون فيه -أفرادا ومجتمعات- لاستشراف مستقبل دنياهم؛ فيعقِدون وِرش العمل؛ ويقومون بالتحليل البيئي لرسم الخطط الاستراتيجية؛ لاستشراف مستقبل عشرات الموضوعات البيئية والاقتصادية والفكرية والأمنية والصحية وغيرها كثير -وهذا في الإسلام أمر مطلوب ومحمود ولا جدال فيه؛ بل هو من فروض الكفايات؛ التي لو لم يقم بها أهل الاختصاص لأثِم المسلمون جميعا- في الوقت الذي نجد فيه غير المسلمين يخططون لاستشراف مستقبل دنياهم؛ نجدهم لا يضعون في حساباتهم رضا الله تعالى ورجاء جنته؛ بتبني الحلال والنأي عن الحرام.

وغير المسلمين داخلون معنا في ضرورة الاستسلام لله تعالى؛ وطاعته سبحانه وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولذا سيتحسرون يوم القيامة -وهم في النار- على عدم طاعة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: {**يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا**} [الأحزاب: ٦٦]، وهي الطاعة التي تعينهم على الاستشراف الصحيح لمستقبلهم الأخروي.

وقد بين صلى الله عليه وسلم بُغض الله تعالى لمن يجتهد لدنياه ولا يستشرف ولا يحسب حسابا لآخرته، قال صلى الله عليه وسلم: (**إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ كُلَّ جَعْظَرِيٍّ جَوَّاظٍ سَخَّابٍ بِالْأَسْوَاقِ جِيفَةٍ بِاللَّيْلِ حِمَارٍ بِالنَّهَارِ عَالِمٍ بِأَمْرِ الدُّنْيَا جَاهِلٍ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ**) [صحح إسناده شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان(٧٢)].

بل أدت لا مبالاة غير المسلمين باليوم الآخر وعدم استشرافهم له؛ إلى الشك فيه وعدم استيقانهم بوقوعه، قال تعالى: {**وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ**} [الجاثية: ٣٢].

وفي المقابل نجد أنفسنا نحن أهل الإسلام -أفرادا ومجتمعات- نستشرف مستقبلنا الأخروي، وتتوق نفوسنا إليه؛ من خلال اتباع نصوص الوحيين في التخطيط لكافة مجالات الحياة، ليجزينا سبحانه على هذا الاتباع -كما وعد- مستقبلا آمنا في جنات النعيم، قال تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ • أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**} [الأحقاف: ١٣-١٤]، وقال صلى الله عليه وسلم -فيما يدل على أهمية العمل للفوز مستقبلا بجنات النعيم-: (**من خاف أدلجَ ومَن أدلج بلغ المنزلَ ألا إن سلعةَ اللهِ غاليةٌ ألا إن سلعةَ اللهِ الجنةُ**) [صححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٤٥٠)].

ولا يكتفي المتقون باستشراف مستقبلهم الأخروي فقط، بل يقوموا بنُصح الغافلين؛ بأن يحسبوا للآخرة حسابها، قال تعالى -حكايةً عن مؤمن آل فرعون-: {**يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ**} [غافر: ٣٩].

وأخيرًا: إنها الحسرة والندامة يوم القيامة -{**وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ**}[سبأ ٣٣]- التي ستُقطِّع قلوب غير المسلمين؛ الذين ما حسبوا للآخرة حسابها، ولم يدخلوها في استشرافاتهم المستقبلية، قال تعالى: {**وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ**}.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (٨٣)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ**} [غافر: ١٠].

سؤال: ما أعظم ما مقت الله تعالى به الكافرين؟

فإن الله تعالى كما بين لنا في كتابه الكريم؛ المقت والتوبيخ الذي يصِم الكفار به أنفسهم يوم القيامة؛ حين يَرَوْن الحق الذي كانوا يوعدون:

يا ليتني - كنت ترابا.

يا ليتني - قدمت لحياتي.

يا ليتني - لم أوتَ كتابيه.

يا ليتني - لم أتخذ فلاناً خليلاً.

يا ليتنا - أطعنا الله وأطعنا الرسول.

يا ليتني - اتخذت مع الرسول سبيلا.

كذلك بين لنا سبحانه مقته العظيم للكافرين؛ في خمس كلمات، هي قوله تعالى: {**إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ**}.. جاءت هذه الكلمات في نهاية الآية العظيمة من سورة غافر، الآية التي ذكر الله تعالى فيها مقته الكبير

للكافرين، قال تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ**} [غافر: ١٠].

فما معنى هذا المقت، وما معنى قوله تعالى: {**إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ**}؟!

قد يظن ظان أن دعوة الكفار إلى الإيمان مقتصرة على دعوتهم بالكلام؛ كقول المسلم لغير المسلم: قل لا إله إلا الله.

لكن الحقيقة أن دعوة الكافر إلى الإيمان بالله العظيم شملت ذلك، وتشمل أيضا مليارات الآيات العظيمة في السماوات والأرض؛ التي يمرون عليها مرورا عابرا وغبيا، قال تعالى: {**وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ**} [يوسف: ١٠٥].

وإليك أخي المسلم شرحا لهذا الغباء في النظر لآيات الله المبثوثة في السماوات والأرض؛ لتعرف استحقاقهم لمقت الله الكبير لهم، ثم خلودهم في نار جهنم وبئس القرار.

يمر الكافر في الدنيا على آية من آيات الله العظيمة؛ مثل خلق الله تعالى للنبات، فلا يدعوه ذلك للانبهار بعظمة الله ومن ثم الإيمان به.. وإنما ينظر إلى ما صنعت يداه من آلات وعربات تعينه على بذر وسقي وحصد هذا الزرع؛ فينبهر بها ... ألا ما أغباه من مرور على مثل هذه الآية العظيمة. فاستحق بذلك مقت الله له.. {**إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ**}.

وقل مثل ذلك في الماء.. كيف كان الكافر في الدنيا يُعجب ويتفاخر بانبهار؛ أن عمِل على نقل المياه وتخزينها واستخدامها في كثير من حاجات الحياة؛ ولا ينبهر بخالق هذا الماء ومنزله؛ والذي جعل منه كل شيء حي.. ألا

ما أغباه من مرور على آية خلق الله للماء. فاستحق بذلك مقت الله له.. {**إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ**}.

وقل مثل ذلك عن كل آية من الآيات التي لا تعد ولا تحصى.. كيف يمر عليها الكافر بغباء وتناقض؛ بين إعجابه وانبهاره بما صنع هو؛ وغفلته عن صنع أحسن الخالقين؟! كيف يتجاهل الآيات العظيمة وخالقها العظيم؛ مع أن فضوله يدفعه دائما إلى السؤال عن كل إبداع جميل صنعه الإنسان، فيقول مثلا: من هو العبقري صانع هذا الجهاز؟! ومن هو المبدع مصمم ذلك الصرح الشامخ؟! إلى غير ذلك من الأسئلة الإعجابية حول ما صنعه الإنسان.. وأمّا ما صنع الله تعالى القائل: {**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**} [النمل: ٨٨] فهم عنه غافلون ومعرضون.

أخيرًا: إن السبب وراء ذلك الغباء وطمس البصيرة هو: الكفر.. فيزداد الكافر –حتى مع زيادة معلوماته عن كل ما حوله وتطويرها وتسخيرها لحياته– كفرا، قال تعالى: {**فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا**} [فاطر: ٣٩].

على عكس المؤمن تماما؛ الذي يزداد –بازدياد معلوماته عن كل ما حوله وتطويرها وتسخيرها لحياته– إيمانا، قال تعالى: {**إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ**} [الجاثية: ٣].

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (٨٤)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**} [فصلت: ٣٣].

أعظم وظيفة يزاولها المسلم في هذه الدنيا.

أشغل أمر الوظيفة المرموقة -التي يحلم بها كل إنسان- فكر وبال الكثيرين.. ولا غرابة في ذلك.. فمن يرضى بالفراغ القاتل الذي يعيشه العاطلون؟! ومن يرضى بالفقر الذي تعوذ منه الأنبياء عليهم السلام والصالحون؟!

غير أن التفكير دائما ما ينصرف -عند الحديث عن الوظائف- إلى عمل محدد المكان والزمان.. وهذا صحيح ومناسب لكل وظائف الدنيا.. فيما عدا وظيفة واحدة.. إليك أيها المسلم الكريم مواصفاتها؛ قبل أن أسميها:

عالمية المكان.. فلا تحصرها الجغرافيا بحدودها المرسومة.. متوفرة وحاضرة لكل مسلم.. يباشر العمل فيها أينما كان على وجه هذه البسيطة.

سرمدية الزمان.. قديمة قِدم وجود الإنسان.. وباقية ما بقي الليل والنهار.. لا تملأ أوقات المسلم اليومية فقط.. بل وسني عمره.. فمن أشغله

رقي مجتمعات البشرية نحو السعادة والتواصل والتراحم لا يعرف الفراغ.. بل لا يكاد يجده.

تبلغ بالمسلم الذروة في تحقيق الأمن الفكري في هذه الدنيا.. فلا شتات ولا هموم ولا ضياع.. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**مَنْ كانَتِ الدنيا هَمَّه فَرَّقَ الله عليه أَمْرَهُ، وجَعلَ فَقْرَهُ بيْنَ عَيْنَيْهِ؛ ولمْ يأْتِهِ مِنَ الدنيا إلا ما كُتبَ له، ومَنْ كانَتِ الآخِرَة نيَّتَهُ جمَع الله له أمْرَهُ، وجعَل غِنَاهُ في قلْبِه؛ وأتَتْهُ الدنيا وهِيَ راغِمَةٌ**) [صححه الألباني في صحيح الترغيب (٣١٦٨)] بل يمتد أمنها الفكري ليكون استراتيجيا بعيد المدى.. حيث تنتهي به إلى الأمن يوم الفزع الأكبر، يوم يقوم الحساب، قال تعالى: {**ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ**} [الحجر: ٤٦].

تبوأها قادة البشرية وصفوتهم عليهم الصلاة والسلام.. وبمقدور المسلم الارتقاء فيها.. فليس لها نمط رتيب.. بل وسائلها كثيرة، متنوعة ومتجددة.. في حدود ثوابت الدين وقيمه.. ومن زاولها أوتي شيئا مما أوتي الرسل عليهم السلام من الإحسان إلى الناس والتأثير فيهم.

وأعجب ما في هذه الوظيفة: ممارسة أهل الباطل لها.. لكن في الوجهة المعاكسة.. فإن اعتزازهم بعقائدهم البالية تدفعهم ليقفوا منافحين عنها، قال تعالى -حكاية عن كفار قريش-: {**وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ**} [ص: ٦]، فأصبح لِزاماً -ومن باب أولى- أن يمارسها أهل الحق المؤمنين بالله تعالى العلي العظيم.. المعتزين به وبرسله عليهم السلام وبالمؤمنين، قال تعالى: {**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ**} [المنافقون: ٨] لينافحوا عن دينه ويعزروه وينصروه.

وأخيرًا: تنفرد هذه الوظيفة بوجوب قبولها ومباشرة العمل فيها؛ تواصيا بالحق، كما دلت على ذلك سورة العصر.. شريطة الاستطاعة، إذ ليس على

أصحاب الأعذار الشرعية حرج في عدم مزاولتها.. ومما يؤكد وجوبها قوله صلى الله عليه وسلم: (**وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**) [متفق عليه] فوجب على المسلم أن يبدأ بهذه الوظيفة مع أسرته ليقودهم إلى جنات النعيم، ثم ينطلق إلى غيرهم، مستعينا في كل ذلك بالله تعالى ومتوكلا عليه.

ويكفي بهذه الوظيفة فخرًا أن اختارها خالق البشر سبحانه أصدق وأعلم وأحكم الحاكمين لتكون أحسن وأفضل وظيفة للمسلم في هذه الدنيا، فقال جل من قائل: {**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**}.

إنها وظيفة دلالة الناس على خالقهم سبحانه وتعالى.. "الدعوة".. قال تعالى: {**قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**} [يوسف: ١٠٨]، ونقف وقفة تأمل وتدبر عند قوله تعالى: {**أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**}.. فمن اقتدى به صلى الله عليه وسلم دعا إلى هديه وسنته.

وبعد معرفة الوظيفة الأولى للمسلم التي أوجبها الله عليه.. وبعد أن تبوأت مكان الصدارة في نفسه وقلبه.. لابد له من وظيفة أخرى ترافقها.. يتقوى بها على قطع الطريق إلى الله تعالى.. تسد حاجته وحاجة من يعول.. من مسكن ومطعم ومشرب وملبس ومركب.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (٨٥)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ • وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ • وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ**} [الزخرف: ٣٣-٣٥].

ثلاث آيات متتاليات في سورة الزخرف؛ كفيلة بعلاج مرض الانبهار بالحضارة الغربية المادية.

يبين الله تعالى لنا في هذه الآيات: أنه لولا لطفه ورحمته سبحانه بنا من أن نُفتن بما يُعطي الكافرين من تقدم مادي -يدر ذهبا وفضة- لأعطى الكافرين أكثر بكثير مما أعطاهم الآن، ولجعل كل زاوية من زوايا بيوتهم -الأبواب والأسقف والسرر والسلالم، كما سمت الآيات- ذهبا وفضة. والزخرف هو الذهب.

ذلك أن الدنيا وضيعة عند الله تعالى، ولا تسوى عنده جناح بعوضة، ولو كانت تسوى جناح بعوضة؛ ما سقى كافرا منها شربة ماء. كما صح بذلك الحديث الشريف [السلسلة الصحيحة (٦٨٦)]، فكيف وقد أعطاهم ما هو أكبر من جناح البعوضة بكثير؟! أعطاهم التقدم المادي الذي يدر ذهبا وفضة.

إذن الدنيا فعلا لا تساوي حتى جناح البعوضة. ولذلك ختم الله تعالى الآية الكريمة بقوله: {**وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ**} فجنة المتقين فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وللأسف؛ فقد انبهر كثير من المسلمين بالقليل الذي أعطاه الله للكافرين في هذا العصر.. فكيف لو جعل بيوتهم ذهبا وفضة، إذاً لكفرت البشرية كلها، بما فيهم المسلمون.. كما بين تعالى: {**وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً**}، قال المفسرون: أي أمة واحدة على الكفر.

وأخيرًا: فإن ما وفقني الله لكتابته هنا؛ لا يعارض أبدا اتخاذ الأسباب للنهوض بالأمة من كبوتها المعاصرة؛ التي تسببت حتى في فتنة غيرها من الأمم عن الصراط المستقيم.

ما كتبته يجب أن نوصله للمنبهرين بالحضارة المادية؛ الذين لا يفرقون بين غثها وسمينها.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك..

التأمل رقم (٨٦)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**} [الأنعام:٣٨]، قال أهل التفسير: "ليس في الأرض حيوان يَدِبُّ على الأرض أو طائر يطير في السماء بجناحيه إلا جماعات متجانسة الخلق مثلكم. ما تركنا في اللوح المحفوظ شيئًا إلا أثبتناه، ثم إنهم إلى ربهم يحشرون يوم القيامة، فيحاسب الله كلا بما عمل".

أبدع كثير من علماء الأحياء -خاصة من غير المسلمين- في إجراء دراسات وأبحاث تمتد بعضها إلى عشرات السنين؛ حول سلوكيات كثير من الدواب والطير وغيرها من المخلوقات، وكأنهم بهذه الدراسة يخلصون إلى ما سبق إليه القرآن الكريم من كون هذه المخلوقات من الدواب والطير؛ إنما هي أمم، قال تعالى: {**وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم**}، قال الشيخ السعدي: "كلها أمم أمثالكم خلقناها كما خلقناكم، ورزقناها كما رزقناكم، ونفذت فيها مشيئتنا وقدرتنا، كما كانت نافذة فيكم" [تفسير السعدي (٢٥٥)].

لكن ممّا تميز به أتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ أن الله تعالى الخالق العظيم أمدهم بالمعرفة الصحيحة التي يحتاجونها لتنظيم العلاقة بين الإنسان وبين مخلوقات الله الأخرى؛ من دواب وطير وغيرها.

وقد اخترت أن أقف وقفة مهمة مع هذا الموضوع:

جعل الله تعالى العلاقة بيننا وبين أمة الدواب والطير؛ وكل ما في السماوات والأرض؛ علاقة التسخير -مسخرة لنا- قال تعالى: {**وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**} [الجاثية: ١٣].

وقد أدى غياب معرفة علاقة التسخير -التي بينها الله تعالى في كتابه- عند البعض من غير المسلمين إلى التطرف بعلاقة خاطئة مع الدواب، من ذلك:

عبدها بعضهم من دون الله تعالى؛ كعُبّاد البقر، مع أن الله تعالى سخرها لهم، قال تعالى: {**وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**} [النحل: ٥].

وبعضهم اقتنى الكلاب لتخالطه داخل بيته؛ بسبب الوحدة التي أفرزتها قيم مجتمعاتهم.. ونظموا لها مسابقات للجَمال.. وورّث أحدهم كلبه.. وغير ذلك من السلوكيات الخاطئة، حتى ليظن الإنسان أنهم عكسوا الأمر، فبدلا من كونها مسخرة لهم؛ صاروا هم مسخرين لها.

أمّا في الإسلام فقد أباح رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتناء الكلب لثلاثة أمور، قال صلى الله عليه وسلم: (**من اقتنى كلباً إلا كلب صيد أو ماشية أو زرع فإنه ينقص من أجره كل يوم قيراطان**) [رواه البخاري (٥٤٨١) ومسلم (١٥٧٤)]، ومن هذا الحديث الشريف يتبين سبق الإسلام إلى تدريب الكلاب

البوليسية، ذلك أن كلاب حراسة الماشية وحماية الزرع تحتاج إلى تدريب لرد المعتدين من الذئاب ومن السُّراق من البشر.

هذا وإن من أحط وأغرب ما حصل في هذا العصر عند نحو عشرة آلاف من غير المسلمين هو: محاكاتهم الكلاب في مشيها ونباحها؛ مرتدين أقنعة وجوه الكلاب؛ وملابس تشبه جلود الكلاب، في ظاهرة أسموها بالكلاب البشرية.

وبعضهم جعلوا العلاقة مع بعض الدواب علاقة وحشية؛ كمصارعة الثيران.

إن من أعظم ما فات غير المسلمين من معرفة ربانية عن أمم الدواب والطير وغيرها من المخلوقات؛ هو حشر الله تعالى لهذه الأمم يوم القيامة؛ ليقضي بينهم، فيتعظ البشر بذلك أيما عظة، قال تعالى: {**وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ**} [التكوير: ٥]، وقال صلى الله عليه وسلم: (**يقضي الله بين خلقه الجن والإنس والبهائم ، وإنه ليقيد يومئذ الجماء من القرناء، حتى إذا لم يبق تبعة عند واحدة لأخرى قال الله: كونوا تراباً ، فعند ذلك يقول الكافر: {يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا}**[صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٩٦٦)]، وروى أحمد بإسناد صحيح عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شاتين تنتطحان، فقال: (**يا أبا ذر، هل تدري فيم تنتطحان؟ قال: لا. قال: لكن الله يدري، وسيقضي بينهما**) [مسند أحمد (٢١٤٣٨)]..

وفي بيان عِظم العظة للمكذبين التي جاءت في قوله تعالى: {**وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**}؛ يقول الإمام الطبري –في تفسيره–: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء المعرضين عنك،

المكذبين بآيات الله: أيها القوم، لا تحسبُنَّ الله غافلا عما تعملون، أو أنه غير مجازيكم على ما تكسبون. وكيف يغفل عن أعمالكم، أو يترك مجازاتكم عليها، وهو غير غافل عن عمل شيء دبَّ على الأرض صغيرٍ أو كبيرٍ، ولا عمل طائر طار بجناحيه في الهواء" [تفسير الطبري (١١/٣٤٤)].

وكذلك تسخير الجمادات والنباتات وموجات الأثير -الموجات الكهرومغناطيسية- من الله تعالى للناس؛ وكيف تعامل الناس معها.

الحديد معدن من مجموعة من المعادن؛ سخرها الله تعالى للناس، قال تعالى: {**وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**} [الحديد:٢٥]، استخدمه الناس -مسلمون وغيرهم- فيما ينفعهم كصناعة المحركات، وأعمال البناء، وغير ذلك من الاستخدامات الكثيرة النافعة. غير أن البعض من غير المسلمين خرج عن دائرة الاستخدامات النافعة للحديد؛ إلى استخدامات شركية، فصنعوا منه الأصنام؛ يعبدونها من دون الله تعالى، قال تعالى: {**وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا**} [الفرقان:٣].

والأشجار التي سخرها الله تعالى للناس، كما قال تعالى: {**الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ**} [يس: ٨٠]، وقال تعالى: {**يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**} [النحل:١١]؛ استخدمها الناس -المسلمون وغيرهم- فيما ينفعهم كإنتاج الطاقة وصناعة الورق والأثاث وغير ذلك من الاستخدامات الكثيرة النافعة، غير أن البعض من غير المسلمين خرج عن دائرة الاستخدامات النافعة للأشجار؛ إلى استخدامات خاطئة، فصنعوا من أقمشة النباتات -كالقطن والكتان- أنواعا من الألبسة الخادشة للحياء، وقد بين الله تعالى

أن من أهداف الشيطان الكبيرة تعرية البشرية من اللباس الساتر، قال تعالى: {**يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا**} [الأعراف: ٢٧].

وصنعوا من بعض الفواكه الخمور، قال صلى الله عليه وسلم: (**اجتنِبوا الخمرَ؛ فإنَّها مِفتاحُ كلِّ شرٍّ**) [صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٧٩٨)].

أما موجات الأثير التي سخرها الله تعالى للناس –وهي غير منظورة للعين المجردة، وداخلة في قوله تعالى: {**فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ • وَمَا لَا تُبْصِرُونَ**} [الحاقة: ٣٨-٣٩]، قال الشيخ السعدي في تفسيرها: "أقسم تعالى بما يبصر الخلق من جميع الأشياء وما لا يبصرونه"– موجات الأثير استخدمها المسلمون وغيرهم فيما ينفعهم من التواصل الإيجابي ونشر الخير عن طريق المذياع والتلفاز والشبكة العنكبوتية. غير أن البعض من غير المسلمين خرج عن دائرة الاستخدامات النافعة لموجات الأثير؛ إلى استخدامات خاطئة؛ كنشر المعتقدات الباطلة والإلحاد والإباحية وترويج الفساد.

وأخيرًا: فإن الناس لو أرادوا الإفادة المثلى مما سخره الله تعالى لهم –ممّا خلق في السماوات والأرض؛ {**وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ**}– وأن يتجنبوا عواقب الاستخدام الخاطئ لها؛ فلا يكون ذلك إلا بالاستسلام لله تعالى والانقياد لشرعه؛ الذي أبان فيه الخبيث من الطيب، قال تعالى: {**وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ**} [الأعراف: ١٥٧].

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (٨٧)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ**} [الأحقاف: ١١].

يصدّ غير المسلمين عن الاستسلام للرحمن الرحيم -خالقهم ورازقهم- شبهات كثيرة، منها شبهة قولية فكرية اسمها "الاستعلاء بغير حق".

والاستعلاء شبهة قديمة قِدم استكبار واستعلاء إبليس لعنه الله، قال الله تعالى -وهو يصف مشهد استعلاء إبليس الأول-: {**قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ**} [الأعراف: ١٢]، وورّث إبليس هذا الاستعلاء لأتباعه من غير المسلمين.

الاستعلاء حالة نفسية فكرية شوهاء؛ غابت عنها معايير المفاضلة الحقيقية للموازين الصحيحة الرشيدة.

فالتعالي وسم يسعى بعض غير المسلمين إلى بثه في نفوس المؤمنين لصدهم عن اتباع نهج الله القويم.

وقد نقل القرآن الكريم أقوال أصحاب هذه الشبهة:

قال الله تعالى: {**وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا**}[مريم: ٧٣]، وقال تعالى:

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ} [الأحقاف: ١١]، وقال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [العنكبوت: ١٢].

يعرض القرآن الكريم اعتراضاتهم التي صدتهم عن دين الله تعالى، ثم يرد عليها لعلهم يرجعون.

وقد يظن بعض الناس أن خطر الاستعلاء بغير حق وما ينتج عنه مما يسمى في عصرنا -بعقدة الأجنبي- ينحصر أثره السلبي على ضِعاف الإيمان من المسلمين فقط، وهذا غير صحيح، نعم قد تؤثر هذه العقدة على ضِعاف الإيمان إذا استمرأوا هذا التعالي؛ وانطلت عليهم حيله، فينظرون بدونية إلى حالهم منبهرين بما عند غير المسلمين من تقدم مادي، وقد تهتز قيمهم العظيمة داخل نفوسهم، ولا يشعرون بالعزة التي أرادها الله لهم، قال الله تعالى: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٣٩]، قالها سبحانه للمؤمنين وهم في حالة الهزيمة المادية يوم أحد؛ حتى يتمسكوا بإيمانهم ويعتزوا به في أحلك الظروف.

لكن سرعان ما يعود حتى ضِعاف الإيمان من المسلمين إلى اعتزازهم وعلوّهم بإيمانهم إذا ذُكِّرُوا بأن هذا الدين إنما جاء لإصلاح الدنيا والآخرة؛ وليس لإصلاح الآخرة فقط، وأننا قوم أعزنا الله بالإسلام ومهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله، وأننا قادرون على النهوض من كبوتنا -كما فعل أسلافنا- إذا صدقنا مع الله تعالى، ولذلك قال تعالى -في بيان سُرعة عودة المسلم إلى الصراط المستقيم إذا نزغه نزغ من شياطين الجن أو الإنس-: {إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ} [الأعراف:٢٠١].

لكن خطر هذا الاستعلاء وشؤمه الأكبر يقع على أصحابه، وهو ما أودُّ التأكيد عليه في هذا المقال، لبيان رحمة الله بهم؛ بدحض حججهم واعتراضاتهم.

فالاستعلاء يقع سلبا على المتعالي نفسه، فيكون سببا رئيسا منافيا للعقل الواهم؛ يصدُّه عن الاستسلام لله تعالى، واعجبًا!

ما هذا المنطق الأعوج الذي يرفض فيه بعض الكفار الإيمان بالله بسبب تقدمه في الهندسة وعمارة الأرض؟!

يُدعون إلى الإيمان فيشيرون إلى حُسن بيوتهم ومجالسهم، وهذا ما حكاه القرآن الكريم عنهم، قال تعالى: {**وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا**} [مريم: ٧٣]، قال أهل التفسير: "يقول الكفار للمؤمنين: أيُّ الفريقين منَّا ومنكم أفضل منزلا وأحسن مجلسًا؟".

ألا ما أغربه من اعتذار عن الإيمان بالله رب العالمين!

فما دخل الإيمان بالله في شكل ومتانة البيوت والمجالس؟!

وهذا ما يمارسه بعض غير المسلمين؛ من تعالٍ على المؤمنين على مر العصور، وهو "التعالي بأنهم أفضل في عمارة الأرض، فلا حاجة لنا بالإسلام".

والردّ الحاسم على هذا النهج الأعوج -في رفض الإيمان بخالق الأكوان- يأتي من الله تعالى في الآية التي تلتها في سورة مريم: {**وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا**} [مريم: ٧٤].

فكم أهلك الله تعالى قبلهم من الأمم الماضية؛ الذين كانوا أكثر مالاً ومتاعاً من قريش، وأفضل رئيا -أي منظراً- أهلكهم لكفرهم؟! وفي هذا تحذير لهم، وشفقة بهم ورحمة، لعلهم يرجعون.

أخيرًا: نحن نؤمن بأن الله تعالى الحق العدل لن يبخسهم في الدنيا جزاء ما قاموا به من تقدم في مجالات الحياة المادية، يجدون أثر ذلك -إذا شاء الله- سهولة في حياتهم المعيشية، مع ما يكتنف هذه المعيشة من ضنك، قال تعالى: {**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا**} [طه: ١٢٤]، وقال تعالى: {**حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**} [الحج: ٣١]، لكن المصيبة الكبرى أن نهاية هذا الكفر بالله وعدم شكره بعبادته والخضوع لأمره -مهما ارتفعوا في عمارة الأرض- نهايته جهنم وبئس القرار، قال تعالى: {**مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا**} [الإسراء: ١٨]، وقال تعالى: {**مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ • أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**} [هود: ١٥-١٦].

فالحمد لله على نعمة الإسلام.. وكفى بها من نعمة.

إذن من رحمة الله بغير المسلمين: تفنيد حججهم، ودحضها حتى يزول عنهم ما يمنعهم من الدخول في الإسلام.

فما أعظم رحمة الله!

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك..

التأمل رقم (٨٨)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ**} [الأحقاف: ٢٥]، قال أهل التفسير: "فلما رأوا العذاب الذي استعجلوه عارضًا في السماء متجهًا إلى أوديتهم قالوا: هذا سحاب ممطر لنا، فقال لهم هود عليه السلام: ليس هو بعارض غيث ورحمة كما ظننتم، بل هو عارض العذاب الذي استعجلتموه، فهو ريح فيها عذاب مؤلم موجع".

استوقفني ما قدّره الله تعالى -قبل بضع سنين- على خمس ولايات أمريكية -منها ولاية كاليفورنيا- من نزول ثلوج بشكل كثيف؛ لم ينزل عليها مثله في الكثافة منذ ما يزيد على المئة عاما.. كما يقول المحللون.

وتعليقا على الحدث -وبعد توفيق الله تعالى- أقول:

من أنواع الضلال الذي وقع فيه غير المسلمين في هذا العصر؛ أنهم بسبب ما فتح الله تعالى عليهم -بإذنه- من معرفة لبعض سننه التي يدير بها هذا الكون؛ كالمناخ -على سبيل المثال- وسنن الله فيه؛ من الضغوط الجوية المنخفضة والمرتفعة؛ وما يترتب على تغيرها من تغير في المناخ؛ فإنهم بسبب هذه المعرفة؛ أخذوا يتعاملون مع المناخ وكأن الله تعالى ليس له مشيئة مطلقة

عليه، من ذلك: عزوهم لكل ما يقدّره الله تعالى عليهم من أمطار وأعاصير وعواصف؛ إلى الضغوط الجوية وتغيراتها.

ولقد جاء التحذير -بنص شرعي- من خطأ مشابه لما يفعله غير المسلمين في هذا العصر؛ في النظر إلى المناخ، وهو ما كان يظنه بعض الناس -في عصر صدر الإسلام- أن للكواكب دورا في نزول المطر، ففي الحديث: يقول زيد بن خالد الجهني -رضي الله عنه- صلى لنا رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بالحُدَيْبِيَةِ علَى إثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أقْبَلَ علَى النَّاسِ، فَقالَ: **(هلْ تَدْرُونَ مَاذَا قالَ رَبُّكُمْ؟ قالوا: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: أصْبَحَ مِن عِبَادِي مُؤْمِنٌ بي وكَافِرٌ، فأمَّا مَن قالَ: مُطِرْنَا بفَضْلِ اللَّهِ ورَحْمَتِهِ، فَذلكَ مُؤْمِنٌ بي وكَافِرٌ بالكَوْكَبِ، وأَمَّا مَن قالَ: بنَوْءِ كَذَا وكَذَا، فَذلكَ كَافِرٌ بي ومُؤْمِنٌ بالكَوْكَبِ)** [متفق عليه].

والعجيب أن غير المسلمين؛ الذين يريدون أن ينفوا عن الخالق العظيم مشيئته المطلقة في تدبير أمر المناخ؛ يعلمون أن جميع أجهزتهم -التي تعمل ببرامج معدة من قبل صانعيها- لن تعمل -مهما تفوقت برامج تشغيلها- إذا تدخلت شركة الكهرباء وقطعت إمداد أجهزتهم بالطاقة.

ولله المثل الأعلى.. إن مشيئة الله المطلقة تتدخل في السنن التي وضعها سبحانه للمناخ؛ لتغييرها كيف يشاء سبحانه؛ ومتى شاء.

وليس غريبا أن يتعامل غير المسلمين مع خالقهم العظيم بهذا الخطأ بالنسبة للمناخ، فإن عدم الاستسلام لله تعالى ولمنهجه القويم وشرعه الحكيم؛ نقلهم إلى ما هو أدهى وأخطر، وهو نفيهم -زعموا- مشيئة الله تعالى المطلقة في تدبير هذا الكون، ومنه المناخ.

وأخيرًا: في الوقت الذي كان سيّد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم يخاف من سحابة في السماء خوفا أن يكون ذلك عذابا –فقد كان صلى الله عليه وسلم إذا رأى سحابا أقبل وأدبر ودخل وخرج وتغير وجهه، فإذا أمطرت سُري عنه ، فسألته عائشة رضي الله عنها في ذلك فقال صلى الله عليه وسلم ما أدري لعله كما قال قوم: {**فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ**} [متفق عليه]– في الوقت الذي كان تعامله صلى الله عليه وسلم مع سحابة بالوجل والخوف أن تكون عذابا؛ نجد أن تعامل غير المسلمين تجاه المناخ وتقلباته الخطيرة؛ قد انتقل من عدم عزوه إلى الله تعالى الخالق العظيم؛ إلى الغرور والغطرسة وعدم الضراعة إلى الله تعالى حين تنزل بهم العواصف الثلجية؛ فلا يتضرعون إلى الله تعالى بكشفها، قال تعالى: {**وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ**}[المؤمنون: ٧٦]، بل استمر لهوهم بلعب القمار وغيره من المحرمات في لاس فيغاس مدينة القمار –إحدى مدن ولاية نيفادا– وهي إحدى الولايات الخمس التي نزل عليها الثلج الكثيف في تلك الفترة.

ألا ما أجلّ معرفة المؤمن بربه عز وجل، فتقلبات المناخ كلها بيده، قال تعالى: {**هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ • وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ**} [الرعد: ١٢-١٣].

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك..

التأمل رقم (٨٩)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ**} [ق: ٤٤]، قال أهل التفسير: "يوم تتصدع الأرض عن الموتى المقبورين بها، فيخرجون مسرعين إلى الداعي، ذلك الجمع في موقف الحساب علينا سهل يسير".

مع أن غير المسلمين -على مر العصور- دأبوا على الاهتمام بالأحداث المستقبلية؛ التي تمسّ حياتهم.. غير أن حشر الناس إلى ربهم يوم القيامة؛ لا نجده حاضرا في نفوسهم، قال تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ**} [الممتحنة: ١٣].

وأمّا المتقون من المسلمين -على مر العصور- فإنهم يحسبون لهذا الحدث العظيم -حشر الناس لرب العالمين- حسابا كبيرا، قال تعالى: {**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ • الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ**} [الأنبياء: ٤٨-٤٩]، تأمل إشفاقهم من الساعة؛ يوم يقوم الناس فيه لرب العالمين.

ولأن حشر الناس على الله تعالى أمر يسير، قال تعالى: {**ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ**}؛ فدعونا نقف وقفات مع يُسر حشر الله تعالى للخلق؛ متى يشاء؛ وكيف يشاء سبحانه:

الوقفة الأولى: لقد كان يسيرا على خالق هذا الكون سبحانه أن يحشر جميع ذرية آدم عليه السلام؛ للمرة الأولى في هذه الدنيا في عرفة –وادي نعمان– قال تعالى: {**وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ**} [الأعراف: ١٧٢]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان –يعني عرفة– فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قِبَلا فقال: {**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا**} الآية – إلى {**بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ**}" [صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٦٢٣)].

الوقفة الثانية: وكذلك يسيرٌ على الله تعالى أن يحشر الخلق أجمعين يوم القيامة؛ فلا يترك منهم أحدا، قال تعالى: {**وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا**} [الكهف: ٤٧]، حتى الشياطين يحشرهم، قال تعالى: {**فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا**} [مريم: ٦٨]، وحتى الدواب والطير يحشرهم يوم القيامة، قال تعالى: {**وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**} [الأنعام: ٣٨]، قال أهل التفسير: "فيحاسب الله كلا بما عمل".

الوقفة الثالثة: ويسيرٌ على الله تعالى أن يحشر المتقين إليه -وهو الرحيم بهم- وفودا مكرمين يوم القيامة، قال ذلك أهل التفسير في معنى قوله تعالى: {**يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا**} [مريم: ٨٥].

الوقفة الرابعة: كما هو يسيرٌ عليه سبحانه أن يحشر المجرمين زرقا، قال تعالى: {**يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا**} [طه: ١٠٢]، قال أهل التفسير: "تغيَّرت ألوانهم وعيونهم؛ من شدة الأحداث والأهوال".

وأخيرًا: لأن حشر الخلق يوم القيامة حدث جلل وعظيم؛ فقد اعتنى القرآن الكريم بالتذكير به بأساليب متنوعة؛ وفي مناسبات مختلفة.

من ذلك: ذكره مع مواسم العبادات، ففي الحج الذي يحتشد فيه جمع كبير من المسلمين لأداء مناسكهم؛ وخاصة اجتماعهم في عرفة -المكان الذي حشر الله تعالى فيه البشرية جمعاء للمرة الأولى، كما مر معنا ذلك في النصوص الشرعية- جاء التذكير بالحشر يوم القيامة في آية من آيات أحكام الحج، قال تعالى: {**وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**} [البقرة: ٢٠٣].

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك..

التأمل رقم (٩٠)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**} [الذاريات: ٢١].

حتى نزداد إيمانًا بعظيم خلق الله سبحانه.. دعونا نتعبّد الله تعالى بعبادة التفكر.

فلنفترض أن شركةً ما أرادت تصميم مصنع غاية في التعقيد ذي منافع متعددة، يبني نفسه بنفسه، ولا يحتاج أحدا لبنائه، ليكون صرخة في عالم المصانع لم تسمع به البشرية من قبل.. وكان قسم معهم من أقسام هذا المصنع يمدد بنفسه أنابيب مختلفة المقاسات داخل هذا المصنع، يبلغ طولها إذا أُوصلت ببعض كطول حبل يلف محيط الكرة الأرضية مرتين.. ومقاس أصغرها عُشر قطر شعرة من شعر الإنسان.

أظن أن القارئ الكريم سينتقل بخياله ليتصور مصنعا ضخما جدا جدا لطول هذه الأنابيب.

فكيف إذا كان حيّز المصنع -الذي يُراد لهذه الأنابيب عظيمة الطول أن تمتد فيه- لا يعدو مبنى صغيرا طوله وعرضه ثلاث سنتمترات في سنتمتر واحد؛ في بداية تشييده؟!

فكيف إذا كان من المقرر إنشاء أكثر من مئة وخمسين مليون مصنعا من هذه المصانع الصغيرة التي لا تتجاوز أصبع اليد؛ في كل عام؟!

وأن يكون هذا المصنع مصمما بحيث يُصلِح أي عطب في أنابيبه بنفسه، أو استبدالها تلقائيا بغيرها إذا كانت غير صالحة للاستخدام.

فكيف إذا أردنا لهذه الأنابيب في هذا المصنع أن يجري فيها الماء في اتجاهين متعاكسين، يمر كل اتجاه بنفس المضخة بدون التقاء؟! كما يراد لهذه الأنابيب ذات الاتجاهين المتعاكسين أن تمر بمستودع واحد، يُحمَّل اتجاه منه مادة نافعة تحتاجها مئات المليارات من المواقع الموجودة في المصنع الذي لا يتجاوز أصبع اليد، في كل ثانية.. ويمر الاتجاه الآخر بنفس المستودع ليطرح مادة ضارة في الثانية التي تليها.

ثم يراد لهذا المصنع عند الأسبوع التاسع من البدء في بناء نفسه؛ بعد اكتمال بناء أكثر من عشرة أقسام أخرى لا تقل تعقيدا عن قسم الأنابيب، يراد له أن يكْبُر بنفسه؛ وتتمدد معه أقسامه وأنابيبه تلقائيا؛ حتى يبلغ في الطول مداه؛ نحو متر أو أقل أو أكثر، وعرضه نحو نصف متر أو أقل أو أكثر.

كل ما ذكرته آنفا هو حديث عنك أيها الإنسان.. وعن أحد أجهزتك داخل جسمك؛ التي أنعم الله بها عليك.. وحديثي لا يعدو تشبيها قاصرا لنظام الدورة الدموية الذي ضم (القلب والرئتين والأوعية الدموية).. فالمضخة في التشبيه هي قلب الإنسان، والمستودع رئتاه، والأنابيب أوعيته الدموية، والمادة النافعة هي الأكسجين؛ والضارة ثاني أكسيد الكربون.

واعلم أيها الإنسان؛ أنك –وأنت جنين في بطن أمك في أسبوعك التاسع، يوم كان طولك وعرضك ثلاث سنتمترات في سنتمتر واحد– قد

خلق الله تعالى فيك كل أجهزة جسمك؛ شديدة التعقيد؛ وأكملها، وليس القلب وأوعيته فقط.

قال تعالى: {**وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**}.. فهناك الجهاز العصبي وإعجازه، والجهاز الهضمي وإعجازه، والهيكل العظمي وإعجازه، والتناسلي وإعجازه، والبولي وإعجازه، والتنفسي وإعجازه، والبصري وإعجازه، وجهاز الغدد الصماء وإعجازه، وجهاز المناعة وإعجازه، والعضلات والحواس الخمس، وغيرها من (صنع الله الذي أَتْقَن كل شيء) سبحانه.

وكانت بداية خلق جميع هذه الأجهزة بجسمك من نطفة أصغر من رأس إبرة، جعلها الله تنقسم وتنقسم وتنقسم إلى مئات المليارات من الخلايا لتكوّنك بكامل أجهزتك في غضون تسعة أسابيع.. خلايا تتجه بقدرة الله تعالى إلى مكان خلق العين -في الرأس- ولا تذهب لتشكل عينا في البطن مثلا.. وهكذا يوجّه الخالق الخلاق العظيم مليارات الخلايا -بتخصصاتها المختلفة- إلى الجهات المناسبة لكل تخصص.. سبحانك ربي ما أعظمك!

فلتفرح البشرية بربها عز وجل؛ الذي أرسل رسله عليهم الصلاة والسلام وأنزل كتبه -وآخرها القرآن الكريم- لتنظيم حياة البشر -أكرم الخلق على الله تعالى- في الجوانب العقائدية والعبادية والتعاملية، كما أتقن سبحانه خلْقَهُم وجعله في أحسن تقويم -أي في أحسن صورة- قال تعالى -في بيان استحقاقه سبحانه للعبادة من الناس لأنه خالقهم-: {**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**} [البقرة: ٢١].

وأخيرًا: فإن مثل هذا التفكر في عظيم خلق الله تعالى قد دعا إليه علماء الإسلام -سلفًا وخلفًا-، وحثّوا عليه.

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: "الفكرة في نِعم الله من أفضل العبادة". [نضرة النعيم (٤/١٠٧٥)].

وقال الحسن البصري رحمه الله: "إن من أفضل العمل= الورع والتفكر".

وقال: "تفكّر ساعة خير من قيام ليلة" [نضرة النعيم (٤/١٠٧٦)].

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

۞۞۞

التأمل رقم (٩١)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ**} [القمر: ١١].

حدثت في إحدى السنوات فيضانات عظيمة في الصين وألمانيا، متسببة في كوارث جسيمة؛ تناقلتها وسائل الإعلام المختلفة.

وبالرغم من تقدم هذه الدول في علم الأرصاد الجوية وتخصصاته المختلفة؛ بما في ذلك التنبؤات الجوية -وهو أمر حسن ومطلوب- غير أن ذلك لم يغن عنهم شيئا من نزول الأمطار بتلك السرعة والكثافة؛ وحصول تلك الفيضانات المدمرة.

والسؤال الذي يطرح نفسه: ما الذي يفتقده غير المسلمين من علم وعمل شرعي للتعامل مع المناخ، بالإضافة إلى البُنى التحتية الضخمة التي شيدوها؛ وعلوم الأرصاد الجوية بجميع فروعها؛ التي أبدعوا فيها؟

الجواب: في عدة محاور مهمة:

أولاً: يفتقد غير المسلمين في تعاملهم مع المناخ إلى توحيد الله تعالى واتباع نهجه، وأنه وإن كان البشر قد بنوا السدود للتحكم في المياه؛ والبُنى التحتية الضخمة لتصريف المياه؛ فإن الله تعالى يملك الأرض وما فيها، والبشر وما أشادوا عليها، والسماء وغلافها ونجومها وكواكبها وسحبها وماءها، فله

سبحانه ملكوت السماوات والأرض، قال تعالى: {**فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**} [يس: ٨٣]، فلابد للبشر أن يوحدوا الله سبحانه وتعالى ولا يشركوا به شيئا، وأن يجتنبوا السيئات؛ حتى لا يُنزِل عليهم عذابا من السماء والأرض، قال تعالى: {**فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ • وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ** } [القمر: ١١-١٢].

واجتناب السيئات يدخل فيه المسلمون، قال تعالى: {**لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا**} [النساء: ١٢٣].

بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى غيما أو ريحا عُرِف في وجهه فقالت له عائشة رضي الله عنها: يا رسولَ اللهِ، الناسُ إذا رأوْا الغَيْمَ فرحوا رجاءَ أن يكونَ فيه المطرُ، وأَراك إذا رأيتَه عُرِفَتْ في وجهِك الكراهيةُ. فقال: (**يا عائشةُ، ما يُؤْمِنُني أن يكونَ فيه عذابٌ؟ قد عُذِّبَ قومٌ بالريحِ، وقد رأى قومٌ العذابَ قالوا: هذا عارض ممطرنا**) [متفق عليه]، والحديث يدل على خوف ووجل أهل الإسلام من التقصير في حق الله تعالى مهما أحسنوا العمل.

ثانيًا: يفتقد غير المسلمين في تعاملهم مع المناخ -بعد توحيد الله تعالى واتباع نهجه- إلى الإيمان كذلك بأنه سبحانه قد أوكل لإنزال المطر مَلَكًا هو ميكائيل عليه السلام، ثبت ذلك بالنص الشرعي حينما سأل بعض اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: فإنَّه ليس من نبيٍّ إلا له مَلَكٌ يَأتيهِ بالخبرِ فأَخْبِرْنا مَن صاحِبُكَ؟ قال: (جِبريلُ عليهِ السلامُ) قالوا: جبريلُ ذاك الذي يَنزلُ بالحربِ والقتالِ والعذابِ عَدُوُّنا لو قلتَ ميكائيلَ الذي ينزلُ بالرحمةِ والنباتِ والقَطْرِ لكانْ، فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلَّ: {**مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ**} إلى آخرِ

الآيةِ [أخرجه أحمد في المسند (١٦١/٤)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح]، قال الإمام ابن كثير رحمه الله: ميكائيل موكل بالقطر والنبات [تفسير ابن كثير (٣٤٢/١)].

فالقضية لا تحتاج -فقط- إلى زيادة عناية بموضوع الاحتباس الحراري لتنتهي مثل هذه الكوارث -والاهتمام بموضوع الاحتباس الحراري أمر جيد ومطلوب- القضية مَلَك عليه السلام موكّل من الله تعالى بإنزال المطر، يؤمر من خالق الكون سبحانه فيطيع ولا يعصي.

كذلك ليست الفيضانات من فِعل الطبيعة؛ التي يردون إليها -بزعمهم- كثيرًا من أقدار الله تعالى في هذا الكون الفسيح.

ثالثًا: يفتقد غير المسلمين كذلك -بعد توحيد الله تعالى واتباع نهجه- إلى تعلم صلاة الاستسقاء؛ التي سنّها لنا سيّد الأولين والآخرين عند شُحّ المطر، وهي صلاة نسأل الله تعالى بها -نحن المسلمين- إنزال الغيث النافع؛ الذي لا يتحول إلى فيضانات مدمرة.. ولذا نقول في الدعاء: اللهم اسقنا غيثًا مُغيثًا، مريئًا مَريعًا، نافعًا غير ضار، عاجلًا غير آجل.

رابعًا: يفتقد غير المسلمين كذلك -بعد توحيد الله تعالى واتباع نهجه- إلى تعلم الأذكار الشرعية للتعامل مع المناخ، من ذلك دعاء الرعد: (سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته)، ودعاء الريح: (**اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به**)، ودعاء عند نزول المطر: (**اللهم صيبا نافعا**)، ودعاء بعد نزول المطر: (**مُطِرنا بفضل الله ورحمته**).

وأخيرًا: المقال؛ وإن كان فيه تذكير لنا نحن المسلمين؛ إلا إنه يلفت انتباه غير المسلمين إلى التعامل الصحيح مع جزء مهم من أجزاء هذا الكون

الفسيح؛ المناخ.. فعسى الله تعالى أن ييسر وصوله إلى غير المسلمين، وبلغاتهم المختلفة.

والحمد لله الذي دعانا للدخول في جميع شرائع الإسلام، عاملين بجميع أحكامه، ومنها التعامل مع المناخ، قال تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً**} [البقرة: ٢٠٨]، "السِّلْمِ" في الآية الكريمة هو الإسلام، كما قال أهل التفسير.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (٩٢)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا**} [الحديد: ٢٧].

تناقلت وسائل الإعلام في الآونة الأخيرة حادثة قَتْل راهبٍ -في دير المقاري بمصر- كبيرَ الرهبان بعمود حديدي. وسبب القتل هو عدم تحمّل الراهب العيش وفق قوانين الرهبنة التي ابتدعها النصارى منذ القرن الثالث الميلادي؛ مما أدى إلى نشوب خلاف بينهما.

وسبب تأمّلي لهذه الحادثة هو إطْلاع المسلم على قوانين الرهبنة الثلاثة؛ التي لابد من العيش بها إذا أراد المسيحي أن يصبح -بزعمهم- رجل دين. حتى يعرف المسلم نعمة الإسلام الذي هو دين الفطرة.

قوانين الرهبانية ثلاثة:

(١) البتولية: وتعني عدم الزواج.

(٢) الفقر: ويعني عدم امتلاك أي شيء.

(٣) الطاعة الكاملة لكبير الرهبان.

والعجيب أنهم يُصلّون -خلال حفل ترسيم الرهبان الجدد- صلاة يسمونها صلاة الموت. ويعنون بذلك موت هؤلاء الرهبان عن الدنيا. حيث

يستلقي الرهبان الجدد على الأرض، ويُغطى كامل أجسادهم بقماش، وتبدأ بعد ذلك صلاة الموت [مقاطع حفلات الترسيم هذه موجودة على اليوتيوب].

أخيرًا: الحمد لله الذي بعث محمدًا صلى الله عليه وسلم بالحنيفية السمحة؛ ليقول للنفر الذين أرادوا مخالفة الفطرة ببعض الأعمال: (**أنتم الّذين قلتم كذا وكذا؟!، أما والله إنّي لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنّي أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوّج النّساء، فمن رغِبَ** (أعرض) **عن سنّتي فليس منّي**) [رواه البخاري].

والحمد لله ثانيا على قوله صلى الله عليه وسلم: (**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه، فهو ردٌّ**) [متفق عليه].. فأهل السنة -ولله الحمد- على ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك..

التأمل رقم (٩٣)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**} [المجادلة: ٧].

بينت الآية الكريمة أن النجوى -وهي الحديث سرًا- قد تكون بين أكثر من ستة أشخاص، قال تعالى: {**مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ**}، وعليه: فإن الاجتماعات -التي تقتضي المصلحة أن يكون لها طابع السرية؛ والتي تُدار في المؤسسات الحكومية أو الأهلية، أو الاجتماعات العائلية- فإن هذه الاجتماعات تدخل في مجالس النجوى التي أشارت إليها الآية الكريمة..

ومع أن الله تعالى يحيط بعلمه كل زفرة يزفرها أي مخلوق، بل ويعلم ما تخفي الصدور؛ إلا أن الناس في اجتماعاتهم السرية ينتابهم شعور بأنهم في مأمن من أن يراهم أحد؛ حيث أحكموا سرية اجتماعهم.. فتأتي الآية الكريمة لتذكرهم بأن هناك من يطلع عليهم أينما كانوا، إنه الله تعالى العليم الخبير.

وفي هذا العصر أبدع الإداريون في تصميم حقائب تدريبية لإدارة الاجتماعات عموما –سواء السرية منها أو غير السرية– وضمّنوا تلك الحقائب التدريبية محاور مهمة لإنجاح الاجتماعات، من ذلك: أدوار المشاركين في الاجتماع، فن التعامل مع الأنماط، آلية صنع القرار، وغير ذلك من المحاور المهمة.

غير أن محورا عظيما ومهما دلنا عليه القرآن الكريم؛ ينبغي أن يكون هو المحور الرئيس والمقدّم على كل المحاور في إدارة الاجتماعات ذات الطابع السري، ألا وهو محور رقابة الله تعالى على كل لفظ يتلفظ به المجتمعون؛ أو يكتبوه.

هذا وإن من شأن اصطحاب محور رقابة الله تعالى من قِبل المجتمعين؛ أن يعين على إنجاح اجتماعهم، وذلك في أمور، منها:

أولاً: سيسود الاجتماع؛ جوّ من الصدق وقول الحق، ذلك أن المجتمعين يتذكرون أن ما يقولونه في الاجتماع سينبئهم الله تعالى به يوم القيامة، قال تعالى –في آية النجوى–: {**مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**}.

ثانيًا: استحضار رقابة الله تعالى يعين المجتمعين على التسديد والتوفيق في اتخاذ قراراتهم، حيث سيبتعدون فيها عن كل ما يغضب الله تعالى؛ كالظلم، أو أكل أموال الناس بالباطل، وغير ذلك من القرارات المخالفة لمنهج الله تعالى، يمنعهم من ذلك قوله تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**} [المجادلة: ٩].

ثالثًا: سيسود الاجتماع؛ الاحترام بين المجتمعين، والعدل في المشاركة في طرح الآراء بينهم، ذلك أن الله تعالى -المطّلع على المجتمعين- يأمر بالعدل، ويحث على الأخلاق الفاضلة، وينهى عن احتقار الغير.

أخيرًا: ومع أني خصّصت هذا المقال لاجتماعات المسلمين -التي تقتضي المصلحة أن تكون ذات طابع سرِّي- غير أن اجتماعات غير المسلمين السِّرِّية لا تخرج عن إحاطة علم الله تعالى بها، فالآية الكريمة لا تستثني أحدًا من خلقه سبحانه، وسوف ينبئهم بما قالوا وما عملوا في اجتماعاتهم؛ يوم القيامة.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك ...

التأمل رقم (٩٤)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**} [الحشر: ٢].

نعتقد نحن أهل الإسلام بأن غير المسلمين لا يزدادون -بتمردهم على الله تعالى وتكذيبهم لرسوله صلى الله عليه وسلم- إلا مقتا من الله تعالى وخسرانا في الدنيا والآخرة، قال تعالى: {**وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا**} [فاطر: ٣٩].

ومع ذلك فقد استوقفني قول الله تعالى: {**يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ**}، وطرحت على نفسي السؤال التالي: إذا كان يهود بني النضير خربوا بيوتهم بأيديهم -وهي بيوت وحصون كانوا يعتدّون بها- فما هو الأمر الذي تعتدّ به الحضارة الغربية في هذا العصر؛ والذي يخربون به حضارتهم؟

الجواب: لم أجد قوة تمتلكها وتعتدّ بها الحضارة الغربية -في هذا العصر- أعظم من قوة علوم الإدارة وتطبيقاتها في إدارة كافة مجالات الحياة.

وبما أن الإبداع والتقدّم الإداري سلاح ذو حدّين:

حيث يكون إيجابيا ومُبهِرا؛ إذا وُظِّف في مجال من مجالات الحياة، شريطة أن يكون هذا المجال منقادًا لشرع الله تعالى.

ويكون سلبيا مدويّ السقوط إذا وُظِّف في مجال من مجالات الحياة؛ التي لا يتبنى أهلها شرع الله تعالى.

فقد أيقنت عندها أنهم يخربون بيوتهم بهذا التقدم الإداري غير المسبوق.

فأصحاب الحضارة الغربية المادية –الذين لا يجنون بمخالفتهم لشريعة الله تعالى؛ وتبنيهم ما يغضبه في مجالات الحياة إلا النتائج السلبية– بإدارتهم الإبداعية الفائقة يسرِّعون عجلة تحقيق هذه النتائج السلبية؛ لتهوي بهم إلى دركات الجحيم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: {**يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ**}، إنه السقوط الذي وصفه الله تعالى فقال: {**وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**} [الحج: ٣١].

وفي مثل هذا المقال القصير سأتطرق إلى ثلاث مجالات فقط: الاقتصاد، والمرأة والإجهاض، والشذوذ المخالف للفطرة؛ فيها يتضح كيف يخربون ويسقطون حضارتهم بأيديهم:

أولاً: الاقتصاد: نرى فيه مصداق قول الله تعالى: {**يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ**}.. أزمات اقتصادية سريعة وماحقة؛ سببها إدارة مؤسساتهم المالية –التي لا تتبنى ما شرعه الله تعالى في معاملاتها– بإدارة عالية فائقة؛ تسارعت بسببها عجلة تحقيق النتائج السلبية؛ حتى أصبح الدَّين العام لأعظم دولة في الحضارة الغربية نحو ثلاثين تريليونا من الدولارات.

ثانيًا: المرأة والإجهاض: نرى فيه كذلك مصداق قول الله تعالى: {**يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ**}.

الإجهاض أمر يُغضب الله تعالى، قال تعالى: {**وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ**} [الممتحنة: ١٢]، قال أهل التفسير: "ولا يقتلن أولادهن بعد الولادة أو قبلها".

وبتوظيف الغرب الإدارة الإبداعية الفائقة في مجال عمليات الإجهاض؛ تسارعت بسببها عجلة تحقيق النتائج السلبية، إذ انتقلوا بالإجهاض من بساطته حين يقع في الأسابيع الأولى من الحمل؛ إلى القيام بإجهاض الجنين حتى وهو في شهره السابع والثامن، بل والتاسع، وذلك بحقن الجنين في رأسه -وهو حي يتحرك في بطن أمه- بمحلول يتسبب في سكتة قلبية فورية للجنين؛ يموت بها.. ثم يستخرجوه بطريقة مقززة فظيعة لا أرى داع لذكرها هنا.

إن من أكبر دوافع الإجهاض لديهم هو الحمل خارج الزوجية؛ بالفاحشة التي استحلوها.. ثم زادوا على فاحشة الزنا أن قتلوا الأجنة.. ولذلك يصح القول فيهم بأنهم قتلة للجنس البشري.

ثالثًا: الشذوذ المخالف للفطرة: نرى فيه كذلك مصداق قول الله تعالى: {**يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ**} فقد أهوى إبداعهم الإداري به إلى دركات سحيقة، حيث تسارعت عجلة تحقيق النتائج السلبية، فانتقلوا بالشذوذ خلال بضعة عقود معدودة -بخطط استراتيجية أحكمها الشاذّون- انتقلوا به من امتعاض المجتمع من وجوده؛ إلى تقنينه وحمايته بقوة القانون.

ولا يفوتني أن أنوّه أن هناك من يحارب الإجهاض والشذوذ في الغرب؛ ممن أسموا أنفسهم بالمحافظين.. غير أن المحافظين نسوا أنهم قد أغضبوا الله تعالى بعبادة عيسى -عليه السلام- وغيره من الآلهة المدعاة؛ فاكتسحهم العلمانيون اللادينيون اكتساحًا كبيرًا.

وأخيرًا: فقد رأى المسلمون في القرن الأول -الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم: (**خيرُ الناس قرْني**) [متفق عليه]- رأوا هوان حضارتي فارس والروم على الله تعالى؛ وسقوطهما وتهاويهما . وقد تزامن هذا السقوط مع صعود أمة الإسلام؛ التي ما حصل لها من الخير والقوة والمنعة إلا باجتماع الأمرين:

شريعة ربانية؛ وإدارة إبداعية محمدية -على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم- أبدعت في إنجاز كل عمل بإدارة فائقة؛ عنوانها الإتقان، قال صلى الله عليه وسلم: (**إِنّ اللَّهَ تَعَالى يُحِبّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ**) [صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١١١٣)].

ثم امتدت الأمة المسلمة -شمالا وجنوبا وشرقا وغربا- على مر التاريخ وإلى عصرنا الحاضر؛ لا تجد عزها وقوتها إلا في التمسك بشرع الله تعالى، مع إتقان عملها الإداري.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (٩٥)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ • وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**} [الصف: ٦-٧].

لا نزال نرى بُعد الحضارة الغربية عن هدي رب العالمين، وأنهم يأخذون بأسباب السقوط والأفول بدلا من العودة والأوبة لخالقهم الذي أوجدهم من العدم، والذي جعل هديه سبحانه رِفعةً لمن أخذ به في الدنيا والآخرة؛ وتركه والنكوص عنه موجبا للعذاب في الدنيا والآخرة، قال تعالى عن المكذبين من اليهود والنصارى -في الآية التي تلت آية رفع الله تعالى لعيسى عليه السلام إليه-: {**فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ**} [آل عمران: ٥٦].

والسؤال الذي يطرح نفسه: ما أكبر ذنب اقترفوه -دلت عليه النصوص الشرعية- والذي يُعدّ أكبر أسباب انهيارهم المتسارع؟!

الجواب: دلنا القرآن الكريم؛ في الآية الكريمة التي هي موضع التأمل؛ والتي جاءت في سياق الحديث عن تبشير عيسى عليه السلام لبني إسرائيل ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: {**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**} [الصف:٧]، دلت الآية الكريمة على أن تكذيب المكذبين من أهل الكتاب للرسول صلى الله عليه وسلم؛ والحق الذي جاء به؛ هو الذنب الأعظم الذي اقترفوه –ولا يزالون يفعلون– وهو الذي سيوردهم المهالك في الدنيا والآخرة.

فكيف إذا كان هذا الأمر الذي يكذّبون به؛ هو ما يعلمون في قرارة أنفسهم أنه الحق من رب العالمين، قال تعالى: {**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**} [النمل: ١٤]؟!

وسأقف في هذا المقال –بعد توفيق الله تعالى– وقفتين مع بعض النصوص الشرعية التي تثبت أن المكذبين من أهل الكتاب يعرفون في قرارة أنفسهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حق؛ وأن الشريعة حق:

الوقفة الأولى: يعلم المكذبون من أهل الكتاب في قرارة أنفسهم بأن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله؛ مبشَّر به في كتبهم، قال تعالى: {**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ**} [الصف: ٦]، بل ويعرفون النبي محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله بأوصافه المذكورة في كتبهم؛ مثل معرفتهم بأبنائهم، قال تعالى: {**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**} [البقرة: ١٤٦].

وبالرغم من تلك المعرفة؛ كفروا به صلى الله عليه وسلم وبالحق الذي جاء به كأنهم لا يعلمون، قال تعالى: {**وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**} [البقرة: ١٠١].

الوقفة الثانية: يعلم المكذبون من أهل الكتاب في قرارة أنفسهم سمو وعدل أحكام شريعة الله تعالى.. وعلى سبيل المثال لا الحصر؛ معرفتهم بقبح فاحشة الزنا، حكى ذلك لنا القرآن الكريم؛ حين اتهم اليهود مريم الطاهرة عليها السلام بالفاحشة، قال تعالى –حاكيًا عنهم قولهم–: {**يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا**} [مريم: ٢٨].

وبالرغم من إقرارهم بقبح فاحشة الزنا داخل نفوسهم؛ إلا إنهم تفننوا –في عصرنا خاصة– بحرب هذه المعرفة التي يقرون بها في داخلهم عن قبح الزنا، وذلك بالتفنن في عرض العريّ والمجون من هوليود وغيرها من مؤسسات الخزي والعار لديهم، ذلك أن ديدنهم السعي في الأرض فسادا، قال تعالى –عن اليهود–: {**وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**} [المائدة:٦٤].

أخيرًا: يلاحظ القارئ الكريم أنني استخدمت في المقال وصف "المكذبين من أهل الكتاب" ولم أقل "جميع أهل الكتاب"، ذلك أن المكذبين من أهل الكتاب هم فئة قليلة مستكبرة، يدل على ذلك ما سمعناه من إسلام العشرات –بعد حادثة الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم– ممن تعرّفوا على الإسلام ورسول الإسلام صلى الله عليه وسلم بعد الحادثة، ولم يكونوا يعرفون ذلك من قبل.. بخلاف المكذبين الجاحدين لما يعلمونه من الحق.

لكن كون الغالبية من أهل الكتاب ليسوا من المكذبين –عن علم ومعرفة– للرسول صلى الله عليه وسلم؛ فهذا لا يعفيهم من البحث عن الحق،

والخروج ممّا هم فيه من شرك وضلال، والتعرف على نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم؛ خاتم النبيين والمرسلين.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (٩٦)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**} [التغابن: ١٨].

حتى يتواضع العالم كله لله تعالى ذي العلم الواسع؛ الذي قد أحاط بكل شيء علما.

إذا كانت البشرية قد أطلقت على هذا العصر بأنه عصر العلم؛ أو عصر الثورة العلمية.. فحريٌّ بالبشرية عموما -وبأهل الإسلام على وجه الخصوص- أن يقفوا وقفة تأمل؛ تنتهي بالتواضع والتعظيم لمن يعلم ما في السماوات وما في الأرض -سبحانه- ويستسلموا لشرعه.

أهل هذا العصر -من غير المسلمين؛ الذين فرحوا بما عندهم من العلم، حتى صار هذا العلم إلها يُعبد من دون الله تعالى؛ شرع لهم ما لم يأذن به الله: نظريات علمية في الاقتصاد، وأخرى علمية في الحياة الاجتماعية، أباحت لهم حتى الشذوذ؛ حينما حكموا -بعلمهم القاصر- أن بعض البشر يولد شاذّا، فصَدُّوا أنفسهم وغيرهم -بسبب علمهم- عن الدخول في دين الله، قال تعالى: {**فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**} [غافر: ٨٣]- أهل هذا العصر -من غير المسلمين؛ الذين فرحوا بما عندهم من العلم- لا يعلمون -ولا مقدار مثقال ذرة- من علم الله تعالى..

وكل ما وصلوا إليه هو علم يسير من علم الله عن هذه الدنيا، هداهم الله إليه؛ بعد أن خلقهم؛ ثم مكّنهم من العيش على هذه الأرض؛ والسعي في مناكبها، فصارت لهم تجارب وخبرات ذات علوم، قال تعالى: {**وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**} [الإسراء: ٨٥]، كما سهّل سبحانه لهم تداول هذا العلم اليسير؛ بأن هداهم لاختراع الحاسوب؛ لجمع وتخزين هذا العلم على الأجهزة؛ ومن ثم تحليله والاستفادة منه بنشره؛ بفضل من الله وتوفيقه.

هذا العلم اليسير القاصر؛ الذي مكّن الله تعالى البشر منه ... لا يجوز أبدًا أن يرسم للبشرية منهجًا لحياتها على هذه الأرض.

إن الذي يستحقّ أن يشرّع منهجًا للناس في هذه الدنيا؛ هو العليم بما في السماوات والأرض –قال تعالى: {**يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**} [التغابن: ٤]– مع ضخامتهما وكثرة ما فيهما من مخلوقات، من ذلك علمه سبحانه حتى بما يختلج في صدورنا، فنحن خلق صغير، يسكن في أرض صغيرة في هذا الكون؛ الذي يعلم الله تعالى كل ما فيه.. قال تعالى: {**لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**} [غافر: ٥٧].

أخيرًا: المتأمل في كلام الله تعالى عن علمه الواسع المحيط بكل شيء؛ يمتلئ قلبه تعظيما له سبحانه، وتنقاد نفسه مستسلمة له؛ لكمال قدرته، قال تعالى: {**وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا**} [الأنعام: ٥٩]، فهل تستطيع البشرية جمعاء؛ أن تحصي أوراق الشجر المتساقط في حديقة صغيرة؟! فكيف بأوراق أشجار الأرض كلها؟! كما يعلم سبحانه ما تحمل كل أنثى من المخلوقات – بشراً وغيرهم– وما تغيض الأرحام وما تزداد.. وهو سبحانه: {**عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ**} [الرعد: ٩].

فأين علم البشر اليسير -الذي يتراكم بالتجارب عند الناس مع السنين- من العلم الإلهي الشامل الواسع المحيط بكل شيء؟!

وكثيرة هي الآيات في كتاب الله تعالى؛ الدالة على عظيم علمه سبحانه، تحتاج إلى الوقوف عندها، والتأمل فيها، والاستسلام لمنزلها سبحانه.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

۞۞۞

التأمل رقم (٩٧)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ**} [الملك:٣٠].

شاهدت تقريرا بثته قناة (CBS) الأمريكية عن حالة الجفاف التي تمر بها ولاية كاليفورنيا منذ اثنين وعشرين عاما، وإعلانها قبل مدة -بعد أن بلغ الأمر مداه- حالة الطوارئ للجفاف على مستوى الولاية، فكتبت -بتوفيق الله تعالى- هاتين الوقفتين:

الوقفة الأولى: كان ممّا جاء في التقرير: تسببت حالة الجفاف في انخفاض منسوب المياه في نهر كولورادو -الذي يمرّ بسبع ولايات- حيث انخفض بمقدار ٧٠٪ عن مستواه الأصلي، لدرجة أن مقاطعة بينال في أريزونا لوحدها سيكون مقدار نقص المياه فيها ٩٨ مليار جالون في العام.

كما تمدّ الطاقة الناتجة من هذا النهر -عن طريق مروره بسدّين مهمين- أنشطة اقتصادية سنوية بتكلفة (١،٤) تريليون دولار.

ناهيك عن الخسائر الزراعية، حيث إن ٧٠٪ من مياه نهر كولورادو تصرف على الحقول الزراعية؛ التي تنتج ٩٠٪ من الصادرات الزراعية لكافة الولايات الأمريكية.

ولا غرابة -إذن- أن تقرع الولايات التي يمرّ بها نهر كولورادو أجراس الخطر بسبب حالة الجفاف هذه، فقد بين خالق السماوات والأرض أهمية الماء فقال سبحانه: {**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ**} [الأنبياء: ٣٠].

ففي الماء حياة لجميع الأحياء من مخلوقات الله تعالى.

كما يعلم الناس جميعا -وأهل الحضارة الغربية المادية على وجه الخصوص- كم للماء من أهمية في مجالات حيوية كثيرة، منها: المحركات البخارية؛ التي ظلت لعقود مضت مصدر الطاقة للسفن البخارية؟!

وكذلك إنتاج الطاقة الكهربائية في العالم اليوم؛ التي يُعد من مصادرها السدود.

الوقفة الثانية: حينما يعتني الإسلام بأمر ويخُصُّه بصلاة؛ فاعلم أن الأمر جلل، وفعلاً نقص الماء أمر جلل.

فأمّا أهل الإسلام -الذين استسلموا لخالق الكون سبحانه- فإنهم إذا أصابهم الجفاف؛ هبّوا إلى إقامة صلاة الاستسقاء؛ رجاء السُقيا من الله تعالى، مؤمنين بقوله تعالى -حكايةً عن هود عليه السلام-: {**وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا**} [هود: ٥٢].

وأمّا غير المسلمين؛ فهم بحاجة إلى من يبصّرهم -خلال فترة الجفاف التي يمرون بها- بمعنى الآية الكريمة -التي هي موضع التأمل في هذا المقال- والتي خاطب الله تعالى بها كفار قريش في عهد تنزل القرآن الكريم، قال تعالى: {**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ**}، فليس تقدم الحضارة المادية المعاصرة في كافة العلوم المادية بقادرٍ على حلّ أزمة الجفاف التي تمرّ

بهم، ولكن الحلّ لمعضلاتهم كافة -وليس الجفاف فقط- يكمن في استسلامهم للخالق العظيم، والانقياد لمنهجه القويم.

أخيرًا: يا لعظمة دين الإسلام. فإن ممّا قاله أحد المختصّين بعلوم المناخ في المقابلة التلفزيونية لقناة (CBS) عن علاج انخفاض منسوب المياه في نهر كولورادو: نحن لا نملك فعل شيء تجاه زيادة موارد الماء -وهذا بلا شك يأس من جهة، وجهل بالله سبحانه الذي بيده سُقياهم من جهة أخرى- ثم قال: لكن علينا زيادة الترشيد في استخدامه إلى أقصى الدرجات.

تذكرت حينها التوجيه النبوي الشريف بترشيد استخدام الماء؛ الذي سبق إليه الإسلام قبل ألف واربعمائة سنة، ففي الحديث: أنَّ النَّبيَّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ مرَّ بسَعدٍ وَهوَ يتوضَّأُ، فقالَ: **(ما هذا السَّرَفُ يا سَعدُ؟)** قالَ: أفي الوضوءِ سَرفٌ؟ قالَ: **(نعَم، وإن كنتَ على نَهْرٍ جارٍ)** [حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٢٩٢)].

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك ...

۞۞۞

التأمل رقم (٩٨)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ • وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ**} [النازعات: ١٨-١٩]، قال أهل التفسير: "فقل له: أتودُّ أن تطهِّر نفسك من النقائص وتحليها بالإيمان، وأُرشدك إلى طاعة ربك، فتخشاه وتتقيه؟".

سؤال: ما المطلوب من فرعون لو أسلم لله تعالى؛ كما صرحت بذلك الآية الكريمة التي هي موضع التأمل؟!

الجواب: المطلوب منه؛ أن يخشى الله تعالى مباشرة بعد إسلامه.

كلما تأملت الخطاب القرآني الكريم الموجّه إلى فرعون؛ بأن يخشى الله تعالى حال إسلامه مباشرة -بالرغم من طول مكثه في الكفر والطغيان- كلما تبين لي أهمية خشية الله تعالى من قِبل كل مسلم من الملياري مسلم.

وممّا يجعلني مهتما بالحديث عن موضوع الخشية؛ وأنها مطلوبة من كل مسلم؛ هو أن البعض قد يجمع بين عدم الانتباه إلى آية سورة النازعات: {**وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ**}؛ التي طالبت فرعون بخشية الله تعالى لو أسلم، فكيف بمن ولد مسلما؟! قد يجمع البعض مع عدم الانتباه إلى آية سورة النازعات؛ مجانبة الصواب في فهم قوله تعالى: {**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ**

الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} [فاطر: ٢٨]، فيظن أن خشية الله تعالى مَرْتَبة متقدمة في الإيمان، وأنها خُصت بالعلماء.. وهذا الفهم يخالف فهم العلماء للآية الكريمة، يقول الشيخ ابن باز رحمه الله -في تفسير الآية-: "فكل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة يخشى الله، لكن خشية الله فيهم متفاوتة، فكلما كان المؤمن أبصر بالله وأعلم به وبدينه كان خوفه لله أكثر، وكلما قل العلم وقلت البصيرة قل الخوف من الله وقلت الخشية منه سبحانه" انتهى كلامه. [مجموع فتاوى ابن باز (٥/٤٨)].

وأمّا عن تخصيص ذكر العلماء في قوله تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ}؛ فالحديث في الآية الكريمة عن الخشية الأكمل، قال الشيخ رحمه الله: "فالمعنى: إنما يخشى الله الخشية الكاملة هم العلماء بالله، الذين عرفوا ربهم بأسمائه وصفاته وعظيم حقه وتبصروا في شريعته وعرفوا ما عنده من النعيم لمن اتقاه، والعذاب لمن خالفه وعصاه، فهم لكمال علمهم بالله هم أشد الناس خشية لله" انتهى كلامه. [مجموع فتاوى ابن باز (٥/٤٨)]

وأخيرًا: إن ممّا يدفع المسلم إلى زيادة خشيته لله تعالى؛ زيادة اهتمامه بالعلم بالله تعالى؛ وأسمائه الحسنى وصفاته العليا؛ وتتبع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي بينت جزاء الذين يخشون ربهم؛ كقوله تعالى: {**جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ**} [البينة: ٨]. وقوله صلى الله عليه وسلم: (**لا يَلِجُ النارَ رجلٌ بكَى من خَشيَةِ اللهِ حتى يعودَ اللبَنُ في الضَّرْعِ**) [صححه الألباني في مشكاة المصابيح (٣٨٢٨)].

ومن دعائه صلى الله عليه وسلم: (**اللهمَّ إِنِّي أسألُكَ خشْيَتَكَ في الغيبِ والشهادَةِ**) [صححه الألباني في صحيح الجامع (١٣٠١)]، أي في السر والعلن، وفي حضور الناس وغيبتهم.

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

التأمل رقم (٩٩)

نواصل -بتوفيق الله تعالى- التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**} [العلق: ١].

أمة اقرأ.. ماذا عليها أن تقرأ أولا؟!

أوصلت لي رسائل الواتس مقطعا يتحدث فيه شيخ فاضل في خطبة جمعة عن أهمية القراءة، لكنه عفا الله عنا وعنه -لفرط حماسه وغيرته على واقع أمتنا الضعيف- أخذ يستشهد بآية عظيمة: {**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**} -وهي أول ما أنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم- أخذ يستشهد بها على أهمية القراءة بشكل عام، دون أن يورد الخصوصية التي من أجلها أنزل الله تعالى آية سورة العلق الكريمة: {**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**}، ثم تتابع من بعدها نزول القرآن الكريم.

كان أسلوبه الذي استخدمه في إقناع المستمع أن أمتنا أمة لا تقرأ؛ جميلا وإبداعيا. كان يمدح كثرة قراءة غير المسلمين -من يابانيين وأمريكان وغيرهم- وكيف أنهم صنعوا عقولا منتجة.. بل زاد في حماسه لإقناع المشاهد بأهمية القراءة فقال: هذه الساعة -ويشير إلى ساعته- صُنِعت في سويسرا. والميكروفون الذي كان يتكلم فيه من أمريكا. والصوف الذي يلبسه من بريطانيا.

لكنه -شكر الله تعالى له- جانب الصواب ثلاث مرات.. فوفقني الله تعالى لبيان الحق؛ حتى نتعاون معه في طرح هذا الموضوع المهم الذي اخترت له عنوان المقال: "أمة اقرأ. ماذا عليها أن تقرأ أولا؟!".

جانب الصواب أولا: في الاستشهاد بآية عظيمة {**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**}؛ حين لم يعرض ويبين لنا أعظم مقصد لنزول هذه الآية الكريمة، ومن ثم نزول القرآن تِباعا خلال ثلاثة وعشرين عاما.. إنه التعريف بالله تعالى؛ واستحقاقه سبحانه وتعالى وحده للعبادة؛ ومن ثم الانقياد لمنهجه سبحانه..

كان من المفترض أن يُبين أولا هذا المقصد الأعظم لنزول القرآن الكريم؛ ثم يُبين بعد ذلك أهمية القراءة عموما في كل ما ينفع المسلمين.

لقد كان العرب قبل البعثة المحمدية -على رسولها أفضل الصلاة والسلام- في ضلال مبين. ثم انكشفت تلك الضلالة وزالت الغمة حينما قرأ العرب كتاب الله تعالى؛ الذي بدأ بقوله تعالى: {**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**} كما بين لهم سبحانه ما كانوا فيه من ضلال مبين: {**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِم وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**} [الجمعة: ٢].

فزكاهم سبحانه وعلمهم -بالقرآن الكريم- كيف ينبغي أن يكون الإنسان عارفا بربه تعالى؛ عابدا له وشاكرا نعمه التي لا تعدّ ولا تحصى.

وجانب الصواب مرة ثانية: حين أوهم المستمع أن مشكلتنا الكبرى هي عدم القدرة على الصناعة في هذا العصر. وليست ضعف التمسك بالدِّين من قبل الكثير من أتباع الدين؛ الذي ما تمسكت به أمتنا إلا سادت وقادت الأمم في هذه الدنيا؛ وأرست قواعد العدل -وليس قانون الغاب السائد في عالم اليوم- وفازت في الآخرة بجنة عرضها السماوات والأرض. وتاريخ أمتنا

الإسلامية وما مرت به من مراحل قوة وضعف يشهد بذلك. بل شهد لها حتى المنصفون –من غير المسلمين– بأنها أمة كانت الرائدة في كل أنواع العلوم المادية المختلفة؛ من طب ورياضيات وغيرها من العلوم، فضلا عن نشر القيم الرفيعة والأخلاق الحميدة.

لم يخرج الله تعالى العرب من ضلالهم وغمتهم التي كانوا عليها قبل البعثة؛ بتعليمهم الصناعة أولا. حتى يحاكوا ما كان عليه الروم والفرس من قوة وعتاد.

ولذلك لم يأخذوا وقتًا طويلا –حين صدقوا مع الله وأيقنوا أنه ناصرهم إن نصروا دينه– حتى صاروا أقوى عتادا من جميع الأمم. وهذا ما يخيف أعداء الإسلام في هذا العصر.. أن يعود أهل الإسلام إلى التمسك بدينهم بصدق؛ فيصدقهم الله تعالى وعده، وينصرهم.

وجانب الصواب ثالثا: في مدح الكفار بأمرٍ هو عين ما ذمهم الله تعالى عليه، وسيدخلهم بسببه عذاب الجحيم.. الاهتمام بالدنيا مقابل الإعراض عن عبادة الله والانقياد لمنهجه، ولذا قال عنهم سبحانه: {**يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ**} [الروم: ٧]، وقال عن إعمارهم للأرض مقابل تكذيبهم للرسل عليهم الصلاة والسلام: {**أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**} [الروم: ٩].

أخيرًا: لو أن الكفار جمعوا بين استسلامهم لله تعالى واهتمامهم بما يصلح أمر دنياهم وفق منهج الله تعالى؛ لما ذمهم الله تعالى وغضب عليهم.

بل قد نسي خطيبنا الفاضل أن التمكين في الأرض للمؤمنين؛ اشترط له ربنا سبحانه شرطا واضحا لا لَبْس فيه.. عبادته وحده –بمفهوم العبادة

الشامل- وعدم الإشراك به شيئا، قال تعالى: {**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**} [النور: ٥٥].

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

۞۞۞

التأمل رقم (١٠٠)

نواصل –بتوفيق الله تعالى– التأمل في بعض الآيات القرآنية الكريمة..

قال الله تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ • إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**} [البينة: ٦-٧]، قال أهل التفسير: "إن الذين كفروا من اليهود والنصارى والمشركين عقابهم نار جهنم خالدين فيها، أولئك هم أشد الخليقة شرا. إن الذين صَدَّقوا الله واتبعوا رسوله وعملوا الصالحات، أولئك هم خير الخلق".

نقف مع هاتين الآيتين الكريمتين متأملين ومتدبرين:

أن يضع البشر لأنفسهم معيارًا للتقدم أو التأخر الاقتصادي؛ يُعرف به تقدم أو تأخر الفرد أو المجتمع اقتصاديا؛ فهذا أمر لا بأس به.

وكذلك لو وضع البشر معيارًا للتقدم أو التأخر في مجال الطب، أو الهندسة، أو التسليح، أو غيرها من مجالات العلوم المادية؛ فلا بأس بذلك أيضا.

أمّا تقدم الفرد أو المجتمع في الخيرية، أو انحدارهم نحو الشر؛ فهذا أمر جلل؛ قد تولاه ووضع معياره وميزانه الله العليم الحكيم سبحانه.

لقد أكثر القرآن الكريم وأفاض في ذكر المعيار الذي وضعه الله تعالى للبشر لمعرفة مدى رقيّهم أو تدنّيهم في الخيرية في هذه الدنيا وفي الآخرة. وقد اخترت الآيتين الكريمتين من سورة البينة لبيان هذا المعيار، قال تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ • إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**}.

حكم سبحانه في الآية الأولى على غير المسلمين أنهم شرّ الخليقة؛ لكفرهم بالله العظيم، وتمرّدهم على منهجه القويم. كما حكم سبحانه في الآية الثانية على المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنهم خير الخليقة؛ لإيمانهم بالله العظيم؛ واستقامتهم على منهجه القويم.

ويكفي أن نعلم أن الله تعالى سيجازي غير المسلمين بالخلود في النار؛ لنستيقن أنهم شرّ الخليقة وأشدّها ارتدادًا إلى أسفل سافلين، قال تعالى: {**إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا • خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا**} [الأحزاب: ٦٤-٦٥]، قال أهل التفسير: "إن الله طرد الكافرين من رحمته في الدنيا والآخرة، وأعدَّ لهم في الآخرة نارًا موقدة شديدة الحرارة، ماكثين فيها أبدًا، لا يجدون وليًّا يتولاهم ويدافع عنهم، ولا نصيرًا ينصرهم، فيخرجهم من النار".

وحين يزن المسلم خيرية الأفراد أو المجتمعات -في الدنيا وفي الآخرة- بهذا الميزان الرباني الذي بينته آيتا سورة البينة؛ فإن الرحمة ستفيض من قلبه؛ في شكل دعوة صادقة لغير المسلمين؛ الذين سلكوا مسلكا ينافي الخيرية؛ ويشقيهم في دنياهم وآخرتهم.

إن هذا الميزان الرباني في معرفة الخيرية من عدمها لدى الأفراد والمجتمعات؛ يعالج ما وقع في نفوس بعض المسلمين من انبهار شديد بالحضارة المادية

المعاصرة. يعالجه ليصبح الموقف الصحيح من هذه الحضارة: أخذ واقتباس ما ينفع منها. مع الدعوة الصادقة الجادة لأصحاب هذه الحضارة؛ لإنقاذهم من عذاب جهنم من جهة، ومن جهة أخرى العمل على دلالتهم إلى الحياة الطيبة في هذه الدنيا؛ إن هم استقاموا على دين الله تعالى ومنهجه القويم، قال تعالى: **{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}** [النحل: ٩٧].

هذا؛ وإن من أدبيات دعوتنا لغير المسلمين: أن نصبر على أذاهم ونعفو عنهم؛ حتى مع كونهم شرّ الخليقة، قال تعالى: {فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} [الزخرف: ٨٩]، قال أهل التفسير: "فاصفح -أيها الرسول- عنهم، وأعرض عن أذاهم، ولا يَبْدُر منك إلا السلام لهم الذي يقوله أولو الألباب والبصائر للجاهلين، فهم لا يسافهونهم ولا يعاملونهم بمثل أعمالهم السيئة، فسوف يعلمون ما يلقَوْنه من البلاء والنكال. وفي هذا تهديد ووعيد شديد لهؤلاء الكافرين المعاندين وأمثالهم".

وأخيرًا: فإن صِدق الأمة المسلمة في خيريتها -المشروطة بعمل الصالحات- يعني نهضتها في كافة المجالات. ولن يبقوا متخلفين عن غيرهم في الصناعة وغيرها. تماما كما حصل لصدر هذه الأمة؛ الذين ارتقوا من القلة والضعف؛ إلى العزة والتمكين. بل هو وعد من الله تعالى لكل من اعتزّ به سبحانه؛ على مدار تاريخ الأمة الإسلامية المديد، قال تعالى: **{مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا}** [فاطر: ١٠]، قال أهل التفسير: "من كان يطلب عزة في الدنيا أو الآخرة فليطلبها من الله، ولا تُنال إلا بطاعته، فلله العزة جميعًا".

اللهم ارزقنا التفكر في آياتك...

(الفهرس)

الموضوع **الصفحة**

المقدمة ٧

التأمل رقم (١) {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا.....} ١٠

التأمل رقم (٢) {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض} ١٣

التأمل رقم (٣) {صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً..} ١٦

التأمل رقم (٤) {وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا..} ١٨

التأمل رقم (٥) {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..} ٢٢

التأمل رقم (٦) {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ..} ٢٥

التأمل رقم (٧) {وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ..} ٢٩

التأمل رقم (٨) {عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ..} ٣١

التأمل رقم (٩) {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَة} ٣٤

التأمل رقم (١٠) {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} ٣٧

التأمل رقم (١١) {هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ..} ٤٠

التأمل رقم (١٢) {فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا..} ٤٤

التأمل رقم (١٣) {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ..} ٤٨

التأمل رقم (١٤) {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ} .. ٥١

التأمل رقم (١٥) {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا} ٥٥

التأمل رقم (١٦) {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ..} ٥٨

التأمل رقم (١٧) {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ..} .. ٦٢

التأمل رقم (١٨) {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ..} ٦٥

التأمل رقم (١٩) {مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ..} ٦٨

التأمل رقم (٢٠) {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا..} ٧٠

التأمل رقم (٢١) {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ..} ٧٣

التأمل رقم (٢٢) {وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ..} ٧٧

التأمل رقم (٢٣) {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..} ... ٨١

التأمل رقم (٢٤) {لِكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ ۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} ٨٥

التأمل رقم (٢٥) {وَكَذَٰلِكَ نُرِي إبراهيم مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} ٨٨

التأمل رقم (٢٦) {أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا..} ٩١

التأمل رقم (٢٧) {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ..} ٩٥

التأمل رقم (٢٨) {وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ} ... ٩٨

التأمل رقم (٢٩) {يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا} ١٠٠
التأمل رقم (٣٠) {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا..} ١٠٤
التأمل رقم (٣١) {أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا..} ١٠٨
التأمل رقم (٣٢) {وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا..} ١١٢
التأمل رقم (٣٣) {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا..} ١١٥
التأمل رقم (٣٤) {وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ} ١١٩
التأمل رقم (٣٥){إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا} ١٢١
التأمل رقم (٣٦) {إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} ١٢٤
التأمل رقم (٣٧) {مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ} .. ١٢٦
التأمل رقم (٣٨) {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ} ١٣٠
التأمل رقم (٤٠) {قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا..} ١٣٧
التأمل رقم (٤١) {قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ..} ١٤٠
التأمل رقم (٤٢) {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ} ١٤٣
التأمل رقم (٤٣) {أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ}
..... ١٤٦
التأمل رقم (٤٤) {وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ} ١٤٨
التأمل رقم (٤٥) {أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} ١٥٢

التأمل رقم (٤٦) {وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ} ١٥٦

التأمل رقم (٤٧) {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إبراهيم حَنِيفًا..} ١٥٨

التأمل رقم (٤٨) {وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ..} ..١٦٢

التأمل رقم (٤٩) {وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ} ١٦٥

التأمل رقم (٥٠) {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي..} ١٦٩

التأمل رقم (٥١) {أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا} ١٧٢

التأمل رقم (٥٢) {وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً..} ١٧٥

التأمل رقم (٥٣) {مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ..} ١٧٨

التأمل رقم (٥٤) {وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا} ١٨١

التأمل رقم (٥٥) {وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا} ١٨٤

التأمل رقم (٥٦) {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا..} ١٨٧

التأمل رقم (٥٧) {إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى}
.....١٩٠

التأمل رقم (٥٨) {قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ..} ١٩٣

التأمل رقم (٥٩) {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ} ١٩٦

التأمل رقم (٦٠) {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ..} ١٩٩

التأمل رقم (٦١) {حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ..} ٢٠٢

التأمل رقم (٦٢) {ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ} ٢٠٥
التأمل رقم (٦٣) {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ..} ٢٠٨
التأمل رقم (٦٤) {وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا} .٢١٠
التأمل رقم (٦٥) {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً..} ٢١٢
التأمل رقم (٦٦) {وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا} ٢١٤
التأمل رقم (٦٧) {وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ} ٢١٧
التأمل رقم (٦٨) {وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ} ..٢٢١
التأمل رقم (٦٩) {فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا} .٢٢٤
التأمل رقم (٧٠) {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا} ٢٢٨
التأمل رقم (٧١) {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ} ٢٣٢
التأمل رقم (٧٢) {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ..} ٢٣٤
التأمل رقم (٧٣) {وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ..} ٢٣٦
التأمل رقم (٧٤) {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ..} ٢٣٩
التأمل رقم (٧٥) {لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ..} ٢٤١
التأمل رقم (٧٦) {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ..} ٢٤٣
التأمل رقم (٧٧) {حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ..} ٢٤٦
التأمل رقم (٧٨) {قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ}.....٢٤٨

التأمل رقم (٧٩) {رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ} ٢٥٠
التأمل رقم (٨٠) {مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ..} ٢٥٢
التأمل رقم (٨١) {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ}...٢٥٥
التأمل رقم (٨٢) {وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا..} ٢٥٩
التأمل رقم (٨٣) {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ..} ٢٦٢
التأمل رقم (٨٤) {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ..} ٢٦٥
التأمل رقم (٨٥) {وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً..} ٢٦٨
التأمل رقم (٨٦) {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ..} ٢٧٠
التأمل رقم (٨٧) {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا..} ٢٧٥
التأمل رقم (٨٨) {فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ..} ٢٧٩
التأمل رقم (٨٩) {يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا..} ٢٨٢
التأمل رقم (٩٠) {وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} ٢٨٥
التأمل رقم (٩١) {فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ}.....٢٨٩
التأمل رقم (٩٢) {وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا} ٢٩٣
التأمل رقم (٩٣) {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ..} ٢٩٥
التأمل رقم (٩٤) {يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ..} ٢٩٨
التأمل رقم (٩٥) {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ..} ٣٠٢

التأمل رقم (٩٦) {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} ٣٠٦
التأمل رقم (٩٧) {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا..} ٣٠٩
التأمل رقم (٩٨) {فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ..} ٣١٢
التأمل رقم (٩٩) {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} ٣١٥
التأمل رقم (١٠٠) {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ..} ٣١٩

رقم الإيداع: ١٤٤٤/٦٣٣٥
ردمك: ٣-٤٦٤٨-٠٤-٦٠٣-٩٧٨